

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00977 1258

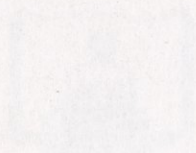


10-11-1904

To the Hon. Secy of War

Washington

Dear Sir



Very respectfully,

Yours truly,

Wm. H. H. H.

ID 99-B 4367 put

20/9

Husayn, Muhammad Kamil,
Sirat al-mu'ayyad fi al-Din Dā' al-Du'ah.

BP

195

182

55x

1949

سيرة المولى السيد الحسين الداعي

ترجمة حياته بقلمه

المؤيد من السيد دامي الدعاة
هبة الله بن موسى بن دار
السرازمي ... - ٤٧٠ هـ

تقديم وتحقيق

محمد كامل حسين

بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول



القاهرة

دار الكاتب المصري

شركة مساهمة مصرية

١٩٤٩

الطبعة الأولى ... أكتوبر ١٩٤٩

٩٥٥
٢٣.٥

42020

جميع الحقوق محفوظة لدار الكاتب المصري ١٩٤٩

اهداء

إلى أستاذي الأجل حضرة صاحب العزة

الدكتور طه حسين بك

لقد جليتكم حقيقة أبي العلاء فكانت كتابتكم خير ما أخرج للناس
عنه، فهل تأذن لتلميذك أن يرفع إليك سيرة المؤيد داعي الدعاة
مناظر أبي العلاء، إجلالا لشخصك واعترافاً بفضلك.

محمد طامل حسين

الحمد لله

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وبعد

فإننا نرى في هذه الأوقات
والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

فهرس

صفحة	
[١١]	مقدمة الناشر
١	السيرة المؤيدية
٤	المؤيد وأبو كاليجار
١٦	مناظرة المؤيد مع العلماء في حضرة أبي كاليجار
٢٢	رد المؤيد
٣٠	مناظرة الخراساني
٣٨	جواب المؤيد
٤٣	أبو كاليجار يعتنق الدعوة الفاطمية
٤٤	الندماء يكيدون للمؤيد
٥٤	حادث مسجد الأهواز
٥٧	مناظرة المؤيد مع العلوي الزيدي
٦٠	وشايات النديم
٦٤	غدر أبي كاليجار بالمؤيد
٦٨	فرار المؤيد من شيراز
٦٩	المؤيد في جنابه
٧٢	المؤيد في الأهواز
٧٤	المؤيد في طريقه إلى مصر
٧٦	خطاب أبي كاليجار إلى المؤيد
٨٠	المؤيد في مصر
٨١	المؤيد والتستري
٨٤	المؤيد والوزير الفلاحى
٨٥	المؤيد بحضرة المستنصر

فهرس السيرة المؤيدية

صفحة	
٨٦	المؤيد والوزير الجرجرى
٨٩	المؤيد واليازورى
٩٤	بدء النزاع بين الفاطميين والتركمانية
١٠٠	خروج المؤيد لمؤازرة البساسيرى
١٠١	خطاب المؤيد إلى الوزير اليازورى
١٠٢	خطاب آخر من المؤيد إلى اليازورى
١٠٣	خطاب المؤيد إلى تاج الأمراء
١٠٥	خطاب المؤيد إلى اليازورى
١٠٩	خطاب المؤيد إلى ابن مروان
١١٣	خطاب آخر إلى ابن مروان
١١٦	خطاب المؤيد إلى جماعة الأتراك الذين مع البساسيرى
١١٩	المؤيد وابن وثاب
١٢١	المؤيد فى الرحبة
١٢٢	عهد البساسيرى
١٢٤	المؤيد وديس بن مزيد
١٢٧	عهد ابن مزيد
١٣٠	المؤيد وقريش بن بدران
١٣١	كتاب المؤيد بالانتصار فى سنجار
١٣٣	خطاب آخر بذكر الانتصار
١٣٤	دخول الموصل
١٣٥	خطاب المؤيد بفتح الكوفة
١٣٦	خطاب المؤيد باقامة الدعوة فى واسط
١٣٧	موقف ابن مروان بعد موقعة سنجار
١٣٨	خطاب المؤيد لابن مروان يدعوه لتأييده
١٤٠	تفرق جمع المؤيد
١٤١	خطاب المؤيد إلى البساسيرى فى تهجين النكوص
١٤٢	كتاب المؤيد إلى ديس بن مزيد

صفحة	
١٤٤	كتاب المؤيد إلى ابن ورام
١٤٥	كتاب المؤيد إلى قريش بن بدران
١٤٦	رد المؤيد على خطاب بن ورام
١٤٨	رد المؤيد على ديبس بن مزيد
١٤٩	رد المؤيد على قريش بن بدران
١٥١	كتاب المؤيد إلى أبي الحارث
١٥١	الفتنة بسبب المال
١٥٤	كتاب المؤيد إلى الكندري
١٥٦	دسائس الكندري
١٥٧	كتاب المؤيد إلى ابن مزيد في تهجين صلحه مع طغرلبك
١٦١	كتاب آخر إلى ابن مزيد
١٦٣	خطاب المؤيد إلى ابن ورام في تهجين سوقفه
١٦٤	كتاب المؤيد إلى قريش بن بدران في أمر الهدنة
١٦٦	كتاب المؤيد إلى قريش
١٦٨	كتاب آخر إلى قريش
١٦٩	رحيل المؤيد من الرحبة
١٧١	المؤيد في حلب وعودتها إلى أملاك الفاطميين
١٧٤	عصيان ابراهيم بن ينال على أخيه طغرلبك
١٧٦	المؤيد في طريقه إلى مصر
١٧٨	دخول البساسيري بغداد
١٨٧	معجم الأعلام
١٩٥	معجم الأمكنة والبقاع
١٩٧	معجم أسماء الكتب
٢٠١	دليل الآيات القرآنية الشريفة
٢٠٥	دليل الأحاديث المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم
٢٠٧	المراجع
٢١٠	استدراكات

Table of Contents

Introduction	1
Chapter I	10
Chapter II	20
Chapter III	30
Chapter IV	40
Chapter V	50
Chapter VI	60
Chapter VII	70
Chapter VIII	80
Chapter IX	90
Chapter X	100
Chapter XI	110
Chapter XII	120
Chapter XIII	130
Chapter XIV	140
Chapter XV	150
Chapter XVI	160
Chapter XVII	170
Chapter XVIII	180
Chapter XIX	190
Chapter XX	200
Chapter XXI	210
Chapter XXII	220
Chapter XXIII	230
Chapter XXIV	240
Chapter XXV	250
Chapter XXVI	260
Chapter XXVII	270
Chapter XXVIII	280
Chapter XXIX	290
Chapter XXX	300
Chapter XXXI	310
Chapter XXXII	320
Chapter XXXIII	330
Chapter XXXIV	340
Chapter XXXV	350
Chapter XXXVI	360
Chapter XXXVII	370
Chapter XXXVIII	380
Chapter XXXIX	390
Chapter XL	400
Chapter XLI	410
Chapter XLII	420
Chapter XLIII	430
Chapter XLIV	440
Chapter XLV	450
Chapter XLVI	460
Chapter XLVII	470
Chapter XLVIII	480
Chapter XLIX	490
Chapter L	500
Chapter LI	510
Chapter LII	520
Chapter LIII	530
Chapter LIV	540
Chapter LV	550
Chapter LVI	560
Chapter LVII	570
Chapter LVIII	580
Chapter LIX	590
Chapter LX	600
Chapter LXI	610
Chapter LXII	620
Chapter LXIII	630
Chapter LXIV	640
Chapter LXV	650
Chapter LXVI	660
Chapter LXVII	670
Chapter LXVIII	680
Chapter LXIX	690
Chapter LXX	700
Chapter LXXI	710
Chapter LXXII	720
Chapter LXXIII	730
Chapter LXXIV	740
Chapter LXXV	750
Chapter LXXVI	760
Chapter LXXVII	770
Chapter LXXVIII	780
Chapter LXXIX	790
Chapter LXXX	800
Chapter LXXXI	810
Chapter LXXXII	820
Chapter LXXXIII	830
Chapter LXXXIV	840
Chapter LXXXV	850
Chapter LXXXVI	860
Chapter LXXXVII	870
Chapter LXXXVIII	880
Chapter LXXXIX	890
Chapter LXXXX	900
Chapter LXXXXI	910
Chapter LXXXXII	920
Chapter LXXXXIII	930
Chapter LXXXXIV	940
Chapter LXXXXV	950
Chapter LXXXXVI	960
Chapter LXXXXVII	970
Chapter LXXXXVIII	980
Chapter LXXXXIX	990
Chapter LXXXXX	1000

تقدمة

هذا كتاب آخر نضيفه إلى سلسلة مخطوطات الفاطميين التي نعمل على نشرها ، بعد أن ظلت عدة قرون في طي الخفاء لحرص الاسماعيلية على ستر علوسهم وعقائدهم عن الناس ، فان الستر عقيدة من عقائدهم الدينية ، وقد يكون هذا الكتاب من أشد الكتب سترًا عند طائفة البهرة الذين يزعمون وراثة مذهب الفاطميين ، ويدينون بطاعة إمام مستور من نسل الطيب بن الأمر بأحكام الله الفاطمي ، فقد بلغ حرص القائمين على دعوة البهرة أنهم لا يسمحون لأبناء طائفتهم أن يتصلوا بهذا الكتاب عن قرب أو عن بعد ، بالرغم من أن هذا الكتاب في تاريخ حياة داعية من دعاة الفاطميين ، ويقلم الداعي نفسه ، وأن هذا الكتاب لا يلم بعقائد الفاطميين إلا إماما يسيرا هينا لا خطر من إذاعتها بين الناس وخاصة بين أبناء طائفتهم ، ولكن الخطر فيما وعاه هذا الكتاب من أسرار عن إمام فاطمي هو المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ) ، (١٠٣٥ - ١٠٩٤ م) وعن تلاعب الوزراء به وبالبلاد ، فهي أسرار تسيء إلى عقيدة من أهم عقائدهم وهي الامامة التي هي قوام عقيدة الفاطميين ، كما تسيء إلى الأئمة المعصومين بزعمهم ، ومن هنا كان حرص القائمين على دعوة البهرة على إخفاء الكتاب عن أتباعهم حتى لا يتطرق الشك في الامامة والأئمة ، ولا سيما أن مؤلف هذا الكتاب داعية من أكبر دعاة مذهب الاسماعيلية منذ نشأ المذهب إلى الآن .

مؤلف الكتاب

يعرف هذا الكتاب بين الاسماعيلية «بالسيرة المؤيدية» تارة و «بسيرة سيدنا المؤيد في الدين» تارة أخرى ، كتبه عن نفسه داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله بن موسى ابن داود الشيرازي المتوفى سنة ٤٧٠ هـ^(١) ، الذي عرف في تاريخ الأدب العربي برسائله

(١) راجع مقدمة كتاب «ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة» من مطبوعات دار الكاتب المصري .

التي ناظر بها أبا العلاء المعري في موضوع أكل اللحم ، تلك الرسائل التي نشرها الأستاذ المرحوم سارجوليوث المستشرق الانجليزى لأول مرة سنة ١٩٠٢ في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية عن نسخة خطية عثر عليها بمكتبة أكسفورد ، وحاول الأستاذ سارجوليوث أن يعرف شيئاً عن حياة المؤيد داعى الدعوة فيخانه التوفيق ، لأن المؤرخين وأصحاب كتب التراجم أغفلوا الحديث عن هذا الداعية الخطير مع أنهم ترجموا لمن هو أقل من المؤيد شأننا سواء في الأدب أم في تاريخ الفكر الاسلامى أم في تاريخ الاسلام السياسى ، وحسبك أن تدرك خطر هذا الداعى أنه استطاع أن يدخل ملكاً من الملوك البويهيين في دعوته ، وأنه حاول القضاء على الدولة العباسية بتأليب أمراء العراق والشام على القائم بأمر الله العباسى ، ونجحت مساعيه في إقامة الدعوة لامامه المستنصر الفاطمى على منابر بغداد سنة ٤٥٠ هـ ، ولولا أمور لا طاقة له بدفعها لقضى على الخلافة العباسية قضاء تاماً ، ولغير وجه التاريخ الاسلامى ، كما أنه استطاع أن يعيد مدينة حلب إلى أملاك الفاطميين بعد أن أعيت جيوشهم ، هذا بعض نشاط المؤيد في الدين داعى الدعوة السياسى الذى أهمل المؤرخون وأصحاب التراجم التحدث عنه في كتبهم ، فللأستاذ سارجوليوث العذر في أنه لم يوفق لمعرفة حياة هذا الداعية . وظلت حياة المؤيد في الدين مجهولة حتى نشر الأستاذ الدكتور حسين همدانى سنة ١٩٣٢ بحشه عن «تاريخ وأدب الدعوة الاسماعيليه في أواخر عصر الفاطميين» (١) ، وتحدث في هذا البحث عن المؤيد في الدين حديثاً طويلاً وذكر أنه اعتمد في كتابة هذا البحث على كتاب «السيرة المؤيدية» . ثم نشر الأستاذ الكبير و . ايفانوف المستشرق الروسى كتابه «المرشد إلى أدب الاسماعيليه» (٢) وذكر فيه أن كتاب السيرة المؤيدية لا يزال موجوداً في خزائن الدعوة بالهند ، فسينا جهدنا للحصول على هذا الكتاب فكان من حسن طالعنا أننا وفقنا إلى الحصول على نسختين خطيتين من «السيرة المؤيدية» وعلى أربع نسخ خطية من ديوان المؤيد في الدين داعى الدعوة ، وعلى نسختين خطيتين من «كتاب المجالس المؤيدية» وهى مجالس التأويل التى كان يلقيها على جمهور المستجيبين وهى ثمانمائة مجلس ، فكانت هذه الكتب وغيرها من كتب الدعوة التى حصلنا عليها أصدق عون لنا في التعريف بالمؤيد في الدين ثم بالعقائد التى كان يدعو لها ، أهلتنا لأن ننشر ديوان المؤيد وسيرة المؤيد وغيرهما من كتب الفاطميين .

(١) *The History of the Isma'ili Da'wat and its Literature during the last Phase of the Fatimid*

Empire, J.R.A.S., Part I, 1932.

(٢) *A Guide to Ismaili Literature*

سيرة المولى الذي كمل الدعاء

ترجمة حياته بقلمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

لم يحدثنا المؤيد في سيرته عن حياته بأكملها ، ولم يذكر لنا شيئاً عن أسرته ولا عن أساتذته ، فقد كان رجلاً يدين بالستر فلم يشأ أن يزيح الستر عن شيوخه الذين أخذ عنهم ، ولا عن الدعاة الذين اتصلوا به وأخذوا عنه ، واكتفى بأن جعل آخر رمضان سنة ٤٢٩ هـ بدء سيرته ، ويخيل إلى أن المؤيد عند ما بدأ بكتابة سيرته لم يشأ أن يكتب ترجمة حياته ، إنما أراد أن يؤرخ ما حدث بينه وبين الملك أبي كاليجار البويهى في شيراز ، ثم توسع المؤيد في سرد الحوادث وتفصيلها واستطرد في ذكر بعض الحوادث التى أسهم فيها ، فكان نتيجة ذلك أنه كتب جزءاً هاماً من تاريخ حياته ، ولا ندرى ما الذى دفع المؤيد إلى الاقتصار على هذا الجزء من تاريخ حياته مع أنه عاش نحواً من عشرين عاماً بعد تلك الحوادث التى ختم بها سيرته ، معنى هذا كله أن المؤيد لم يترجم لنفسه إلا لجزء يسير من حياته وهو الجزء الذى يقع بين سنة ٤٢٩ هـ وبين سنة ٤٥٠ هـ ، أما قبل سنة ٤٢٩ هـ ، فليس بين أيدينا مصادر تحدثنا عنه ولا عن أسرته ، ولعل الإشارة الوحيدة التى وردت في السيرة عن والده هى قول المؤيد لوزير الملك أبي كاليجار «إن والدى كان في هذا البلد متسماً بهذا الاسم ، مرتسماً بهذا الرسم ، وكان له من المكنة واليد والقدرة ما كان يغنيه أن يطأ عتبة باب ، أو يقاسى ذل حجاب ، وكان الوزير أبو غالب الواسطى — الملقب بفخر الملك — وزير الوزراء الذى كان ما كان باتساع مكنته وانبساط يده ، نازلاً هذه الدار التى تنزلها ، فلم يعهد والدى قط داخلاً إليه ولا مسلماً عليه ، ووجد ذلك غير دفعة يزوره ليلاً في بيته ويغشاه في منزله»^(١) فهذا النص هو الوحيد في السيرة الذى ورد فيه ذكر أبيه ، ومنه نعرف أن والده كان داعى دعاة المذهب الفاطمى في إقليم فارس ، وأنه كان على جانب من عزة النفس والمكانة بين مواطنيه حتى أن الوزير الواسطى كان يزوره في منزله دون أن يزور هو الوزير في منزله أو في دار وزارته . ويخيل إلى أن المؤيد أخذ عن والده موسى بن داود علوم الدعوة ، فقد كان والده يهوى ولديه لهذا المنصب من بعده ، فقد ورد في رسالة مباسم البشارة بالامام الحاكم لأحمد حميد الدين بن عبد الله الكرمانى المتوفى سنة ٤١٢ هـ ، أن الامام الحاكم بأمر الله قال في آخر سجل ورد نواحى فارس على موسى بن داود جواباً عما كان اختاره من إقامة ولديه مكانه توبيخاً له وإنكاراً لقوله «وأما فتياك وما ذكرت أنك تورثه لها ، فذلك على ما يراه الامام في وقته وحينه ، الأيام تعد يا موسى ، والأنفاس تحصى ، والرد إلى الله تعالى وإلى وليه أحق وأحرى ، ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ، واذكر ربك إذا نسيت ، وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشداً»^(٢) ، ومن يدرى

(١) راجع صفحة ١٥٠ . — (٢) مجموعة رسائل الكرمانى (نسخة خطية بمكتبتى) .

لعل المؤيد اتصل ببعض كبار رجال الدعوة في عصره وأخذ عنهم ، وربما اتصل بأحمد حميد الدين الكرمانى الذى لقب بحجة العراقيين ، والذى يعد من أكبر فلاسفة المذهب وعلمائه ، فقد شاهد المؤيد في صباه السنوات الأخيرة من حياة الكرمانى ، وربما اتصل به ، وأخذ عنه شيئاً من العلوم التى أهلته لأن يبلغ ما بلغه من علوم الدعوة حتى وصف نفسه بقوله لامامه المستنصر بالله « وأنا شيخ هذه الدعوة ويدها ولسانها ومن لا يماثلنى أحد فيها (١) » .

ومهما يكن من شىء فانا نستطيع أن نستخلص من كتبه التى بين أيدينا أنه ولد في شیراز حوالى سنة ٣٩٠ هـ (٢) ، وأنه تدرج في مراتب الدعوة حتى صار حجة جزيرة فارس ، وعرف بنشاطه في الدعوة لمذهبه حتى أوغر صدور جمهور أهل السنة ، وصدر الملك أبى كاليبجار البويهى ، حتى إذا كان سنة ٤٢٩ هـ عزم الملك على نفى المؤيد من شیراز على نحو ما رواه المؤيد في سيرته . وترك المؤيد يروى حياته بعد ذلك ، وكيف استطاع أن يتقرب إلى أبى كاليبجار ، بل كيف أقنع الملك إلى الاستجابة إلى دعوته ، وأن يتخذ المؤيد تلميذاً له في أمور دينه ، ثم كيف ثار جمهور أهل السنة في فارس واستعانوا بالخليفة العباسى في بغداد الذى اضطر إلى أن يهدد أبى كاليبجار بالاستغاثة بالسلاجوقيين ، فاضطر أبى كاليبجار إلى أن يبعد المؤيد عنه ، كما اضطر المؤيد إلى أن يهرب من فارس وأن يفر إلى مصر سنة ٤٣٨ هـ . ثم يحدثنا المؤيد عن حياته في مصر وعن علاقته ببعض الوزراء ورجال بلاط المستنصر بالله ، ويذكر المؤيد في صراحة أن المستنصر بالله الامام الفاطمى كان ألوبة في أيدي رجال دولته ، وأنه كان محجوراً عليه ، وأن أم الامام ووكلاءها كانوا هم المتصرفون في أمر البلاد ، ففي حديث المؤيد إلى أبى سعد التستري «أيها الشيخ : اعلم أنه ما مجتنى ديارى من فمها إلا تكشفاً بخدمة هذه الدولة العلوية ، وتخوفاً من الجهة العباسية ، وتسليلاً من فتنة كاد شرها يهلكنى وغرقها يدركنى ، لا أننى لسعت بحمم الاسلاق فأويت إلى درياق الانتفاع والارتفاق ، فما الداعى إلى قصدى هذا غير داعى الايمان ، وما المقصود إلا صاحب القصر الذى هو إمام الزمان دون الوزراء والوسائط والأعوان ، فان كان هذا المقصود يعلم أننى أنا الرجل الذى فيه أخرجنا من ديارنا وأبنائنا — كما قال الله تعالى — وهو يأنف على من لقائه بلحظة ، ومن خطابه فيما يشرح الصدر بلفظة ، فبختنصر أولى بأن يقام في خدمته على ساق ، وأوقع منه من مواقع استحقاق ، وإن كان لوجهه إلى التفاتة غير أن عنده وجهاً عنى يلفته ، ولسانه معنى مخاطبة سوى أن له مسكتاً عن خطابى يسكته ، فلا خير

(١) راجع ص ٩٩ . — (٢) ديوان المؤيد في الدين داعى الدعاة ص ٢١ وما بعدها .

في المقام على باب من يكون محجوراً عليه ، ويكون مقاليد أموره بيدي غيره لا بيديه» (١) .
ونحن نعجب أن يصدر مثل هذا الكلام عن شيخ من شيوخ الدعوة في حق إمام عصره الذي يدعو له ويدين بإمامته وطاعته بل وعصمته ، وكان من حق المؤيد وهو من شيوخ الدعوة أن يشيد بالامام المعصوم ويتجنب التعريض له من قريب أو من بعيد ، وأن يجعل هذا الامام فوق هامات البشر — كما فعل المؤيد في ديوانه — ولكن المؤيد في سيرته هذه يعطينا صورة دقيقة صادقة لما كانت عليه مصر في النصف الأول من القرن الخامس للهجرة ، بعد أن خلع عن نفسه صفته المذهبية ، وطرح عن نفسه عقيدته الدينية في الامامة ، ولبس مسوح المؤرخ العالم الذي يكتب ليرضى نفسه قبل أن يرضى السلطان أو الوزير ، ويصف ماشاهده من وقائع وأحوال دون أن يتأثر بمؤثرات الدين ، أو يتطلع إلى رئاسة ، وإذا كان المؤيد لم يأبه بإمامه المعصوم على هذا النحو ، وتحدث عنه هذا الحديث الذي يجعل من إمامه المعصوم العوبة في أيدي غيره ، فكذلك تحدث عن الوزراء ورجال الدولة الذين استغلوا ضعف الامام فتلاعبوا به ، وبالبلاط لمصلحتهم الشخصية ، حتى اضطربت أمور مصر وأدى الأمر إلى المحنة التي عرفت في التاريخ بالشدة العظمى المستنصرية .
حقيقة لم يأت المؤيد في هذا الحديث بشيء جديد على المؤرخين ، فان ذلك كله مسطر في كتب التاريخ ، ولكن الجديد الذي لا أكاد أجده مثيلاً في كتب التاريخ الاسلامي ، أن المؤرخ تحدث عن ذلك كله صراحة في حياة الامام وعلى مسمع من وزرائه بينما لم يعودنا المؤرخون أن يوجهوا انتقاداً أو لوماً إلى الملوك والأمراء في حياة الملوك والأمراء . بل كان من المؤرخين من اضطر إلى تغيير بعض الحقائق التاريخية لجلب منفعة لنفسه أو دفع مضرة ، وقد تحدث ابن خلدون في مقدمته حديثاً طويلاً عن هؤلاء المؤرخين وضرب أمثلة عديدة لأقوال بعضهم وناقشها مناقشة دقيقة واضطر إلى دفعها أخيراً ، أما المؤيد في الدين فقد كتب ما كتبه في سيرته ، وتحدث عن الامام والوزراء بما تحدث به دون أن يتطلع إلى منفعة يبتغيها أو يخشى أذى يلحق به ، فكانت كتابته على هذا النحو جديدة على التاريخ الاسلامي ، ويكفي أن تقرأ قول المؤيد عن حالته النفسية قبل أن يدخل مصر وبعد أن استقر بها لتدرك أن المؤيد كان صادق اللمعة في حديثه ، دقيقاً في تعبيره عن شعوره وإحساسه . قال المؤيد : ولما حصلت بالحضرة الشريفة على النصب المقدم ذكرها ، كنت استصحبته إليها من البضاعة ما كانت تحدثني نفسي أنه به أفلاح ، وبه يكون توجهي تقدمي ، ومنه أطأ فوق النجوم بقدمي لكون متجري فيها ربيعاً وسعيي نجيحاً ،

وكوني بالفضل معها مبرزاً وعن كل قرن متميزاً ، فكشف لي الزمان عن كون البضاعة التي كان رجائي فيها هذا الرجاء باثرة كاسدة مستردلة مستذلة ، فسقط في يدي وعمي على طريق رشدي ، وقلت الآن ضل السعي وخاب الأمل ، وبطل المعتمد عليه والمتكل ، وألجأتني الضرورة إلى غيرها من بضاعة مزجاة ما كنت اعتدتها طول دهري ، إذ كان حظي منها كحظ غيري ، فلولا أنها تقوم بي وتريش قليلا سهمي لما قامت لي راية في مجامع الناس ، ولتلاعبت بي أيدي الأوضاع منهم والחסاس^(١) ويزداد إعجابنا بصراحة هذا المؤرخ الفذ إذا علمنا أن البضاعة التي كان أعدها لرفع شأنه هي علوم الدعوة التأويلية ، مما يدلنا على أن الدعوة قد بدأت تضعف في مصر ، وأن القائمين عليها لم يأبهوا بها ، فاضطر المؤيد أخيراً إلى أن يجاريهم في هذا المضمار .

ثم يترك المؤيد مصر في أسر خطير نيط به القيام عليه ، وكان المؤيد أول من فكر فيه وسهد له مع وزراء مصر ، فعهد إليه المصريون أن يتمم ما بدأه ويتكفل بتنفيذ ما شرع فيه ، ذلك الأمر أن يكون على رأس مدد الأموال والخلع التي أرسلها المصريون إلى البساسيري لينتقوى بها في حركته ضد العباسيين والسلجوقيين ، فيحدثنا عن هذه النصبه التي وليها وجهوده في تحقيقها ، وكيف جذب إليه قلوب الأمراء العديدين الذين استقلوا باماراتهم في العراق وشمال الشام ، ولم يتركوا للخليفة العباسي سوى الخطبة على المنابر ، وكانوا كثيراً ما يترددون بين الدعوة للعباسيين والدعوة للفاطميين دون أن يكون لهم رادع من دين دانوا به أو عهد عاهدوا عليه ، بل كان النفاق ديدنهم ، والطمع في أموال وخلع العباسيين والفاطميين رائدهم ، كما كانت الحروب بين هؤلاء الأمراء مستعرة دائماً مما أضعف الدولة العباسية وأطمع فيها البويهيين ثم السلاجقة .

كان أكبر هذه الامارات أثراً في القرن الخامس هي : بنو مزيد في الحلة (٣٠٣-٥٤٥هـ) ، وبنو مروان في ديار بكر (٣٨٠-٤٨٩هـ) ؛ وبنو عقيل في الموصل (٣٨٦-٤٨٩هـ) ، وبنو مرداس في حلب (٤١٤-٤٧٢هـ) ، وسوى هذه الامارات كان بعض الأمراء يحتل بلداً ، ثم سرعان ما ينتقل هذا البلد إلى يد أمير آخر بعد حروب ومحن ، وهكذا كان أسر البلاد في اضطراب ليس بعده اضطراب ، والأمراء في منازعاتهم ومشاحناتهم بعضهم مع بعض مما جعل موقف المؤيد دقيقاً حرجاً ، ووصف في سيرته علاقته بهؤلاء الأمراء ، حتى استطاع أن يؤلف بينهم فهزموا السلجوقيين في أول الأمر ، ولكنهم لم يلبثوا أن انفصم عرى شملهم فسهل على طغرلبيك أن يوقع بهم ، وتتوالى الحوادث فيدخل البساسيري بغداد سنة ٤٥٠هـ ،

ويدعو فيها للمستنصر الفاطمي صاحب مصر ، ولكن بعد عام واحد عاد طغرلبيك ، واستخلص بغداد من أيدي البساسيري بفضل مساعدة الأمراء الذين كانوا يؤيدون البساسيري من قبل ، ويعود القائم بأمر الله العباسي إلى مقره في بغداد .

✓ عاد المؤيد إلى مصر قبل أن يدخل البساسيري بغداد بقليل ، بعد أن بذل هذه الجهود المضنية ، وعرض نفسه لأخطار جسيمة ، ووصف دخوله مصر بأنه « دخول المهزوم لا الهازم ، والمكسور لا الكاسر ، والمغلوب لا الغالب ، ولقيت ما كنت آمله من التقدير والاعلاء والرفع إلى مناصب الجوزاء عكساً وضداً (١) » .

✓ ثم لم يحدثنا المؤيد عن حياته بعد ذلك ، ولكننا نعلم من مصادر أخرى أن المؤيد أصبح داعي الدعوة سنة ٤٥٠ هـ ، وأن الوزير عبد الله بن يحيى بن المدبر في إحدى نوبتيه للوزارة نفى المؤيد من مصر (٢) ، فرحل إلى القدس ثم عاد إلى مصر مرة أخرى ، وينزل في داره ملك بن مالك قاضي الصليحيين باليمن مدة خمس سنوات ، استوعب فيها ملك علوم الدعوة عن المؤيد ، فأصبح المؤيد بذلك أستاذ الدعوة في اليمن ، وهي الدعوة التي عرفت بعد ذلك باسم الدعوة الطيبية وتعرف الآن بالبهرة . وتوفي المؤيد سنة ٤٧٠ هـ ، ودفن في دار العلم بعد أن صلى عليه إمامه المستنصر بالله .

هذا ملخص حياة هذا الداعية ، الذي أهمل الكتاب والمؤرخون الحديث عنه ، فلا هم ذكروه مع العلماء مع أن مؤلفاته لا تزال تحتفظ بمنزلتها الرفيعة بين البهرة ، ولم يذكره بين الشعراء ، مع أن البهرة لا يزالون يرددون بعض قصائده على نحو ما يقرأ الصوفية أورادهم ، ولم يذكره بين رجال السياسة مع جهوده السياسية التي أشرت إليها من قبل ، وفصلها هو في سيرته ، ونحن نعجب للمؤرخين وأصحاب كتب التراجم كيف أغفلوا الحديث عن المؤيد في الدين ، فهل تعمدوا ذلك لأنه كان يدين بمذهب غير مذهب أهل السنة ؟ ولكني أراهم قد ترجموا لكثير من رجال الشيعة ، ولبعض أصحاب المذاهب اللاحادية ، فمذهب المؤيد لا يمنع المؤرخين من الحديث عنه . وإذا قلنا إنهم أهملوا الحديث عنه لأنه أقل شأنًا من أن يتناولوه بالحديث ، فنراهم قد ترجموا لمن هو أضعف شأنًا وأثراً في الحياة من المؤيد ، فلم يبق لتعليل إغفال المؤرخين أمر الحديث عنه سوى تدين الاسماعيلية بالستر ، فهم يسترون دعائهم وكتبهم وعقائدهم حتى لا يعرفها إلا من اعتنق مذهبهم ، ولهذا لا تجد ترجمة حياة علماء الدعوة في المراجع التي بين أيدينا مع أن كتبهم وصلتنا ، فتحسن لا نكاد نعرف شيئاً عن أبي حاتم الرازي ، ولا عن أبي يعقوب السجستاني ، ولا عن أحمد

(١) ص ١٧٧ . - (٢) ابن منجب ص ٤٨ .

حميد الدين الكرمانى ، وهم أكبر شيوخ الدعوة فى القرن الرابع والخامس للهجرة ، فلم لم يكتب المؤيد فى الدين شيئاً عن حياته فى السيرة المؤيدية ، ولو لم تصلنا هذه السيرة ما كنا نعلم شيئاً عنه .

قيمة الكتاب

فاذا تركنا الحديث عن قيمة الكتاب من ناحية أنه ترجمة ذاتية لأحد دعاة مذهب يدين بالستر ، فكشف هذا الكتاب ما حاولوا ستره من جهود هذا الداعية فى سبيل مذهبه ، وهى ناحية هامة كانت غامضة عند الباحثين ، فاننا نستطيع أن نلمس قيمة هذا الكتاب فى عدة نواح أخرى منها ما هو متصل بالعقائد ، ومنها ما هو متصل بالتاريخ ، ومنها ما هو متصل بالأدب .

أما من ناحية العقائد الفاطمية فاننا نرى الداعى يذكر فى سيرته :

١ - احتفاله بعيد الفطر سنة ٤٢٩ هـ ، قبل احتفال جمهور أهل السنة بيوم^(١) ، وهذه ناحية هامة فى عقائد القوم تخالف ما عليه جمهرة المسلمين وهى سبب كتابة السيرة المؤيدية ، فان الفاطميين لم يتخذوا رؤية الهلال لمعرفة ابتداء شهر الصيام رؤية بصرية ، بل رؤية استبصار ، ولدعاتهم فى هذا الموضوع أحاديث كثيرة ، وكتب مؤلفة يحاولون فيها دحض أقوال جمهور أهل السنة ، وإثبات عقيدتهم هذه ، فمن ذلك ما قاله صاحبنا المؤيد فى الدين فى مجالسه .

زعم الزاعمون أن شهر رمضان يتم تارة وينقص أخرى ، وأن صيامه مبنى على رؤية الهلال ، واحتجوا بقول النبى صلى الله عليه وسلم «صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غم عليكم فأكملوا ثلاثين» ؛ وهذا القول فاسد من عدة وجوه نحن نذكرها ونقيم الأدلة على كون شهر رمضان كاملاً أبداً ، لا يعتريه النقص بحال من الأحوال ، ونبدأ بالرد على من يحتج بالخبر «صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته» فنقول إنكم معترفون بكون مقتضى هذا الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد التوجه فى بعض الغزوات فى القرب من شهر رمضان ، فاجتمع إليه أصحابه فقالوا : يا رسول الله ، كنا نصوم بصومك ونفطر بافطارك ، فكيف حالنا فى غيبتك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته» فقد دل حيز الخبر على وجوب الصوم بصوم الرسول ، إذا كان حاضراً أو من يقوم مقامه

(١) راجع ص ٥ وما بعدها ، وص ٩٥ وما بعدها .

إذا كان غائباً ، ووجوب الفطر بافطاره ، وإن الصوم على رؤية الهلال من قضايا الضرورة في حين عدم الرسول والامام الذي يقوم مقامه ، فإذا كان الرسول حاضراً أو الامام حاضراً ، كان قانون الغرض أن يصام بصومه ويفطر بافطاره . كما قال القوم للنبي صلى الله عليه وسلم : « كنا نصوم بصومك ونفطر بافطارك » . وأما قول من قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم برؤية الهلال ، فهو فاسد من ثلاثة أوجه : وجهان منها شرعيان ، ووجه عقلي ؛ فأما أحد الوجهين الشرعيين : فمعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول وهو صادق : إن الروح الأمين جبرائيل يغشاه بكرة وعشيا بالوحي والقرآن الكريم ، ومن كان جبرائيل يأتيه بكرة وعشيا بأخبار السماء ، فلا حاجة به إلى أن يقلب وجهه في السماء يطلب الهلال ، وعنده من يأتيه بالخبر اليقين . والوجه الآخر : أنه مأثور عنه صلى الله عليه وسلم في الأخبار أنه قال : « أنا بطرقات السماء أعرف منكم بطرقات الأرض » . فلو أنه بعد هذا القول شوهد يطلب الهلال لقليل له : فأين قولك بالأمس « إنك بطرقات السماء أعرف منا بطرقات الأرض » . أما الوجه العقلي : فمعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم منزه أن يخفى عليه من حال الاختلاف في مطالع الأهلة ومرايها مالا يكاد يخفى على منجم ، وإن أوضاع الأرض مختلفة ، فمنها مرتفع يقضى بأن تكون رؤية الهلال أسرع مثل رءوس الجبال وما يجري مجراها ، ومنها مستسفل يقضى بأن تكون الرؤية فيه أبطأ . وإذا كان معلوم من حاله أن ذلك مما لا يخفى عليه فكيف يوجب العقل مع معرفته باختلاف المرائي أنه يفرض فريضة الصوم المتعلقة بفريضة الحج على الناس كافة على بنية واحدة وهو يعلم أنها لا تصح ، لأن قوما يرون في ليلة ما وقوما لا يرون ، ثم لا يصح أن يوماً واحداً يكون من شعبان حيث لا يرى ، أو من رمضان حيث لا يرى ، ومن شوال حيث يرى ، هذا مما يشك فيه عاقل ، ولا يدفعه إلا جاهل . وسوى هذا ، فقد قال الله سبحانه في محكم كتابه : « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » ، والذين من قبلكم مشار به إلى النصارى ، وصيائهم غير متعلق بالرؤية بل بالحساب . ثم قال سبحانه تأكيذاً « أياماً معدودات » ، والأيام المعدودات هي التي لاتزال معدودة ، ولا يحتاج فيها إلى رؤية الهلال ولا نظره ، فلو كان يحتمل أن يكون شهر رمضان تارة ثلاثين ، وتارة تسعة وعشرين لما قال أياماً معدودات قطعاً . وقول آخر : لما كان موضوع السنة أن يكون ستة أشهر كاملة وستة أشهر ناقصة ، وجب أن يكون أصلها وبنائها موضوعاً على الكمال دون النقصان ، فالشهر الأول الذي هو الحرم كامل وصفه ناقص ، وربيع الأول كامل وربيع الآخر ناقص ، وجهادى الأولى كامل وجهادى الآخرة ناقص ورجب كامل وشعبان ناقص ، وشهر رمضان كامل . قال النبي صلى الله

عليه وسلم (ما تم شعبان ولا نقص رمضان) بدليل على نقص شعبان ليلة النصف منه ، ولا نصف لرجب ولا لشهر رمضان ، وذلك أن ليلة النصف من شعبان ليلة الخامس عشر منه ، وهذه الليلة ليلة النصف بالحقيقة لكون أربعة عشر قدامها وأربعة عشر خلفها ، وهي في النصف ولا يكاد يصح ذلك في شهر رمضان ، ومما يدل على كمال شهر رمضان أيضاً موضوع أمر الكفارات من أفطر فيه يوماً متعمداً ، وهو أن يصوم شهرين متتابعين توبة إلى الله ، وهو مثلاً شهر رمضان ستون يوماً ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً ولو كان يحتمل أن يكون شهر رمضان تسعة وعشرين يوماً لاحتمل أن تكون الكفارة إطعام ستين مسكيناً أو ثمانية وخمسين مسكيناً^(١) .

وتحدث أحمد حميد الدين الكرمانى عن هذا الموضوع في رسالته الموسومة «بالرسالة اللازمة في صوم شهر رمضان وحينه^(٢)» وذكر في مقدمتها أنه كتبها لأن المسلمين «قد كثرت أقاويلهم طعنا منهم على الجماعة ، وتعكيراً لهم في دخولهم الصوم قبل العامة ، وسألت أن أشرح لك أمر الصوم في دخول جماعة شيعة أمير المؤمنين قبل أولئك وخصوصاً سنة أربعمائة التي أوجبت الأوامر الواردة من الحضرة الطاهرة الدخول فيه بيومين قبل رؤية الهلال عياناً» ، وحديث الكرمانى ينصب كله في إثبات أن الرؤية يجب أن تكون رؤية علمية ، وكذلك فعل صاحب كتاب عيون المعارف^(٣) . فموضوع بدء شهر الصوم ، وهو الموضوع الذى بسببه كتب المؤيد سيرته ، من أهم موضوعات الخلاف بين عقائد الفاطميين وجمهور أهل السنة ، كما كان من أقوى الأسباب إلى نهضة علمية في مصر الفاطمية ولا سيما في الرياضيات والفلك ، والذى بسببه عرف الفاطميون بالشغف بدراسة النجوم وحركاتها ، وإقامة المراصد ، وعمل الزيجات .

٢ - وجوب طاعة الله والرسول والأئمة من نسله^(٤) حتى قال المؤيد في رده على ابن المسلمة «وليس اعتقادي في هذا الانسان الذى هو بمصر وقلت إنه لا ينفعنى ولا يضرنى كاعتقادك في مرسلك»^(٥) ، وأن الأئمة هم الذابون عن الدين ، المدافعون عن المسلمين .

٣ - عقيدة أخرى من عقائد الفاطمية تحدث عنها المؤيد في هذا الكتاب ، وهي عقيدة وجوب تأويل القرآن الكريم تأويلاً باطنياً^(٦) ، وكانت هذه العقيدة من موضوعات المناظرات التى جرت بين المؤيد وبعض العلماء في حضرة الملك أبى كاليبجار البويهى .

(١) من المجلس الثانى والأربعين من المائة الأولى من المجالس المؤيدية (نسخة خطية بمكتبتى) .

(٢) مجموعة رسائل الكرمانى . نسخة خطية بمكتبتى .

(٣) راجع أيضاً كتاب المجالس المستنصرية ص ١٢٧ وما بعدها .

(٤) ص ٢٦ . - (٥) ص ٦٦ . - (٦) راجع ص ١٦ وما بعدها .

ع - وكذلك تحدث عن وجوب أخذ العلم عن الأئمة المنصوص عليهم من أهل البيت دون العمل بالرأى أو بالقياس (١) .

ه - أخذ العهد والميثاق على كل من دخل في الدعوة (٢) .

و - أشار المؤيد إلى مكانة الداعي في نفوس المستجيبين ، فالداعي هو أحد الحدود الجسمانية ومعرفته وطاعته من معرفة إمام الزمان وطاعته ، ولذلك قال المؤيد عن أتباعه : معلوم ما بيني وبين الديلم من الأحوال الممهدة والأسباب المؤكدة وأن أحدهم إذا اختصم مع أهله ليلاً فإنه يباكرني شاكياً إلىَّ ومورداً جملة أهله وتفصيله علىَّ (٣) ، ويقول أتباعه عنه «أنهم قوم يعتقدون اعتقاداً تقرر في نفوسهم حقه ، وتؤكد عليهم بعهود ومواثيق أخذوها فرضه ، وأنهم يتخذون هذا الرجل القيم به أباً لهم وأخاً وصاحباً ومحلاً لكل سر ومفزعاً في كل خير وشر» (٤) .

وهكذا نستطيع أن نتخذ من كتاب السيرة المؤيدية مصدراً من المصادر التي منها نعرف شيئاً عن عقائد الفاطميين بعد أن ظلت موضع حدس الكتاب والمؤرخين عدة قرون . أما من الناحية التاريخية ، فالكتاب كله في التاريخ ذلك أن المؤيد كما قلنا من قبل كان يسهم في الأحداث الهامة التي كانت في الربع الثاني من القرن الخامس للهجرة ، ونستطيع أن نقسم حياة المؤيد في هذه السنوات إلى ثلاثة أدوار :

الدور الأول : إبان إقامته في فارس قبل اتصاله بالملك أبي كاليجار وبعد هذا الاتصال ، في هذا الدور يتحدثنا المؤيد عن بعض نواحي الحياة في فارس ، وعن لون من ألوان الحياة التي كان يحياها الملك ورجال حاشيته ، وعن انقسام أهل فارس إلى طائفتين متعاديتين متشاحتين : طائفة أهل السنة وطائفة الشيعة ، وكيف كانت تكيدهما إحداهما للآخرى ، وكيف اعتنق الملك أبو كاليجار عقيدة الفاطميين على يد المؤيد ، ثم عاد إلى مصانعة العباسيين عند ما رأى الشعب دب في روح الثورة ، ثم نقرأ رأى أبي كاليجار بعد ذلك في خطابه إلى المؤيد ، فهذه كلها معلومات لم يتحدث عنها أحد من المؤرخين ، فكتاب السيرة له قيمة كبرى في دراسة فترة من تاريخ فارس في القرن الخامس للهجرة .

ناحية أخرى يظهرها لنا هذا الكتاب : تلك هي أن أهل السنة كانوا السواد الأعظم في فارس في هذا القرن ، وأن الشيعة كانوا مستضعفين ، فهل نستطيع إذن أن نجاري بعض المؤرخين والكتاب الذين ذهبوا إلى أن التشيع كان فارسي الأصل ، أو أن الفرس هم الذين احتضنوا هذه العقيدة منذ وجدت ؟ فإذا صح هذا القول منهم فكيف نوفق بين قولهم

(١) ص ٢٤ - (٢) ص ١٢٢ - (٣) ص ٩ - (٤) ص ١٠ .

ويبين حديث المؤيد أن مذهب السنة كان الغالب على سكان البلاد ؟ هذا موضوع سنتحدث عنه في بحث خاص في غير هذا الكتاب .

ومما نلاحظه على هذا القسم أن المؤيد كان إذا أراد أن يتحدث عن الشيعة في فارس فكان يذكرهم بالديلم ، فالديلم في هذا الكتاب ترادف الشيعة دائماً بصرف النظر إذا كان الشيعة من بلاد الديلم أم كانوا من غيرها ، أما في الكتب التاريخية التي بين يدي فلا أكاد أجد الديلم ترادف الشيعة ، حقيقة أجد أن الديلم كانوا يدينون بالتشيع وأن أكثرهم كانوا على مذهب الزيدية وأقلهم على مذهب الاسماعيلية أو مذهب الاثنى عشرية أما إطلاق الديلم على الشيعة عامة في فارس ، فهذا في أغلب الظن جديد على المؤرخين الذين كتبوا بالعربية ، وإنى أترك تحقيق هذا الموضوع إلى زملائي المختصين بالدراسات الإيرانية لمعرفة إلى أي حد كان مؤرخو الفرس يطلقون الديلم على الشيعة .

الدور الثاني : وهو حياة المؤيد في مصر قبل ثورة البساسيري وقد تحدثنا عن قيمة هذا الجزء من السيرة .

الدور الثالث : وهو الذي وصف فيه المؤيد دوره في مؤامرة البساسيري ، ولعل هذا الجزء من الكتاب هو أقوم أجزائه ، فقد ذهب المؤرخون في هذه الثورة مذاهب شتى ، وإذا تصفحنا كتب التاريخ فاننا لا نجد فيها ذكراً لجهود المؤيد في الدين داعي الدعاة في هذه الثورة اللهم إلا ما ذكره ابن ميسر في قوله « وفي صفر سنة ثمان وأربعين وأربعمائة هـ جهز الوزير اليازوري خزائن الأموال على يد المؤيد في الدين لأبي الحارث البساسيري » (١) وقال ابن منجب الصيرفي « وكان طغربك قد وصل من خراسان إلى بغداد واتفق بعد وصوله إليها أن عاد معظم رجاله إلى خراسان وخفت عساكره فأقام اليازوري أبا الحارث البساسيري مناصباً له ، وأمدّه بالمؤيد في الدين أبي نصر هبة الله بن موسى وأهبطه الأموال » (٢) وفي كتاب مرآة الزمان « وكثرت الأراجيف بانضمام جماعة البساسيري ووصول أبي نصر بن أبي عمران الداعية رسولا من مصر بمال كثير وخلع وألقاب وأنه أخذ البيعة عليه (أي على البساسيري) وعلى من معه من الأتراك والأكراد والعرب وأنهم على عزم قصد بغداد » (٣) . هؤلاء هم المؤرخون الذين ذكروا المؤيد في الدين في هذه الثورة الخطيرة التي كادت تودي بالخلافة العباسية وتغير وجه التاريخ الاسلامي ، ومع ذلك فإن هؤلاء المؤرخين لم يتحدثوا إلينا عن الدور الذي قام به المؤيد في هذه الحركة ، إذ يحدثنا المؤيد في سيرته أنه كان

(١) تاريخ مصر لابن ميسر ص ٨ . - (٢) الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٦٩ .

(٣) ج ١٢ حوادث سنة ٤١٨ نسخة خطية بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ١٥٠٦ .

العقل المدبر واليد المحركة لهذه الثورة ، ويسرد تفاصيلها منذ بدأ يفكر فيها ، وهي تفصيلات أهمل المؤرخون ذكرها ولا نجد لها في غير «السيرة المؤيدية» من الكتب .
ومما زاد في قيمة هذا القسم أن المؤيد أودع سيرته نصوص رسائله إلى أمراء العراق وأمراء الشام ووزراء مصر ، وبعض إجاباتهم على رسائله ، فكانت هذه الرسائل وثائق تاريخية لهذه الثورة وفيها نجد جهود المؤيد وما بذله من نشاط في سبيل القضاء على العباسيين والسلجوقيين معاً .

وإذا رجعنا إلى الكتب التاريخية ، وقارنا بين ما جاء بها عن السلجوقيين وثورة البساسيري وما أثبتته المؤيد في سيرته نرى بعض اختلافات ، من ذلك أن ما ذكره أبو كاليبجار في خطابه إلى المؤيد أن السلجوقيين — وكانوا لا يزالون في خراسان — يريدون قصد أملاك الفاطميين لولا وقوف الملك أبي كاليبجار بجنوده حائلاً بينهم وبين مقصدهم^(١) فإن مثل هذه الإشارة إلى عزم السلاجقة غزو بلاد الفاطميين لم يرد لها ذكر في كتب التاريخ العامة أو كتب تاريخ السلاجقة ، ومن يدري لعل خطاب الملك أبي كاليبجار كان من أهم العوامل التي دفعت المؤيد إلى أن يسيء الظن بالسلاجقة ويتهم حركتهم إلى البرى سنة ٤٤٦ هـ بأنها بدء حركة المقصود بها غزو أملاك الفاطميين ، فبدأ من ناحيته يعمل لدفع هذا الضرر عن دولة أئمتته .

كذلك حدثنا المؤيد أن طغرلبيك حالف البيزنطيين لاقتسام أملاك الفاطميين^(٢) ولكن كتب التواريخ لم تذكر شيئاً عن هذه المحالفة . وتذكر كتب التاريخ أن البساسيري هو الذي بدأ بمكاتبة الفاطميين بطلب معونتهم ، وأن ابن المسلمة رئيس الرؤساء كان يطلق لسانه في البساسيري ونسبه إلى مكاتبة المستنصر بالله صاحب مصر ، وذلك قبل أن يطلب الخليفة العباسي من الملك الرحيم أن يبعد البساسيري من واسط في رمضان سنة سبع وأربعين وأربعمائة هـ^(٣) ولكن الذي في السيرة المؤيدية أن المؤيد في الدين هو الذي بدأ بمكاتبة البساسيري عن صاحب مصر ، وأن كتب المؤيد لم تصل إلى البساسيري إلا بعد أن دخل طغرلبيك بغداد^(٤) .

وكذلك نقول عن عصيان إبراهيم ابن ينال ومفارقتة الموصل نحو الجبل مفارقاً طغرلبيك ، فقد ذهب المؤرخون إلى أن المصريين هم الذين استمالوه وحببوا إليه عصيان طغرلبيك بينما ذكر المؤيد أن إبراهيم هو الذي بدأ هذه الصلة ، بأن أرسل إليه رجلاً صوفياً يطلب منه

(١) راجع ص ٧٧ . — (٢) ص ٩٥ . — (٣) ابن الأثير ص ٩ وص ٤١٧ .

(٤) راجع ص ٩٦ .

ألقاب الفاطميين وخلعهم وأن المؤيد أجابه إلى ما طلب . ولعل المؤيد في هذا كله كان أصدق من المؤرخين لأنه كان يتحدث عن نفسه بينما روى المؤرخون عن غيرهم هذه الحوادث . على أننا نأخذ على المؤيد في الدين أنه أغفل الحديث عن أسباب غضب القائم بأمر الله العباسي على البساسيري واستعانتته بالسلاجوقيين ، فربما كان أمر هذا الخلاف أخطر مما حدثنا به المؤرخون ، وإن كان المؤيد يرجع هذا الخلاف إلى عدوه ابن المسلمة رئيس الرؤساء . وناحية أخرى أهملها المؤيد إهمالاً شديداً فهو لم يذكر تاريخ الحوادث بالسنيين والشهور فقارئ السيرة المؤيدية إن لم يكن ملماً بتاريخ القرن الخامس للهجرة فهو مضطر إلى الاستعانة بكتب التاريخ الأخرى حتى يستطيع أن يحدد زمن هذه الأحداث ، ولذلك اضطررنا إلى استدراك هذا النقص عند ذكر هذه الحوادث بتعليقات في الهامش . وهكذا نرى قيمة هذا الكتاب من الناحية التاريخية .

أما من الناحية الأدبية ، فكما أن كتاب السيرة المؤيدية قيم من ناحية دراسة عقائد الفاطميين ، وقيم من ناحية تاريخ القرن الخامس للهجرة ، فإن قيمته الأدبية لاتقل خطراً عن قيمه الأخرى ذلك أن المؤيد في الدين كان كاتباً قديراً يجيد صناعة الكتابة إجادة جعلته يقول للوزير اليازوري وقد جرى ذكر كتاب الانشاء بمصر : معلوم ما كان لتولى هذا الديوان من الجاه الوسيط والرزق السني الكثير ، ولئن كانت أشخاصهم مفقودة فإن آثارهم في صناعتهم حاضرة موجودة ، وأنت كاتب تفرق بين الجيد والردى والضعيف في الصناعة والقوى ، وأريد أن تعتبر من انتصب هذا المنصب من خمسين سنة إلى اليوم مقايسة إلى ، فإن كنت ممن يجرى في حلبتهم فرسه ، ويطول نحو أسرهم باعه فأنزلني منزلتهم من الجاه والمال وإلا فقل لي ما أنت مثلهم ولا في آفاقهم^(١) . والمؤيد في الدين هو الذي وصفه أبو العلاء المعري بقوله : « ولو ناظر أرسطاليس لجاز أن يفحمه أو أفلاطون لنبذ حججه خلفه »^(٢) ذلك أن المؤيد كان مثقفاً ثقافة واسعة فاستطاع أن يستغل هذه الثقافة في مناظراته ومجالسه ورسائله ، كما استغلها في هذا الكتاب التاريخي ، ولعل أظهر ما نراه من ثقافته في هذا الكتاب هي ثقافته الأدبية واللغوية ، فقد أخذ صناعة الكتابة المسجوعة عن الذين سبقوه فأسرف في استخدام السجع في كتابته ، ولم يكن المؤيد بدعاً في ذلك إنما كان السجع أسلوب عصره ، وعليه جرى كل الكتاب والأدباء ، فكتاب الرسائل والدواوين وكتاب المقامات والقصص كانوا يسرفون في السجع ويتعمدون عليها ويتخذون كتاباتهم المسجوعة صناعة يتصنعونها وينفقون جهداً كبيراً في الحرص عليها

(١) ص ٩٤ . - (٢) معجم الأدباء ج ٣ ص ٢٠٢ (طبعة فريد رفاعي) .

والتزامها ، حتى أن أبا العلاء كان يلزم نفسه في بعض نثره بما ألزم نفسه به في لزومياته من اتخاذ السجع في حرف وفي حرفين ، ولكن المؤرخين وأصحاب السير لم يلتزموا السجع في كل كتاباتهم ، والمؤيد في سيرته كان يسرف في السجع أحياناً ، ويترك كتابته على سجيها أحياناً أخرى ، ففي رسائله التي أودعها هذا الكتاب ، يكثر في استخدام السجع والبديع ، أما إذا سرد الحوادث أو تحدث عن نفسه فقد تمر بفقرات لا تجد فيها جملة مسجوعة ، وهو عند ما كان يعتمد السجع والزينة البديعية ولا سيما الجناس ، نرى أسلوبه يلتوى ويتعقد بعض الشيء ، فهو يضطر أحياناً إلى أن يباعد بين أجزاء الجملة فيضطر القارئ إلى تأملها ليربط بين أجزائها . أما تضميناته لآي الذكر الحكيم وبعض أبيات الشعر ، فهذه أيضاً ليست جديدة في الكتابة منذ القرن الثالث الهجري ، ولكن المؤيد لمكانته في الدعوة وتأثره الشديد بالقرآن الكريم كان يكثر من تضمين ألفاظ القرآن الكريم وآياته ، ومن الاقتباس منها ليحلى بها كتابته ، فاذا بأسلوب المؤيد في هذا الكتاب أسلوب أدبي لم نكد نعرفه عند الكتاب المؤرخين .

✓ وإذا تركنا أسلوب المؤيد نرى قيمة أخرى للكتاب . تلك أن المؤيد لم يكتب هذه السيرة إلا بعد أن وفد على مصر واستقر بها عدة سنوات ، فتأثر بفن السير الذي برع فيه المصريون وأكثروا من الكتابة فيه ، بل لا أغالى إذا قلت إن فن السير في تاريخ أدبنا العربي هو فن متأثر بشغف المصريين بالسير منذ أقدم عصورها التاريخية ، فقدما المصريين سجلوا سير ملوكهم وأبطالهم على جدران المعابد والمقابر وعلى أوراق البردي ، وفي مصر المسيحية جرى الآباء البطارقة على كتابة سير من سبقوهم من الآباء والقديسين ، وفي مصر الإسلامية أكثر الكتاب المصريون من الكتابة في فن السير ، بل أرجح أن ابن اسحق صاحب السيرة النبوية وضعها في مصر متأثراً بفن السير عند المصريين ، وجاء ابن هشام فروى أكثر السيرة عن علماء مصر ، وكتب عبد الله بن عبد الحكم سيرة عمر بن عبد العزيز ، وصنف ابن الداية سيرة أحمد بن طولون ، وسيرة ابنه خمارويه ، وسيرة الأخشيد وابنه ، وجاء ابن زولاق المؤرخ المصري فأكمل سيرة الأخشيد ، وسيرة ابنه ، وسيرة كافور ، وسيرة المعز لدين الله ، وسيرة العزيز ، وسيرة سيويه المصري ، وسيرة جوهر القائد ، وسيرة المدرائيين ، وكتب محمد بن محمد اليماني سيرة جعفر الحاجب ، وكتب أبو علي منصور الجوزري العزيزي سيرة الأستاذ جوذر ، وهاهو المؤيد في الدين يكتب السيرة المؤيدية متأثراً بمن سبقه من الكتاب المصريين . على أن أصحاب السير من المصريين الذين سبقوا المؤيد لم يترجموا لأنفسهم ، أما غير المصريين من الكتاب والعلماء فلم أجد

من كتب منهم ترجمة ذاتية لنفسه . حقيقة نجد بعض الكتاب يذكرون شيوخهم وأساتذتهم في كتبهم ، ولكنى لا أكاد أجده من سبق المؤيد في تخصيص كتاب بأكمله يترجم فيه المؤلف لنفسه ترجمة ذاتية ، فالمؤيد من أوائل رواد هذا الفن إن لم يكن هو أولهم وتبعه الكتاب بعد ذلك حتى بلغ هذا الفن ذروته في كتب الرحالة المسلمين ثم في كتاب التعريف لابن خلدون .

وهكذا تظهر قيم هذا الكتاب في نواحيه المختلفة .

تاريخ تأليف الكتاب

قال الأستاذ ايفانوف في حديثه عن سيرة المؤيد ما ترجمته «سيرة سيدنا المؤيد في الدين — ترجمة حياته — كتبها لملك فارس عماد الدولة أبي كاليجار البويهى . (٤١٥ — ٤٤٠ هـ — ١٠٢٤ — ١٠٤٨ م) يصف حياته واضطهاد الشيعة في جنوب إيران» (١) أى أن ايفانوف ذهب إلى أن المؤيد كتب هذه السيرة قبل سنة ٤٤٠ هـ ، وهى السنة التى توفى فيها أبو كاليجار ، وهذا رأى عجيب ، فان من يقرأ السيرة المؤيدية يرى لأول وهلة أن قول ايفانوف فى حاجة إلى تغيير كبير ، فان الكتاب ألف بعد هذه السنة التى توفى فيها أبو كاليجار ، ويكفى أن نقول لنؤيد ذلك أن المؤيد تحدث عن وفاة أبي كاليجار (٢) ، فكيف يكتب السيرة إلى من توفى ؟

نستطيع أن نتبين بسهولة ويسر أن كتاب السيرة المؤيدية لم يكتب دفعة واحدة أو فى عام واحد ، بل كتب على فترات . ففي القسم الأول من الكتاب — وهو القسم الذى تحدث فيه عن حياته فى فارس حتى وفد على مصر — كتب بعد سنة ٤٤٣ هـ وقبل سنة ٤٥٠ هـ . إذ يقول المؤيد عن وفود ابن المسلمة رسولا إلى أبي كاليجار «فما كان إلا قليل حتى سمعت بحصول ابن المسلمة بالبصرة رسولا للخليفة كان فى ذلك الوقت وهو وزيره فى هذا الوقت لما نجح سعيه باقتلاعى من تلك الديار وقصدى بالتشرد منها والانتشار والذى تصدى لمكاتبة الصنهاجى ومهاداته والتحريك من ساكنه والذى شرع شروعه فى نبش قبر موسى بن جعفر ومكابرة قريش» (٣) فمن هذا النص ندرك أن المؤيد كتبه فى وقت كان ابن المسلمة فيه وزيرا للعباسيين ، ونحن نعرف أن ابن المسلمة ظل فى الوزارة حتى قتل سنة ٤٥٠ هـ عقب دخول البساسيرى بغداد أى أن هذا النص كتب قبل مقتل ابن المسلمة

(١) A Guide to Ismaili Literature, p. 48 . — (٢) ص ٧٨ . — (٣) ص ٥٦ .

سنة ٤٥٠ هـ ثم حديث المؤيد عن مكاتبة ابن المسلمة المعز بن باديس الصنهاجي لخلع طاعة الفاطميين سنة ٤٤٤ هـ ، وعن نبش مقابر قريش وقبر موسى بن جعفر سنة ٤٤٣ هـ يدلنا على أن النص كتب بعد سنة ٤٤٣ هـ ، وإذن فهذا القسم الذي ورد فيه هذا النص كتب بين سنة ٤٤٣ هـ وسنة ٤٥٠ هـ .

أما القسم الثاني من هذه السيرة فهو هذا القسم الذي بدأه بوصف دخوله مصر والذي جعلنا له عنوان المؤيد في مصر . فترى المؤيد قد استعمله بمخاطبة شخص لا نعرفه ، يخيل إلينا أنه أحد أصدقائه الأوفياء وأن هذا الشخص سأل المؤيد أن يصف له حوادثه مع أبي كاليبجار ، فلما كتب المؤيد القسم الأول من السيرة وأرسله إليه ، كتب له هذا الشخص يظهر تألمه لما حل بالمؤيد ويرثي لحاله ويطلب إليه أن يصف له أموره في مصر ، فكتب المؤيد هذا القسم الثاني الذي ينتهي بعودة المؤيد إلى مصر سنة ٤٥٠ هـ بعد مساهمته في ثورة البساسيري ، وإذن فقد كتب هذا القسم من الكتاب بعد سنة ٤٥٠ هـ وليس في الكتاب نص يقرب إلينا معرفة السنة التي ألف فيها هذا القسم .

وينتهي الكتاب بالقسم الثالث الذي تحدث فيه عن دخول البساسيري بغداد ثم قتل البساسيري سنة ٤٥١ هـ ، وهذا القسم كتب بعد سنة ٤٥٤ هـ ، ذلك أن المؤيد ذكر شمال بن صالح وقريش بن بدران وأردف كل اسم بقوله «رحمه الله» ونحن نعلم أن شمال بن صالح توفي سنة ٤٥٤ هـ وأن قريش بن بدران توفي سنة ٤٥٣ هـ ، ومعنى هذا أن هذا القسم كتب بعد وفاتهما أي أنه كتب بعد سنة ٤٥٤ هـ .

هذا ما نستطيع أن نستخلصه من كتاب «السيرة المؤيدية» عن تاريخ تأليفه وليس بين أيدينا من المصادر ما يفيدنا في تحديد سنوات تأليفه تحديدا قاطعا .

نشر الكتاب

ذكرنا أننا استطعنا الحصول على نسختين خطيتين لهذا الكتاب ، وقد اعتمدنا عليهما في نشره :

النسخة الأولى : وهي التي أشرت إليها بحرف د (أي الدكن) وهي نسخة كتبت بخط رديء جداً يصعب قراءته وتقع في نحو ١٢٩ صفحة من القطع الصغير وقد جاء في آخر هذه النسخة :

«تم بعون الله وتوفيقيه يوم الخميس العاشر من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٥٧ كتبت

تقدمة

في بلد حيدرآباد دكن الهند ، وانتسخ من الكتاب المكتوب بيد غلام حسين بن الشيخ شاه ملك في عصر سيدنا عبد على سيف الدين صاحب يوم الحادى والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٢٢٢ هـ .

النسخة الثانية : وهى التى أشرت إليها بحرف ك (أى كجرات) وهى مكتوبة بخط بين الفارسى والرقعة وأخطاؤها أقل من النسخة السابقة وتقع فى نحو ١١٩ صفحة من القطع المتوسط وجاء فى آخرها :

«تمت السيرة الميمونة المؤيدية على صاحبها أفضل السلام والتحية فى التاسع من شهر شوال من ١٣١٣ من هجرة النبى المكرم صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين بخط أحقر الحقير من عباد الله خان بهائى بن موسى جى فى مدرسة الرئيس المكرم آدم جى فير بهائى غفر الله له ولوالديه» .

ولم يذكر شىء فى أول النسختين سوى العنوان «سيرة سيدنا المؤيد فى الدين شيرازى صاحب (قس)» وقد اتفقت النسختان على عدم وجود عناوين لأجزاء الكتاب أو لموضوعاته ويخيل إلى أن المؤيد نفسه لم يضع عناوين تدل على فصول كتابه شأنه فى ذلك شأن غيره من كتاب السير من المصريين ، فقد صنفوا هذه السير دون مراعاة تقسيمها إلى أجزاء أو فصول ، وتعريف كل جزء أو فصل بعنوان يدل عليه ، فاضطررنا إلى أن نكمل هذا النقص ، وأن نضع عناوين من عندنا حتى تسهل قراءة الكتاب والبحث فيه ، فكل العناوين التى فى الكتاب ليست أصلية فيه بل هى من عملنا .

وقد ذكرنا من قبل أن المؤيد لم يذكر لنا السنوات التى جرت فيها حوادث السيرة فاضطررنا إلى أن نحقق ذلك بالرجوع إلى كتب التاريخ الأخرى ، وأن نجعل فى الهوامش نتائج تحقيقنا .

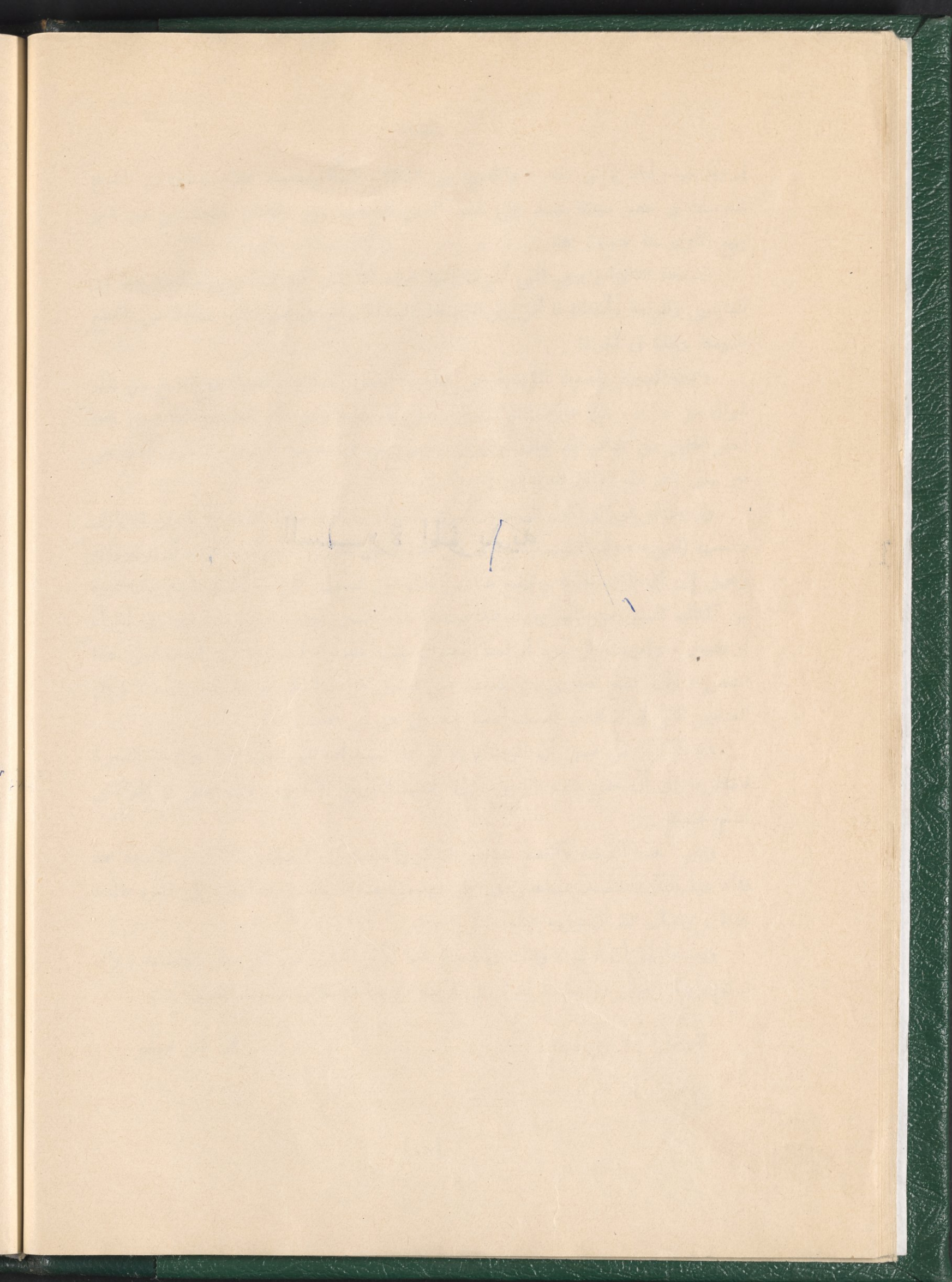
وانتهز هذه الفرصة وأتقدم بجزيل الشكر وأخلصه إلى الصديق الكريم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي لتفضله بمساعدتى فى عمل فهارس هذا الكتاب مما أضاف إلى نشره فائدة محققة ، ونسأل الله أن يجزيه عنا أحسن الجزاء .

وبعد فأرجو أن أكون وفقت فى إحياء هذا الأثر الجليل من آثار مصر الفاطمية ، وأن نكون بهذا العمل قد سدنا ثغرة من ثغرات تاريخنا الاسلامى وأدبنا العربى .

محمد طاهر حسين

الروضة ، ١٥ مايو ١٩٤٩

السيرة المؤيدية



بسم الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل موضوع المقدار على الجمع بين الصفو والاكدار ، واختلاف الليل والنهار ضمين الايسار والاعسار ، أحده حمد الشاكرين لآلائه الذين (١) هو لهم كفيل الجزاء بقوله تعالى «وسنجزى الشاكرين»^(١) والصابرين على بلائه الأولى حباهم من حبه بأفضل الحباء فقال تعالى «والله يحب الصابرين»^(٢) وصلى الله على رسوله المصطفى المبعوث بأهدى السبل «محمد» الخصوص بأرضى الملل ، المأمور بقوله «فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل»^(٣) ؛ وعلى وصيه على بن أبي طالب صفوة الماشين بعده على الغبراء ، وقدوة من عناهم قوله (ب) تعالى «والصابرين في البأساء والضراء»^(٤) ، وعلى الأئمة من ذريتهما (ج) سادة الساجدين في زمانهم والراكعين ، وقادة المخاطبين من ربهم بقوله (د) سبحانه «واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين»^(٥).

(أما بعد) فان بعض الناس خاضوا في حديث الفورة التي جرت بشيراز مما ألف بين عزيمة السلطان الذي كان بها المكنى «أبا كاليبجار»^(٦) وقصد العوام لدفع لدعوة العلوية وإذلال قدم متوليها ، وإثارة الفتن والاجتماع (و) على مد غواشيها ، مستعظمين لما جرى منها ، ومستهلين لخطبها ، ومتعجبين من ألطاف الله الخفية في فتح أغلاقها ، وكشف أغساقها ، وإظهار العلم المعجز فيها قلباً للآعيان ، وكسراً لنواجز الشيطان ، قائلين

(١) في د : الذي — (ب) في ك : «بقوله» . — (ج) في ك : ذريته .
(د) سقطت في د . — (ه) في د : أبا كاليبجار . — (و) ك : الاجماع .

- (١) سورة آل عمران ١٤٥/٣ . — (٢) سورة آل عمران ١٤٦/٣ .
(٣) سورة الأحقاف ٣٥/٤٦ . — (٤) سورة البقرة ١٧٧/٢ . — (٥) سورة البقرة ٤٥/٢ .
(٦) هو المرزبان ابن سلطان الدولة ابن بهاء الدولة أبو كاليبجار ولد بالبصرة سنة ٣٩٩ في شوال ولى إمارة فارس والأهواز مدة خمس وعشرين سنة وولى العراق أربع سنين وتوفي سنة ٤٤٠ هـ .
«أنظر مرآة الزمان ج ١٢ ص ٢ نسخة خطية بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ١٥٠٦ ، والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٤٦ (طبعة دار الكتب المصرية)» .

إن دون ذلك — مما لم يهل وقوعه كهوله ، ولم يرع مسموعه كروعه — دوّن في الكتب ، وأودع بطون الصحف ، ليكون للمستبصر تبصرة ، وللمستذكر تذكرة ، فما يمنع أن يكون هذا الأمر الهائل مثبتاً كثبوت الغير ، ليكون في الغابرين باقي الذكر ؛ فاستخرت الله تعالى في اقتصاص ذلك وشرح ما تبعه مما غبر في وجهه ، وأدى إلى أهوال فاقت ما تقدم ، وأدت إلى الجلاء عن الأهل والوطن ، على كون عبارة مثلى ممن طحنته أضراس المحنة ، ورمت به في بحار الحيرة ضعيفة (١) ، وأنوار فكره خامدة ، والله تعالى ولى إحسان المعونة والتوفيق لجميل العاقبة برحمته .

المؤيد وأبو الجبار

[فأقول (ب)] كان هذا السلطان حدثاً في سنه وإن كان متيناً في عقله ، وكان الأستاذ الذى أنشأ مغرقاً في بغض أهل البيت صلوات الله عليهم ، متناهيّاً في القصد لشيعتهم والمنتمين إلى جملتهم ، وكانت (ج) لى معه قصة مفردة ، لم أخل فيها من خشية القتل صباحاً ومساءً ، وكنت ألقاه معها بصبر الرجال ، وثبات الجبال ، فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر من مأمنه ، وأتاه سوء العذاب من (د) حيث لم يشعر به ، إلا أنه أورث السلطان بغض الشيعة وكرّجه فيه ، ورباه عليه ، وكان بحاشيته من الأستاذين والأتراك من لم يزل لذكرهم مقبّحاً ، وعليهم في كل وقت محطباً (هـ) ، زاعمين أنهم يشتمون الأصحاب ، ويلعنون الصلحاء ، ثم لا يصلون ولا يصومون ، ويقولون بالتعطيل والكفر والزندقة ، (١) وأن لهم فوق هذا كله عيباً شاخصاً لكل ذى عين (و) لكونهم في (ز) المملكة مفسدين ، وإلى صاحب مصر (٢) داعين ، وللناس عنه وباسمه مبايعين ، وأن التجافى عما هذه سبيله مما هو ثلم في المملكة لا يصلح للسلطين . فلم تزل هذه الضربات تعمل

(١) في د : ضعينة . — (ب) في ك : وقد . — (ج) في ك : وكان . — (د) في ك : بحيث .
(هـ) في ك : محتطبا . — (و) في د : بكونهم . — (ز) في د : على .

(١) أنظر القصيدة الأولى من ديوان المؤيد في الدين داعى الدعاة ١٢٣ إلى ١٢٥ ففي هذه الأبيات إشارة إلى خصوم الفاطميين ، وكيف رمى الفاطميون بالكفر والاحاد وتعطيل الأديان .
(٢) صاحب مصر في ذلك الوقت هو الخليفة الفاطمى المستنصر بالله أبو تميم معد بن الظاهر وهو الخليفة الثامن من المهدي . ولد عام ٤٢٠ هـ وولى الخلافة يوم الأحد ١٥ من شعبان سنة ٤٢٧ هـ وتوفى عام ٤٨٧ هـ .

والسكيات تؤثر حتى أحمى الوطيس ، وهيجت ساكن الحمية وأثارت كامن العصبية ؛ فلما (أ) كان يوم عيد الفطر من سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، كنت بيوم قبله مستعداً له في تحصيل فرش وآلة وسجادات يصلى عليها المصلون ، ولا يستغنى (ب) عنها المتعبدون (ج) فرفع الخبر بآننى أستجمع الجموع للصلاة والخطبة في غد ، وأضرب في ساحة دارى المضارب والفازات (١) ، وأن ذلك مراغمة ظاهرة ومغاينة حاضرة ، فنشأ من هذه الجهة سوء رأى عظيم ، وقع به على القصد والنفى عزم (د) وتصميم ، واستفاض القول في البلد بذلك من وقته ، وجعل الناس به في الأسواق يتناجون ، وفي المجالس والمنازل يتحدثون ، وكان يقرع أسماع الشيعة في أقصى المدينة ، فكان كل ساعة (هـ) يتبادر إلى أحدهم متعرفاً لخبرى ، مستكشفاً (و) عما حل بي ، فيجدنى صحيحاً سليماً ، وفي موضعى على جملى مقيماً . ولما كان في غد وهو العيد اجتمع الخلق الكثير من الديلم للصلاة فصلبت بهم ، فلما أتممت عكفت عليهم بالوعظ والانذار ، وقلت : « لا تخفى عليكم صورة الوقت في الشدة والأعداء في التظاهر والكثرة ، وأنهم عاكفون على تقبيح الجميل من آثارنا ، ونسب العظام إلينا من حيث أننا المبرزون في تحمل أثقال العبادات والقيام بالمفروضات (ز) والمسنونات (٢) ، فينبغى أن ترموا أنفسكم وتحسنوا أعمالهم وتتنقوا (ح) الله حق تقاته ، وتتحفظوا من أن يتعلق أحد عليكم بعيب ، أو يجد لساناً مساعاً انطلاقا (ط) فيكم بثلب ، وعليكم بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين » . ولما كان عشية ذلك اليوم كان الناس يطلبون الهلال على جارى عادتهم في مثله ، فغم عليهم ساعة ، وتباشروا لهذه الجهة ، إذ كانوا صاموا تسعة وعشرين يوماً ، فظنوا أنهم يكملون في غد العدة ثلاثين ، ويبسطون أيديهم وألسنتهم فينا لافطارنا (ى)

- (١) فى ك : ولا . - (ب) فى ك : ولا يغنى . - (ج) فى ك : المستعبدون .
 (د) ك : عزم صميم . - (هـ) فى ك : وكان يتبادر كل ساعة إلى . - (و) فى ك : ومستكشفاً .
 (ز) فى ك : المفترضات . - (ح) فى د : واتقوا . (ط) فى د : أو يجده لسان مساع انطلاق .
 (ى) فى ك : بافطارنا .

(١) جمع فازه وهى مظلة بعمودين .

(٢) قال المؤيد فى ديوانه (القصيدة الأولى البيت ٣١ وما بعده) :

وأينما فى الشرع إذ نثبت كل جهول جاحد ييكت
 نستنطق الأنفس والآفاق أرضاً وسبعاً فوقها طباقا
 بحجج مثل السراج تلمع تقصم كل ملحد وتقمع ... إلخ

قبلهم بيومين (١) ليكون ذلك أبلغ في التشجيع ، وأعون على ما يؤثرونه من التشفى ، فما كان إلا هنيئة إذ ظهر الهلال ، فجفت ألسنتهم في أفواههم ، وماتت قلوبهم في أجسادهم من فرط الغيظ والحنق . ولما كان في غد سعوا إلى مصلاهم فصلوا ورجعوا ، وباعاتهم موفورة على ذكرنا ونصب الاشراك علينا ، إلا أنه لم يكن في ذلك اليوم شئ . فلما كان في غد استدعاني وزير المملكة بهرام بن مافنة (١) ابن شهل الملقب كان بالعدل (٢) رحمه الله إلى مجلسه ، وهو كامل في عقله ، مبرز في فضله ، مصلح في جميع أحواله ، مهذب بمتصرفاته وأعماله ، ففقرني وأدنانى ورحب بي ، وهو كاره لما يريد مواجعتى به من القبيح ، عارف أن ذلك في غير وجهه ولا مكان وجوبه ، إلا أنه كان مأسوراً من جهة أمر ، لا يمكنه مخالفة أمره ومنافاة رسمه ، فقال : تعرف عنايتى بك وإيثارى الجميل لك ، وأنتى لا أشير عليك إلا بما فيه مصلحتك ، وأرى أسرك قد تجاوز في الفساد حده ، وبلغ أمده ، ولقد كان السلطان أمس في عامة الطريق من داره حين ركب إلى المصلى وإلى أن عاد (ب) ، في حديثك ومثلنا من الحنق عليك ، وقال في جملة كلام كثير «إنك (ج) إن لم تدع هذا البلد ولم تمض لوجهك ، أنفذ من يفعل بك كذا وكذا» مشيراً إلى القتل ، سوى أنه يتحاشى عن تصريح القول فيه ، فانظر هل بقى بعد ذلك غاية ، أم هل وراءه نهاية . ثم إنه كان حضر هذه الغداة قاضى البلد وقال إنه اجتمع إليه القصاص وأهل المسجد وقالوا : عيل الصبر فيما يأتية فلان — عنوك — من نشر البدعة ورفض السنة ، وأننا نجتمع ونقصد باب السلطان مستعدين من هذه الحالة ونستدعى شبه رخصة فنهجم (د) على داره بالقلع والحرق والقتل وجميع ما نستطيعه من الفساد . قال الوزير : فأجبته : أن ذلك ليس بالهين ، فان هذا الأمر يؤلف بين كلمة الديلم عامة ، ومهما حرك ساكنه انتبعت عين الفتنة باراقة الدماء واستباحة الحريم وتعدى إلى سقاعيل . قال : وكان جواب القاضى إنه (هـ) إن استنجد بهؤلاء — يعنى بالديلم —

(١) فى ك و د : ماقنة والتصحيح عن ابن الأثير ج ٩ ص ٣٤٤ طبعة بريل سنة ١٨٦٣ .
(ب) سقطت فى د . — (ج) فى ك : سقطت . — (د) فى د : فنهجم . — (هـ) فى د : سقطت .

(١) نلاحظ أن الفاطميين وأتباعهم إلى اليوم لا يصومون حسب رؤية الهلال كعامة المسلمين ، بل لهم تقويم خاص بحيث يجعلون شهر رمضان ثلاثين يوماً دائماً . (راجع الرسالة اللازمة لشهر الصوم للكرمانى والمجالس المؤيدية ، وكتاب المجالس المستنصرية ، وكتاب عيون المعارف) .
(٢) هو الوزير أبو منصور بهرام بن مافنة الملقب بالعدل ولد سنة ٣٦٦ هـ وتوفى سنة ٤٣٣ هـ (ابن الأثير ج ٤ ص ٣٤٤) .

استنجد خصوصهم بغيرهم — يعنى به الأتراك — : ثم قال لى : ولو لم يكن فى هذا الكلام مع مقت السلطان الذى لاقرار عليه ولا ثبات معه إلا حديث العامة وهيجانهم لكان التقدير فيك وفى عقلك أن لا تكون أصل الفتنة ، وأن لا تختار أن تصير سبب الفساد والنائرة ، فالأولى أن تستخير الله تعالى فى الخروج من البلد فى هذه الساعة لأضم إليك عدة من الفرسان من يتدرون (أ) بك إلى حيث توخى قصده من البلدان .

فأجبت وقلت : (ب) إن الأمر أمركم والمملكة لكم ، ولكل كلام جواب ، غير من يقول لأحد فى داره اخرج من دارى فلا جواب له ، ولكنى أفكر فى قولكم « اخرج من ديارنا » فلا أدري أهو مشبهى أو مشبهكم ، ومستحقى أو مستحقكم ، لأنى أنظر فى نفسى فلا أعرف لها عليكم ثقلا ولا كدا (ج) ، إذ لاحظ لى فى خيركم ، ولا ذكر لى فى ديوان عطاياكم ، ولا رفق فى حال من الأحوال من جهتكم ، وأرى كل من دب ودرج من قاض وفقه وعالم وكاتب وجميع طوائف الناس ممن له مداخله لداركم ولقاء لمجلسكم (د) محظوظين منكم ، بين ما يأخذونه أخذا ، أو ينالونه بتوقيعكم معيشة ورققا ، وصحيفتى بيضاء من جميع هذه الوجوه ، وسوى هذا فأنتم أعرف الناس بقضاتكم وعدولكم وعلماء مساجدكم فياهم مرتنون به من المعاييب ، وما يشوبهم من المناقص وذمىم الشوايب ، ولا تعرفوننى ترسمت بسمة (هـ) من سمات معاييبهم ، أو أشبهتهم فى شئ من مناقصهم ومثالبهم ، فانى لم أزل بالسداد والرشاد علما (أ) ، وباستشعار البر (و) والتقوى مقدما ، ولولا تبرجى بزيينة التشيع لاتخذت العامة تراب نعلى كحلا لأعينها ، وماء طهورى شفاء لسقمها . وغير ذلك فان هم الجميع حيازة ملك وإقامة دخل وإضافة درهم إلى درهم ، ولم يلغنى إنسان شغلت بشئ منه فكرا ، أو قصرت عليه من عمرى يوما ، بل كانت الدنيا فى عيني — مذكنت — مرفوضة ، وأعراضها لدى مهيئة ، وأسباب مطامعى مقطوعة ، فاخراجكم من هذه سبيله من دون تعلق عليه بعيب يشينه ، أو تبرم بمؤونة له عليكم يثقلكم (ز) باستحقاق منى ،

(أ) فى د : يبدرون والتدربق بمعنى التليين . — (ب) سقطت فى د . — (ج) فى ك : كلا .
(د) فى ك : لمجلسكم . — (هـ) فى ك : بوسمة . — (و) فى ك : الستر . — (ز) فى د : تثقلكم .

(١) فى ديوان المؤيد (القصيدة السابعة البيت ٤٢) :

العلم سيفى والرشاد مطيى	والستر درعى والأمانة مغفرى
أنا آدمى فى الرواء حقيقى	ملك تعيين ذاك للمستبصر

وردد هذا المعنى فى أكثر قصائده .

وأنا من الوجهين برى ، أم استحقاقكم بأن لاتستوجبوا كونى لديكم ومقامى بين ظهرانيكم . ومعلوم أنه إذا كانت مؤونتي هذه المؤونة فكل مقصود يقبلنى وكل أرض تحملنى ، ولست أقيم عندكم ما أقيم إلا عصبية للدين الذى أدين الله به ، ومحافضة عليه من وهن يحل بساحته ، ولولاها لكان أكثر باعث على التخلى عنكم نفسى ، وأدعى داع إلى مفارقتكم قلبى ، لأستريح من مغادة الذل وسراوخته ، لاسيما ومعلوم أن لى مولى يقصده القاصد متوسلا إليه بسطور من خطى ولفظى فيكرم مشواه ، ويكفيه ما أهمه من دنياه ، فلو قصده بنفسى أكان يتقاصر حظى عنده دون حظ من يقصده بكتابى ، فليس الخروج يرهبنى ولا شئ دون ما قدمت ذكره ينعنى ، وأنا أجتهد إن شاء الله تعالى وأصوب وأصعد فى كفايتكم أمرى ، وتولية هذه النعم التى لى (أ) فى دياركم ظهري ، ليزول شغل قلوبكم . فأما القاضى وتجرده للجهاد ، فليت الحديث كان معه (ب) ومع العامة الذين يفرغنا بهم حتى كان يرى الأعاجيب ، ولكننا أمر السلطان فى الوسط يضعف المنة ، وقصده يهد ركن الثبات والمكنة ، والقاضى إذا كان لا يأسى على أمواله (ج) الموفرة ، وضياعه المدخورة ، وتنازعه نحو الجهاد نفسه «ودينه عليه عمى» ، لم لا ينشط له من لا يملك من الدنيا شبرا ، ولا يحوى إلا قوتا قشفا (د) وطمرا «وهو على بصيرة من ربه» ، فليترك خليم بيننا وبينه حتى كان يجرب كل منا بخته والسلام .

ثم قمت من ذلك المجلس عائداً نحو بيتى وعاكفاً على إصلاح أمرى ، وجعلت اخفض وأرفع أين يكون قصدى والمنافذ بالأعداء مشحونة ، لاسيما إذا عرف السبيل التى أخرج عليها من مقت السلطان وقصده ، وسهرت ليلتى كلها مفكراً فيما أبنى عليه أمرى ، وأسوق إليه قصتى ، فلم يلح لى شئ أعتمده ، ولا رأى صحيح أعمل به . ولما كان فى اليوم الثانى عاودت المجلس فى دار الوزارة ، وأنا لا أدري بما عاودته ، وعلى أى شئ أخاطبه ، فكان من إلهام الله سبحانه ساعة التقيت بالوزير أن قلت «عدت لشئ عن لى بعد انصرافى بالأسس ، وذلك أنك قطعت على بالخروج من البلد وقلت أجتهد ، وفكرت فى محصول خروجى فوجدته يوردنى شراً مما أنا متهارب منه مورداً وأعم ضرراً ، ويسومنى حالة رديئة أخشى منها مينة دنيئة ، فانتى أتهارب مما يتوعدنى به السلطان العظيم القدر الجليل الخطر لا من شئ غيره ، ولست آمن من الحصول على مثله من جهة أوضع الناس قدراً وأخملهم ذكراً ، فلئن أقيم بموضعى موطن النفس على ما ينتظر منه (هـ)

(أ) فى ك : سقطت . - (ب) فى ك : معى . - (ج) فى د : أموال . - (د) فى ك : كشفا .
(هـ) فى ك : عنه .

أولى ، كي ما أعرف قاتلي ، ثم ليقول : الناس قتل ، فلان مظلوما وقتله فلان ظالما ، فليكتسب كلانا بالحمد والذم ذكراً باقياً ، فأنا مقيم على جملي لا أبرح ولا أنتقل من حيث معروف إلى حيث منكور ، فان كان لابد بحالة من إخراجي فقد أمسكك أن تجعلني تحت الكبول ، وتقيدني بالقيد الثقيل ، وتطرخني على بهيمة وتحملني لأكون عند نفسي معذوراً ، فأما أن أتولى الخروج بقدمي فلا أفعل ، اللهم إلا أن تؤجلني أياما لأعاود بيتي وأصلح شأنى وأبيع دويرى وأحصل نفقة لمتوجهي ، وأخرج خفية آمن معها من معترض يعترض لى ، حتى أتخلى من دياركم وأتجاوز حد أعمالكم .

فأطرق الوزير ساعة ينكت فى الأرض وقال بعد ذلك مجيباً «قد وقع الرضا بالخروج على هذا النمط ، فارجع لترتب أمرك على ما تخيرته برأيك ، وليكن أكثر المقام أسبوعاً» فقلت : «سمعا وطاعة . أقوم على هذا التقدير ، وأجتهد فى تقويم المسير ، إلا أن فى الأمر حالة لايسعنى إهمال ذكرها والاستئذان فى بابها» قال : وما هى ؟ قلت : «معلوم ما بينى وبين الديلم من الأحوال الممهدة والأسباب المؤكدة ، وأن أحدهم إذا اختصم مع أهله ليلاً فانه يباكرنى شاكياً إلى ، ومورداً جملة أمره وتفصيله على ، ولا شك فى أنهم إذا عرفوا جلية أمرى ضجوا وصرخوا وقاموا وقعدوا ، فلا يكونن ذلك منسوباً إلى ، ولا معتداً بجناية على » فقال : «يجب أن تمنعهم من لقائك مدة مقامك ، وتحول بين نفسك وبينهم بحجة دواء تشربه أسبوعاً» . فقلت : «ما عهدونى قط حجبتهم ساعة من النهار عني ، ولا قطعهم دون ذلك منى ، ولكنى أفعل حسب ما ترسم إن شاء الله تعالى» . وخرجت على أن أكون إلى ما مثل مُنْصَباً وللخروج مستعداً ، فأغلقت الباب فى وجهي ، ومنعت الناس عن لقائى ، وتوفرت (أ) على الدعاء والصلاة والرغبة إلى الله تعالى فى كشف الداهية . وكان ذكر ما أنا بصده يستفيض وينتشر ، (ب) وقلوب الديلم تخرج وتضيق ، فلم يكن يجمعهم مجمع من تعزية وضيافة إلا كانوا يتناجون (ج) بينهم فيما يخلص إليهم من الوهن بعد الوهن ، حتى انتهى إلى أنهم يزاحمون فى دينهم ، ويمانعون عن اعتقادهم ، والنصارى واليهود فى دينهم لا يعارضون ، وعن بيعهم وكنائسهم لا يمنعون ، فاتفقت الكلمة على التجمع للتألم من هذه الحالة ، فاجتمع منهم عدد كثير فى سوق الدواب بشيراز — وذلك موضع يختص بهم إذا شغبوا — واختاروا من بينهم رسلاً يتحملون رسالاتهم ، ويوردون ظلاماتهم ، فتوجهوا إلى خليفة كان للوزير ، وأدوا الرسالة ، وهولوا القضية ، وخلطوا حلواً ومرراً ،

(أ) فى د : توفرت . — (ب) فى د : سقطت الواو . (ج) فى ك : فيما بينهم .

ولطفاً وعنفاً ، وأوردوا أنه إن يستمر الأمر على ذلك قطعوا الآمال ، وركبوا الأهوال
 وحملوا نفوسهم من احتمال الدلة والتوسم بميسم الضعف والقلّة . فانتهى الخبر إلى كل جهة ،
 وعلم أنه سيكون منه شأن يستفيض شره ويستطير شره ؛ فرسم السلطان للوزير تلافى
 القضية (أ) وإطفاء النائرة ، فكان من تلاففه فيه ، وحسن تديره وجميل تأنيه ، أنه
 استقبل الأمر بالتلافى والتدارك ، وسابق الديلم يوم الجمع الكثير في الميدان للتكلم عن
 مداواة الداء ، ورسم (ب) استحضر القاضي والقصاص والصوفية على بكرة أبيهم ، فجاءوا
 يخرقون مصاف الديلم يمنة ويسرة ، وهم يتحاملون بالألسنة عليهم ، ويقولون كل قذع (ج)
 وسقط في حر وجوههم ، إلى أن دخلوا الدار وهم موقى من الفزع فيما حصلوا من جهة الديلم
 عليه ، وما دعوا من دار السلطان إليه ، ولما مثلوا في بساط الوزير اعتمدوا بكل تثريب
 وكل زجر ونكير قولاً : «إنكم قد بطرتم (د) النعمة ، وكفرتم الموهبة فيما مد عليكم من
 ظلال الأمانة والمعدلة ، فصار همكم إثارة الفتنة ، وكلامكم الاغراء بين الشيعة والسنة ،
 وأنه إن سمع بعد هذا أن أحدكم يتلقن بشئ منه ذكراً ، أو يجري به في فمه لساناً ،
 فرشتم قتلى في السكك والأسواق ، وحصل من سلم بعده في المصادرة والجر في الخناق ،
 فابصروا بين أيديكم ، وانظروا إلى مواطن أقدامكم والسلام» . فصعدوا ثقلاً بعد أن
 وردوا خفافاً . ثم سئل الديلم عما جمعهم في الميدان ، وألف منهم بين الشيب والشبان ،
 ورسم اختيار عدة يدخلون ويتربلون عنهم ، فاخترتهم ودخلوا ، وسألهم (هـ) عن سبب الجمع
 فأجابوا : «بأنهم قوم يعتقدون اعتقاداً تقرر في نفوسهم حقه ، وتؤكد عليهم بعهود ومواثيق
 أخذوها فرضه ، وأنهم يتخذون هذا الرجل القيم به أباً لهم وأخاً وصاحباً ومحلاً لكل سر ،
 ومفزعاً في كل خير وشر ، وأنه منذ أيام أغلق الباب في وجهه ، ويرجف بأنه ينفي عن
 البلد ، ويفعل به ويصنع فهذا هو الذي ألّفنا وحرك ساكننا (و)» فأجاب الوزير : «بأنه
 لم يجر شئ من ذكر النفي معاذ الله ، فانه أجل قدراً وأبسط حشمة أن يتناول بشئ من
 ذلك ، ولكنني أشرت عليه بالجلوس في داره ، والمنع عن لقائه أياماً لحدوث فورة من
 العامة بسببه ، ريثما أتوصل إلى حل عقدتها وإطفاء نائرتها ، وقد استدعيت في هذه الساعة
 رؤوس ضالّتهم والمتوجهين فيهم ، وأطعمتهم لحومهم ، وأنذرتهم سوء العذاب إن عادوا
 لما نهوا عنه من كلام التشيع والتسنن ، والخوض فيما يثير أسباب الفتن ، ويجب عليكم أن
 تعاودوا منازلكم وتشرحوا صدوركم ، فقد كفيتكم في صاحبكم ما تخشونه» . فانصرفوا

(أ) في د : القصة . - (ب) في د : سقطت . - (ج) في د : قذف .

(د) في ك : ابطرتم . - (هـ) في ك : سقطت . - (و) في د : ساكننا .

راضين شاكرين . ولما كان بعد ذلك بيوم أو يومين كتب إلى الوزير رقعة فسح لى فيها فى فتح الباب ، وتمشية الأمر ، وعقد المجالس على الرسم ، ففتحتة (أ) مسرورا بلطف الله تعالى فيما كفانيه عاجلا (ب) وخائفا مما يؤدينى إليه تضاعف الغيظ آجلا وقلت :

لقد أحسن الله فيما مضى كذلك يحسن فيما بقى

ووضعت الخد بالسجود والرغبة والابتهال والمسألة راجيا من الله تعالى حسن الاجابة . ثم اقتضى الحزم أن أرفع من البلد كل ما كنت خائفا عليه من كتب ودفاتر ، فنقلتها إلى بعض المواضع وجلست مستسلما للمقادير فيما يمسنى ، ومسلما نفسى لأهل البيت صلوات الله عليهم فيما يدهمنى ، ولم أخل من نفثات كنت أسمعها دالة على سوء الاضرار ، وانتهاز الفرصة فى الاساءة الى عند الامكان والاعتذار ، فقلت ما افترض الله تعالى على التغرير (ج) فوق هذا بنفسى ، وإلقام فم الردى عرضى ، واعتقدت الانتباز إلى الأهواز التى هى من المملكة طرف وللديلم مجمع ، وأن أتخلى هناك عن جميع أثقالى من بهيمة وغلمة ، وأغير من حالى فى ملبسى ، وأعتكف فى مشهد ولا أزايله حتى يقضى الله على أمره الذى يريخنى من مرارة ما أنجرعه . ووافق عقد نيتى على ذلك اتفاق حركة السلطان إلى الموضع الذى كان نحوه توجهى (د) فقلت فتح من (ه) الله ونصر ، فانى سائر فى الجملة ، ومتوجه فى الصبح ، ثم إذا حصلت أقمت بمكانى وعكفت على شأنى ، فجعلت أخبط وأقوم وأقعد فى الاعداد للمسير إعداد منقلع بجملته عن مستقر ولادته ، ومول له ظهره ، فاستنظفت دارى من قليلها وكثيرها مما يكون موجودا فى الدار ، ورتبت من يقوم ببيعها إذا فارقتها ، وبينما أنا مشدود الرحل سائر بالقلب ؛ إذ أتتني رقعة من الوزير مختومة ، فخفق قلبى حين تناولتها وفضضت ختمها ، فاذا هو ينهانى عن المصاحبة أشد النهى ، ويزجرنى أعظم الزجر ، ويقول إن السلطان جد ممتعض من مصاحبتك ؛ فلم أدر بماذا أجيب ، وأى شئ أقول وتوجهت إلى مجلسه بنفسى جوابا عن الرقعة وقلت : يا قوم ما تطلبون من ضعيف مهين ، لا منعة له يتعزز بها ، ولا يأوى إلى ركن شديد يستظهر بمكانه ، أما تأنفون أن تكونوا أوفرتم على قصده أوقاتكم ، ووقفتم على ذكره بالسوء همكم ، من هو ؟ وأى شئ هو حتى تكون هممة السلطان أبدا عليه موقوفة وسريرته به مشغولة ؟ ولم يمنعونه عن النفوذ فى صوب الرفاقة وسلوك الطريق مع السابلة ؛ دعونى لأخرج فى شأنى . فقال : « هذا السلطان ليس

(أ) فى ك : ففتحت الباب . - (ب) فى د سقطت الواو . - (ج) فى د : الانتباز .

(د) فى ك : وجهتى . - (ه) سقطت فى النسختين .

يطيق سماع ذكرك ولا يؤثر قربك ومجاورتك ، وقد عرفت ما جرى عليك أولا وآخرها وقصدت به باطنا وظاهرا ، وكان من الحق أن لا يستقر بك القرار بعده ، وتبغى لنفسك كيفما كان سبيلا وتستصلح شأننا ، فلم يكن إعفاؤك عما كنت بعرضه إلا لما عرفت لا عن رأفة بك (ا) ورقة (ب) لك ، وإذ قد نمت عن تدبير أمرك إلى هذه الغاية ، فلا وجه الآن للمصاحبة ، ولا جسارة على الكلام لك والمخاطبة « ولم أزد شفاعة إلا زادني ردا ، وعن بلوغ غرضي بعدا ، فخرجت لابسا ملبس الخيبة ، موطنا نفسي على موقعة أعظم الخطأ ، إذ كان الديلم عامة في الصحبة سائرين ، وعندهم أننى فى الجملة ، فكذا كانت الموافقة بيننا ، فممنعت عن النفوذ ، وبقيت فى البلد والمتولى لأمره من لو سقوه دمي لعسى أن كان يشربه ، من بغضه لى وسوء رأيه فى » ، فأرقت ليلى كله اغتما وافتكارا فى مصائر أسرى .

ولما أصبحنا أدلج القوم وبقيت مرتبكا فى الحيرة متبلبلا من الدهشة . فقلت لمن حولى : « اطلبوا إلى صحبة لعلها تتوجه إلى «بسا» — موضع على أربع مراحل من شيراز وأهلها من النصب على غاية ، سوى أن بها من الديلم جمعا كثيرا — لنسير فيها ، فجاءنى البشير بوجودها واتفاقها ، فأرخى نفسى من بعض خناقها ، وقمت متوجها إليها وجها واحدا ، وجلست هناك أبنى بها مشهدا مختصا بالشيعة وأهل الدعوة ، وما كانت تلك البقعة شهدت حجرا على حجر وضع فيها هذه سبيله ، وقلت : يانفسى أنت مهما أسكن أكلك مأكولة ، وأى وقت تيسر أخذك مأخوذة فاشتغلى بأشادة هذا البناء المورث ذكرا وأجرا ، وانتظرى ما يكون ولعله سيكون خيرا » فكننت شتوة بطولها موفور الليل والنهار على ذلك ، وكان الديلم الكبراء يعمل الواحد منهم بيده فيه ما لا يعمله عدة من العملة ، فقالت العامة : إن هذا الرجل — يعنونى — ساحر قد سحر هؤلاء الجبابرة كما سحر سليمان الجن . حتى تكامل أكثر الغرض ، ولما أقبل الصيف أقبل السلطان والعسكر بوجوههم إلى شيراز ، فقلت الآن حصحص الحق ، الآن جاء البشر . فقلت لاسعنى لغيبتي فى هذا الوقت إلا أن أكون فى خط الدائرة فرجعت على علاقى إليها .

وكننت أقضى الوقت بها خائفا مترقبا ، ولما يحدث من الأمر منتظرا ، فكان من توفيق الله سبحانه الجميل أنى توجهت فى زمرة عدة من الأصدقاء من الديلم إلى استقبال صديق منهم وارد من الأهواز ، وكان حضر أيضا من ندماء السلطان وخاصته واحد فكننت فى رجوعنا إلى البلد أسايره وأبث (ج) إليه شكواى وأقول : إن الدولة ديلمية ،

(ا) فى ك : لك . — (ب) فى ك : سقطت . — (ج) فى ك : سقطت الواو .

والسلطان ديلمى ، وندماؤه ديلم خالص ، والقيامة قائمة على خوفا ووجلا من حيث أن المملكة كلها بالأمن مخنوفة ، وبالعادل مكنوفة ، فلو كنت فى ولاية محمود بن سبكتكين (١) لما زادنى على هذا فان كان الشرائط الديلمية لاتكاد توجب عليكم معشر خاصته أن تحاموا على من ظلمه (أ) رقة لله ، وقربة إلى أهل بيت رسوله صلى الله عليه وسلم ، أما يوجب عليكم ما تتقلبون فيه من نعمته أن تنصحوها له ، وتنهوه عن ظلمى وتنهوه لما فى ضمنه من المآثم (ب) والشدائد استحقاقا لنعمته واستتبابا لدولته . وجعلت أطاوله فى هذا المعنى وأطول وأعرض معه ، إذ أقبل ركاب من قبل (ج) السلطان يحث نحوه ويركض فى طلبه ويقول : إن الملك يدعوك . ورجع الركاب إلى حضرته فسأله أين وجده ، ومع من كان ؟ فأخبره على ما بلغنى أنه كان توجه لاستقبال فلان الوارد وأنه رآه (د) يسير فلانا — عنانى به — ويساره ويطول معه ، فلما حصل هناك أخذ يعتب عليه من مصاحبته لى ومسارته ، ويسأل عما جرى بينى وبينه ، فأورد من الجملة ما أمكنته (هـ) العبارة عنه فاستوعبه ، وحمله جوابا إلى ، ونهاه أن يقصد دارى به دون أن يستدعيني إلى بعض الصحارى فيسمعني هناك ، فاستدعانى فى اليوم الثانى وخرجت فقال : أبلغت الملك رسالتك ، واستوعبها وذكر أنك تسعى بالفساد فى المملكة وتجتهد فى إيقاع الفتنة ، وتجرى إلى عظام ودواهى لاتغفر فيها زلة ولا تقال منها عثرة ، حتى لقد قيل عنك إنك تريد البروز إلى المصلى لأقامة الصلاة والخطبة هناك ، ولو كنت سالكا طريق الصواب ناكبا عن نهج الخطل ودواعى الاضطراب ، لشملتك العناية واكتفتك الرعاية ، [ولكن الأفعال تحدث منك بضد مايرضى (و)] ، وتقيض مايمجد ويرتضى .

«فقلت فى الجواب» إن هذا الأمر الذى أتولاه ما أنا أبدعته ، ولا فى أيامى أحدثته ، فانه قديم تقضت عليه السنون ، واندرج فى معرفته ومشاهدته الملوك ، ولو علم أنه يوقع

(١) فى د : منه من ظلمه . — (ب) فى د سقطت الواو . — (ج) فى ك : عند .

(د) فى ك : رأى . — (هـ) فى ك : أمكنه .

(و) فى ك : ولكن الأمثال تحدث منك غير ما يؤثر بضد ما يرضى .

(١) هو أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة ابن منصور سبكتكين صاحب غزنة (راجع ترجمته فى ابن خلكان ج ٢ ص ٨٤ طبع المطبعة اليمنية سنة ١٣١٠ هـ) .
ولعل عداء المؤيد لمحمود بن سبكتكين إنما يرجع إلى ما حدث سنة ٤٠٣ هـ عند ما أرسل الحاكم بأمر الله الفاطمى كتابا إلى محمود يدعوه إلى طاعته ، فبعث محمود بالكتاب إلى الخليفة القادر العباسى بعد أن بصق عليه وخرقه . (راجع النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٣٢ وتاريخ مصر لابن ميسر) .

ملكاً أو يحدث فساداً لما نامت عيون فحولة ملوك بني بويه عن إحالته وتغييره وقصر باعه وقص أظافره ، ولما كان أكثرهم يؤثره لنفسه دينا لقي الله تعالى به (١) ويتبرج بزينته ، ولكن المقبحين قبحوا الصورة بحضرة الملك ، ولو أنه استقصى الأمر لوجد قدماء أكثرهم بذلك دائنين وبشعاره منادين ، فأما ما انتهى إلى على مجلسه من اعتقادي كان البروز إلى الصحراء بالصلاة والخطبة فان ذلك ما جال في خاطري ولا هجس في خلدي ، وإني لأرجو أن أكون أبلغ ما يجري به القال من ذلك في ظل دولته وبركة إيلته ، وسوى هذا فان الملك نشأ في سماع كلام المخالفين والطاعنين علينا ، وتلقن منهم كل شيء مما يزيّفنا في عينه ، ويشغلنا على كريم قلبه ، وقد انتشر الذكر في كونه من وفور الكمال والعقل بحيث يوجب عليه أن يسمع كلامنا ويصغى لحجتنا ، ثم إن وضع له شيء مما ننسب إليه من الكفر والتعطيل ، كان وسيع العذر عند الله تعالى وعند نفسه فيما يقصدنا به من القتل والنفي ، فاعلا للشيء في وجوبه واستحقاقه ، والا وجب الاستحلال عما مضى وتلافي ما سبق بالحسنى . « فنفذت هذه الرسالة وعاد الجواب دفعة ودفعتين بما كان يتهدأ (١) كلما عاد من التحريش ، ويشتمل على الكلام اللطيف ، فعن لي أن أكتب رقعة أودعها ما يجمع بينه (ب) وبين هذه من كلام محق لا يتحاشى في الله ولا يحابي ، وانها (ج) عن الظلم الذي ضاق عن الصبر على مضضه إهابي ، فكتبتها وأصدرتها ، وهناك فضل معرفة بالألفاظ الجزلة والمعاني الرائقة ، فوقف عليها وقوف معجب بها مستحسن لها ، وأصدرها إلى حضرة الوزير مقرونة برسالة في استدعائي والتلطف بي والتسكين مني ، ومخاطبتي على أن أقف في الأمر الذي أمشي به حيث بلغت ، ولا أتجاوز به من حد الاسرار إلى

(١) في ك : يهدأ (وعلى الهامش) يقتطع . - (ب) سقطت في ك . - (ج) في د : انهي .

(١) تذكر كتب التاريخ أن البويهيين كانوا من الشيعة وهنا يقول المؤيد إن أكثرهم كان على مذهب الفاطميين .

ويحدثنا صاحب النجوم الزاهرة أن العزيز بالله الفاطمي كان يرسل عضد الدولة البويهى ، ومما جاء في إحدى رسائله إلى عضد الدولة : « فان رسولك وصل إلى حضرة أمير المؤمنين (أى العزيز) مع الرسول المنفذ إليك فأدى ما تحمله من إخلاصك في ولاء أمير المؤمنين ومودتك ؛ ومعرفتك بحق إمامته ، ومحبتك لأبائه الطائعين المهادين المهديين » . وكتب إليه عضد الدولة يعترف فيه بفضل أهل البيت ، ويقر للعزيز أنه من أهل تلك النبعة الطاهرة وأنه في طاعته . - الخ (راجع النجوم ج ٤ ص ١٢٤) . فهذا يؤيد قول المؤيد من دخول بعض البويهيين دعوة الفاطميين .

الاطهار ، فاستدعاني وأكرمني وبذل الجميل لي (١) ، وقال لي ما قدمت ذكره من القول فأجبت : «بأنى قد أشرت هذا الأمر من حيث تظنونني قدمته ، ووضعته من حيث تحسبونني رفعته ، والدليل على ذلك أن والدي كان في هذا (ب) البلد متسما بهذا الاسم ، مترسما (ج) بهذا الرسم ، وكان له من المكنة واليد والقدرة ما كان يغنيه أن يطأ عتبة باب ، أو يقاسى ذل حجاب ، وكان الوزير أبو غالب الواسطي الملقب (١) بفخر الملك وزير الوزراء ، الذى كان ماكان باتساع مكتبته وانبساط يده ، نازلا في هذه الدار التى تنزلها ، فلم يعهد والدى قط داخلا إليه ولا مسلما عليه ، ووجد ذلك غير دفعة يزوره ليلا في بيته ويغشاه في منزله ، وأنا طول الدهر على الأبواب طائف ، وعلى الزورات عاكف ، فلو أمكننى التعزز أكنت أختار التذلل» . وجرى في مثل هذا كلام طويل وخرجت ساكن القلب ، واثقا بحسن كفاية الرب سبحانه وتعالى .

وكان السلطان أزسع الخروج للتصيد عشية ذلك اليوم ، ولم يكن قد اكتحل بي قط ، لأنى كنت ألزم الزاوية وأطلب العافية ، فلا أوتر أن ينشلم دينى أو يسجد لغير الله جينى ، وكانت صورقى فى التقاعد عن الخدمة تقبح زيادة تقبيح ، وأنسب فيه إلى كلام فطيع ، فحدثت نفسى بالتعرض لموكبه والنزول والدعاء ، ليرق قلبه ، وينزع من سوء الرأى همه ، فوقفت فى بعض الصحارى له ، ولما دنا نزلت وتخفضت ودعوت ، فسأل عنى ، فقيل فلان ، فرسم أن يقدم مركوبى لأركبه ، فارتفعت ضجة المطرقين والركابية بين يديه بذلك ، وقدم لى مركوبى وركبت ، ووقفت مكاني أنتظر عودة الوزير من تشييع ركابه ، فلما عاد ذكر أنه قال فيك خيرا ، وأثنى عليك حسنا ، واستخبرنى هل سكنت بالغداة منك ، وهل أديت رسالته إليك قال : فقلت نعم .

وغاب أياما ثم رجع ، ولما كان يوم الرجوع لقيت (د) ركابه قدر فرسخين ، ونزلت وخدمت ودعوت ودخل البلد ، ورسم للوزير تبرعا استحضرى إلى على مجلسه أى وقت حضر ، ففعل ذلك ، وكنت أحضر ، وسبب الاقتراب يعمر ، ثم رسم مناظرة عدة من المخالفين مكاتبة ، فتناوبت بيننا وبينهم ابتداءات وأجوبة ، وكان يقف عليها ويميز

(١) سقطت فى نسخه ك . — (ب) فى د : بهذا . — (ج) فى ك : مترسما .

(د) فى ك : تلقيت .

(١) هو محمد بن على بن خلف أبو غالب الواسطي المتوفى سنة سبع وأربعمائة (المنتظم لابن الجوزى النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٥٧ . ابن خلكان) .

بين الصحيح والسقيم منها ، وقد شرحت ما جرى بيني وبينهم ليقف عليه من تأمل هذه القصة ، فأعجب الملك بها وأخل منه جميع ما كان سبق منه بسوء التعليم ، ولعن كل أفاك أثيم ، والمناظرة ما قد أشرح بفصه ، وأورد على جليته ، وهو هذا : —

مناظرة المؤيد مع العلماء في مضره أبي البحار

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد حمد الله ذى الطول والانعام والصلاة على سيدنا محمد المصطفى ، وآله صفوة الانام ، فانه رأى من الموقف الأشرف الشاهى أيد الله جمال زمانه وأيد قواعد سلطانه ، استبراء كلام هبة الله بن موسى فى اعتقاده ، والترجيح بينه وبين قول من يحكم بفساده ليعرف المحق منهما من المبطل والهادى من المضل ؛ فانتدب للسؤال واحد كان وقع عليه سؤال من جهتى وهو قول الله تعالى : « ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبـال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب (١) » الآية ، وقلت إذا كانت هذه الأسباب التى هى جهاد وحيوانات لا تكليف عليها ساجدة لله تعالى من غير معلم ، فلم صارت مفضولة والانسان الذى لا يصح له السجود إلا بمعلم عليها فاضلا . فلم يورد فى الجواب ولم يصدر ، وعدل إلى هذا السؤال الذى ذكره : ما قول الشيخ فى ظواهر القرآن ؟ هل تقتضى معانى لا يدل عليها اللفظ (١) ولغة العرب مما تحتاج أن نرجع إليه فيه ونتعلمه منه إذ لا يفهمها أحد إلا هو ومن هو على مذهبه وطريقته ؟ وإن كان لها هذه المعانى عنده فما الحجة عليه ؟ وما الذى يدل عليه ؟ يبينه يستفاد منه مأجورا إن شاء الله تعالى بحوله (ب) وقوته . (الجواب) أقول وبالله التوفيق وعليه أتوكل إن للقرآن معانى سوى ما تتداوله ألسن العامة مما يستنبطونه بحولهم وقوتهم من دون الرجعى فيه إلى أهل الاستنباط ممن قال الله تعالى : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم (٢) » ، ونص الكتاب ناطق بأن للقرآن تأويلا بقول الله سبحانه : « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم (٣) » ويقول تعالى : « ولنعلمه من تأويل الأحاديث (٤) »

(١) فى د : اللفظة . — (ب) سقطت فى نسخة ك .

(١) سورة الحج ١٨/٢٢ . — (٢) سورة النساء ٨٣/٤ . — (٣) سورة آل عمران ٧/٣ .

(٤) سورة يوسف ٢١/١٢ .

ويقول عز وجل : « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله (١) » . وقال النبي صلى الله عليه وآله : « أنا صاحب التنزيل وعلى صاحب التأويل » . وعلم التأويل معناه علم العاقبة ، وما يفضى الأمر إليه في النهاية ، يدل على ذلك قوله تعالى : « ذلك خير وأحسن تأويلا (٢) » أى أحسن عاقبة ؛ والتأويل تفعيل من آل يؤول ، وهو الذى يستجار به في الشدة ويفزع إليه عند عارض (١) النائبة ، فتأويل القرآن كذلك ، هو ما يرجع إليه عند عارض الشبهة والحيرة ، فاللفظ يقتضى التأويل ، والعقل يقتضيه ؛ ومعلوم لكل ذى حاسة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث في حين استعلاء الألفاظ العربية وتبرج أهلها بالفصاحة والجزالة ، وكان كلام خاصتهم مضمنا من الرموز والاشارات ما لا يتناول نحوها عامتهم ، فأتى صلى الله عليه وسلم من جنس ما كان لهم فيه اليد والقهر والغلبة وحييا من ربه سبحانه ما أعجزهم باطنه كما أعجزهم ظاهره ، قال الله سبحانه : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (٣) » فكان ظاهر القرآن معجزا لرسول الله ، وتحقيق معناه وتفسيره معجزا لأهل بيته صلوات الله عليهم لا يدعيه سواهم إلا كاذب ، يؤكد ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يرثي عليّ الحوض » وقال صلى الله عليه وسلم : « تعلموا من عالم أهل بيتي أو ممن (ب) تعلم من عالم أهل بيتي تنجوا من النار » والحجج على ذلك كثيرة وهي كوضوح الشمس واضحة ، لا يجليها عن (ج) سترها إلا تنسم رائحة الانصاف بالزام من لا يكاد يفرق بين نفسه وبين الجماد ، بل يفضلها عليها إذ كانت الجمادات عنده ساجدة لله تعالى عن غير تعليم ، وهو ساجد تعليميا أن يخرج عن هذه العهدة ، ويوضح شرف الانسانية أو ينزع قلنسوته لمستحقها من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(جواب الخصم على ما هو به) وجدت في هذا الكلام تطويلا ينقض بعضه بعضا ، وكاتبه هارب عن جواب ما سئل عنه ، جانح إلى بسط الكلام فيما هو مائل إليه ، غير منصف في العبارة والمعنى ، وذلك أن السؤال أولا وقع عن القرآن ، هل له معان لا تقتضيها ألفاظه أم لا ؟ وجواب هذا : نعم أو لا . فلم يجب بشئ منهما ، بل كتب شيئا آخر فيه

(١) سقطت في د . - (ب) في ك : وممن . - (ج) في د : من .

(١) سورة يونس ٣٩/١٠ . - (٢) سورة النساء ٥٩/٤ . - (٣) سورة الاسراء ٨٨/١٧ .

جفاء ، تعريضاً لاتصريحاً ، وجوابه مثله تعريضاً ، قولك : إن للقرآن معاني سوى ما تداوله ألسن العامة مما يستنبطونه بحولهم وقوتهم من دون الرجعى فيه إلى أهل الاستنباط ممن قال الله سبحانه : « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ^(١) » لا يخلو من وجهين : إما أن يريد بالعامّة غير العلماء من أهل نخلتنا ، أهل الاسلام والحق ، أو يريد به مخالفه من أهل الحجى والأدب والاعراب والقرآن وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم ، فان أردت به غير العلماء فلا اعتداء بهذا الكلام إذ ليس لهؤلاء معرفة بالقرآن نفسه ، فكيف يكون لهم معرفة باستنباط الحق منه واستخراج ذلك بالنظر الصحيح الذى مداره على أصول لم يعرفوها وقواعد لم يحكموها . أو يريد به مخالفه وهم الذين أحكموا مذاهب العرب وعاداتهم ومجارى كلامهم ، وعرفوا الفرق بين الحقيقة والمجاز ، والتأويل الصحيح الذى يعضده لغاتهم وطبعهم ويدل على قوته كلامهم وعبارتهم ، مثل ابن عباس رضى الله عنه الذى قال (١) له النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن مسح وجهه : « اللهم علمه الحكمة (ب) وتأويل القرآن » ولا شك أن دعوته مستجابة ، ومثل الفقهاء (ج) والأئمة مثل أبى حنيفة الذى استخرج من كتاب الله مائة ألف مسألة دونها فى كتبه ، وصار الناس فى البلدان الكثيرة إلى مذهبه فيها ، ومثل الشافعى الذى ظهرت بركاته فى الدين حتى انتشر مذهبه واعتقده الخلق العظيم فى كثير من البلدان ، ومثل غيرهم من أئمة الهدى رضى (د) الله عن كافهم ممن يطول ذكرهم ، فإن أردتهم بهذا الكلام فقد غلطت فى قولك ، وأفحشت وقبحت ، إذ هم وأمثالهم لا يستنبطون بأرائهم ، وإنما يستنبطون الأحكام من القرآن بعد أن يشهد بصحة بعضه بعض ، ويقوى الشئ منه الشئ ، وأنا أذكر من استنباطهم الحسن شيئاً تستفيده وتزين به حلفتك باطناً وإن أنكرته ظاهراً على عادة مذهبك واستمرار طويتك : قال (هـ) الفقهاء رضى الله عنهم : إن أقل الحمل ستة أشهر وإنما كان ذلك لأن الله تعالى قال : « وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ^(٢) » . وقال فى آية أخرى « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ^(٣) » . فاذا كان مجموعها (و) ثلاثين شهراً ومدة الرضاع أربعة وعشرين شهراً بقى مدة الحمل ستة أشهر فأى استنباط أحسن من هذا ، وأى استخراج أوضح وأصح منه . ونحن أولوا الأمر لأننا

(١) سقطت فى ك . - (ب) فى د : الحكامات . - (ج) فى د : فقهاء الأئمة .

(د) سقطت فى د . - (هـ) فى ب : فقال . - (و) فى ك : مجموعهما .

(١) سورة النساء ٨٣/٤ . - (٢) سورة الأحقاف ١٥/٤٦ . - (٣) سورة البقرة ٢٣٣/٢ .

العلماء والقدوة والفقهاء ، والنظار في دين الله تعالى ، والذابون عنه والناصرين له ، والدامغون للباطل وحزبه ، والرادون على الزائعين ، عصمنا الله تعالى من قول المبطلين المفتريين في الدين الذين يحددون الحق وينصرون الباطل . وإن كان الإشارة في إبطال الاستنباط إلى رد القياس واستعماله ، فالقياس الصحيح هو المعيار الصحيح الذي يميز به الحق عن الباطل ، والصواب عن الضلال ، يدل عليه قوله تعالى : « فاعتبروا يا أولى الأبصار^(١) » . والاعتبار إلحاق الشيء بنظيره ، ولا يعلم أن الشيء نظير لغيره إلا بمعنى يحصل فيهما ، أو علة تجمعهما ، ومن أنكر الاعتبار والقياس في الدين لم يكن من أهل الاجتهاد ، ولا يكون ما يشتغل به علما ، والذي يدل عليه من جهة الخبر أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القبلة للصائم أنها تفطر أم لا ، فقال له (١) : « رأيت لو تميمضت ماء فمجمجته أكان ذلك يفطرك » فقال الرجل : « لا » . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « فلا إذن » . فشبه النبي صلى الله عليه وسلم القبلة للصائم بالمضمضة من حيث أنه لم يدخل جوفه شيء مع الذكر ، وهذا يفهمه من له حاسة صحيحة ، وعقل وافر لا نافر . ثم وجدت في هذا الكلام تناقضا لأنه نفى استنباط الغير وأثبت لنفسه وأهل نحلته استنباطاً ، فان كان الاستنباط فاسداً فهلا هجره هو وقد قيل في المثل :

لاتنه عن خلق وتأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

ثم هذا الكلام خارج عن (ب) الانصاف ونهج الصواب لأنى سألته (ج) عن تصحيح ما يدعيه من معاني القرآن ، لا يدل عليه اللفظ العربي ولا يقتضيه فحواه ، وهو يزعم أنه يستنبط من القرآن معاني ، [والاستنباط لا يصح إلا بعد اعتبار معنى] (د) في الشيء المنصوص عليه فيرد عليه بذلك المعنى غيره مما لا ذكر له في القرآن وهو القياس المحض ؛ وهو لا يقول بالقياس والاستنباط فلم ينقص كلامه بعضه ببعض ؟ وينسخ أوله بآخره ؟ إنما يناظر المرء مكاتبة ومشافهة إذا ضبط المناظرة ، فأما الذي لا يعرف ذلك لم يتعرض له لأنه تفضحه شواهد الاختبار . فان زعم هذا القائل أنه من أولى الأمر لم يسلم له وقد بنى خلافاً على خلاف هو أعظم ، وادعى لنفسه ما لا يصلح له أبداً . وأما قولك ونص

(١) سقطت في ك . - (ب) في د : من . - (ج) في د : سألت .

(د) سقطت هذه الجملة من نسخة د .

الكتاب (١) ناطق أن للقرآن تأويلاً بقول الله تعالى : « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم »^(١) . فصحيح إلا أنه يحتاج أن يبين أن التأويل المشار إليه هو عارف به من دوننا ، وعنه يؤخذ ولأجله يسار إليه ، فاننا نقول وقولنا الحق والصدق ، إنه معنى ونحن به عارفون ، وهم عنه عادلون ، يقولون فيه بشهواتهم ، ومرادهم حيث يحملون قوله تعالى : « فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى »^(٢) على قوم بأعيانهم وهل ذلك إلا شهوة وقول معدول به عن الحق ، نعوذ بالله من القول في القرآن بالشهوة . وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده في النار » . وأما تعلقك في هذا الموضع بقوله تعالى : « ولنعلمه من تأويل الأحاديث »^(٣) . فهو محمول على معرفة تعبير الرؤيا ، أجمعوا على ذلك ، وليس تأويلاتك من هذا الجنس ، ولو كانت تأويلاتك تعبير الرؤيا (ب) على ما جاء فيه الآثار لكان مسلماً لا نناقش فيه ، فاعلم أنه لا تعلق لك بهذه الآية ، إذ لا حجة لك فيها بته بته . وأما تعلقك بقوله تعالى : « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله »^(٤) فهو حجة عليك إذ تجرأت على الله تعالى ، وحملت كلامه على مرادك ، وما زينه الشيطان في عينك بلا حجة ، وخالفت ظاهره ، وزدتم في القرآن ونقصتم وبدلتم على شهواتكم ، هذاكم الله للرشاد ودين الحق بمنه ولطفه .

وأما ما رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا صاحب التنزيل وعلى صاحب التأويل » فمن أعجب الأسور ! من روى هذا عن النبي أولاً من الصحابة ومن أهل البيت ؛ وأي شيء إسناده ؟ وفي أي كتاب دون ؟ وفي أي مسند كتب ؟ ومتى سمع على أمير المؤمنين عليه السلام يروى هذا ؟ أو يذكر تأويلاً لا يدل عليه لفظ العرب ؟ ومتى سمع أحد من أولاده الطاهرين يروى هذا ما لا أصل له بوجه من الوجوه ؟ فثبت الغشاء ولك الفضل .

وأما كلامك في تفسير التأويل فاني أسلمه لك تسليماً جديلاً لأطرح لك طرحاً وافراً وتقوى ثم أبين لك فساد تعلقك به ؛ أحسب أن الأمر في التفسير كما ذكرت لكن

(١) في د : القرآن . — (ب) في ك : المنامات .

(١) سورة آل عمران ٧/٣ . — (٢) سورة محمد ٤٧/١٥ . — (٣) سورة يوسف ٢١/١٢ .

(٤) سورة يونس ٣٩/١٠ .

من أين لك أنك إذا سلكت طريقتك ونهجت مذهبك واستمررت على عادتك كانت لك العاقبة ، به نجوت ويلزومك إياه تخلصت ، بل يقول لك مخالفك كل ما سلكته ضد ما رمته ، وخلاف ما أردته ، فهل وجدت في هذا الكلام نفسك إلا قائلة بشهواتها مائلة إلى ما وضعها .

وأما قولك اللفظ يقتضى التأويل فكلا وسعاذ الله ، اللفظ العربى الذى يقتضى (أ) عندهم معنى معلوما لا يحتاج سعه إلى التأويل بل هو محمول على معناه الحقيقى ، وقولك والعقل يقتضيه فليس الأمر كما زعمت فإن العقل لا يقتضى أن تحمل ألفاظ عربية على معان لم توضع لتلك الألفاظ ؛ يدلك على ذلك أن رجلا لو أمر غلاماً بأن يسقيه ماء فباع للامر جارية ، استجهل وأذّب وعوقب ؛ وإن قال حملت قوله اسقنى ماء على تأويل صحيح وهو أنه أراد منى بهذا اللفظ أن أبيع له جاريته (ب) لم يقبل منه ، ولم يسقط عنه التأديب واستترك عقله ، ولا يجوز أن يختلف فى هذا العقلاء ، فكيف تعضد دعواك بالعقل ولا يدل على صحة قولك هذا العقل الناقص فكيف العقل (ج) الكامل ؟ وأما ما ذكرت أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث فى حين استعلاء الألفاظ العربية وتبرج أهلها بالفصاحة والجزالة فنعم ؛ إلا أن الفصاحة والجزالة ضد ما تطلبه أنت وتدعو الناس إليه ، وأنا أضرب لكم مثلاً ها هنا ، وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم ركب فرسا ، فقال وجدتها بحرا ، وهو كلام جزل فحل فصيح وجيز ، فترى أنه يجوز لقائل أن يقول إنما أراد بقوله : «وجدتها بحرا» معنى سوى السير العظيم والنفس القوية والطاعة لراكبها ، حتى أنه لو أراد إنسان أن يحمل كلامه على غير هذا ما التفت إليه وعرج عليه . فاعرف الفصاحة من الشهوة ، والجزالة من الدعوة المحضة حتى لا تضل .

وأما قولك كان ظاهر القرآن ، معجزاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق معناه وتفسيره معجزاً لأهل بيته ، لا يدعيه سواهم إلا كاذب ، فكلام طريف (د) ، قد ادعيت أن لك استنباطا حقاً ، إليك فيه يسار ، فلم يصح لك دعواك . ثم قلت هذا الكلام الذى عظمت جنايته ، وذلك أن القرآن ظاهره وباطنه فكله معجز للنبى صلى الله عليه وسلم وقولك باطنه وتفسيره معجز لأهل بيته صلوات الله عليهم كلام غير مفهوم ففسره ؛ ثم لا يصح هذا الكلام كله من أوله إلى آخره من حيث أن أهل البيت ما فيهم من أولهم إلى آخرهم من يدعى لنفسه شيئاً مما ذكرته ، بل

(أ) فى د : الذى عندهم يقتضى . — (ب) فى د : جاريته . — (ج) فى د : العاقل .
(د) فى ك : طريف لك .

كلهم صاروا إلى كتاب الله تعالى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يدعوا تأويلاً أنت القائل به ، ولا خالفوا الناس ولا أخفوا عنهم الدين دين الاسلام ، بل علموهم في الظاهر وأمروهم بالمصير إليه ، فقد علمت أنك تحاول ما لا أصل له ، ولا يرتضيه أهل البيت ، بل يسخطونه ويمقتون قائله ومعتقده . وأما الخبر الذي رويته عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي» فصحيح وأنت عادل عنهم ناسب إليهم ما لا يعتقدونه ، تبطل ما قالوه واستعملوه في الدين ، تتفوه بذكرهم ، وتنقض عليهم دينهم عروة عروة . وفق الله بين قولك وعملك ، وهداك إلى الرجوع إلى اعتقادهم وأقوالهم . وأما الكلام فيمن لا يفرق بين نفسه وبين الجمادات فلم يجر بيني وبينك كلام فيه ، والاشتغال به من جهته عبث ، وقد تبينت فساد كل (١) جواب كلامك شيئاً شيئاً . وجملة القول أنه تدهكم (ب) (١) في جواب مسألتى ، وشغل المسألة بعبارات تشتمل على الهرب والدعوة وترك الانصاف ، وبدأ فيه بالجفاء ، وقد خاطبتك مرة بحرف الغيبة وأخرى بحرف المبهمة إذ هذه عادة العرب العاربة ، وأنا منتظر لجواب المسألة والجواب عن (ج) هذه الأسئلة اللازمة ، والله أسأل أن يعصمنا من (د) الزلل ويهدينا إلى صواب العمل وهو بلطفه يسمع ويحيب .

رد المؤيد

(الجواب) وصل الجواب بالاعتراض الذي أجل المسامحة الشريفة للموقف الأشرف الشاهنشاهی خلد الله ملكه عن أن يكون ما تضمنه من الهجو الوافر ، والسقط الكثير جرى فيها ، فلم يأمر بالمقابلة عنه بالزجر والنكير . إذ كان ذلك من أشراط المناظرات خارجاً ، ولعادات المجارات في المسائل مباحيناً ، ولقد كان التحفظ في الامتناع عن المشافهة بها عن مثله ، والتصون عن نظيره ، ولم أدر أنه يستفتح به ، وأرشق على ظهر الغيب بسماهيه . ومعلوم أن مستقرنا من قديم الدهر بشيراز هذه وأن أحداً لم يمكنه أن يدير بمثل هذا الجفاء لساناً ، أو يصرف على هذه اللدغات المؤلمة بنائناً ، ففي أى الأحكام أن إنساناً سئل عن مسألة فيصدر جوابها ما يظهر فيه لأهل بيت الرسالة عليهم السلام على

(١) سقطت في د . - (ب) في د : دهم . - (ج) في د : من . - (د) في ك : عن .

(١) تدهكم أى اقتحم في أمر شديد .

المهين . يا نعمان أيهما أفضل الصلاة أم الصوم ؟ فقال : الصلاة . فقال : إن الله تعالى أمر الحائض أن تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ، ولو كان القياس مطرداً لكان القضاء في الصلاة ! وأيهما أطهر المنى أم البول ؟ قال : المنى . فقال الصادق : إن الله تعالى أوجب في المنى الغسل وفي البول الوضوء ولو كان بالقياس لكان الغسل في البول (١) وأيهما أعظم عند الله الزنى أم قتل النفس ؟ قال : قتل النفس . قال : فإن الله تعالى أوجب في القتل شاهدين وفي الزنى أربعة ولو كان بالقياس لكان (ب) الأربعة في القتل ! . قال : فأيهما أضعف المرأة أم الرجل ؟ قال : المرأة . قال : فلم يجعل لها سهم وللرجل سهمان ؟ فلو كان بالقياس كان السهمان للمرأة ! فاتفق الله يا نعمان ولا تقس فاننا نقف غداً (ج) بين يدي الله تعالى فيسألنا عن قولنا ، ويسألكم عن قولكم ، فنقول نحن : قلنا ما قال الله تعالى ورسوله ، وتقول أنت وأصحابك رأينا وقسنا فيفعل الله بنا وبكم ما يشاء .

وأما الفائدة التي سقطها إلى واستننت بها على لأزين بها حلقتي فيما يتعلق بقوله سبحانه : «وجمله وفصاله ثلاثون شهراً (١)» مما ذكرت أنه من استنباط أئمتك ، فابعت ثقة لك لنريه أنها (د) مسطرة عندنا في كتاب يسمى «دعائم الاسلام (٢)» والرواية صادرة عن علي عليه السلام دون من ذكرت طنزك (٣) ونبذك مما يتعين الصبر عليه . وأما قولك إنما نحن أولوا الأمر ، لأننا العلماء والقُدوة والفقهاء ، والنظار في دين الله تعالى ، والذابون عنه والناصرين له ، والدامغون للباطل وحزبه والرادون

(١) في د : قال وأيهما . — (ب) في د : لكنت . — (ج) سقطت في ك .

(د) في د : اياها .

(١) سورة الأحقاف ٤٦/١٥ .

(٢) كتاب «دعائم الاسلام» للقاضي أبي حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد ابن حيون التميمي ، والاسماعيلية لا يكونونه بأبي حنيفة خوف الالتباس بالامام أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب المعروف ، بل يشير أتباع المذهب إليه بسيدنا القاضي النعمان والقاضي الأجل وتوفي النعمان سنة ٣٦٣ هـ في خلافة المعز لدين الله الفاطمي بعد أن خدم المهدي ، ثم خدم القائم والمنصور ثم المعز وكتابه دعائم الاسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام في جزأين الأول يبحث في العبادات وأوله باب الايمان والثاني يبحث عن المعاملات ، والمقول إن المعز هو الذي أمر النعمان بتأليف هذا الكتاب لما وجد اختلافاً شديداً بين الدعاة في الفقه فأصبح هذا الكتاب أكبر مصدر في فقه الفاطميين وعليه يعتمد الاسماعيلية إلى الآن . (راجع ما كتبناه في المقدمة لكتاب الهمة في آداب أتباع الأئمة) .

(٣) الطنز السخرية والنبز بالفتح فالسكون اللمز .

كلهم صاروا إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولم يدعوا تأويلاً أنت القائل به ، ولا خالفوا الناس ولا أخفوا عنهم الدين دين الاسلام ، بل علموهم في الظاهر وأمروهم بالمصير إليه ، فقد علمت أنك تحاول ما لا أصل له ، ولا يرتضيه أهل البيت ، بل يسخطونه ويمقتون قائله ومعتقده . وأما الخبر الذي رويته عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي » فصحيح وأنت عادل عنهم ناسب إليهم ما لا يعتقدونه ، تبطل ما قالوه واستعملوه في الدين ، تتفوه بذكرهم ، وتنقض عليهم دينهم عروة عروة . وفق الله بين قولك وعملك ، وهداك إلى الرجوع إلى اعتقادهم وأقوالهم . وأما الكلام فيمن لا يفرق بين نفسه وبين الجمادات فلم يجر بيني وبينك كلام فيه ، والاشتغال به من جهته عبث ، وقد تبينت فساد كل (١) جواب كلامك شيئاً شيئاً . وجملة القول أنه تدهكم (ب) (١) في جواب مسألتى ، وشغل المسألة بعبارات تشتمل على الهرب والدعوة وترك الانصاف ، وبدأ فيه بالجفاء ، وقد خاطبتك مرة بحرف الغيبة وأخرى بحرف المبهمة إذ هذه عادة العرب العاربة ، وأنا منتظر لجواب المسألة والجواب عن (ج) هذه الأسئلة اللازمة ، والله أسأل أن يعصمنا من (د) الزلل ويهدينا إلى صواب العمل وهو بلطفه يسمع ويحيب .

رد المؤيد

(الجواب) وصل الجواب بالاعتراض الذي أجل المسامحة الشريفة للموقف الأشرف الشاهنشاهی خلد الله ملكه عن أن يكون ما تضمنه من الهجو الوافر ، والسقط الكثير جرى فيها ، فلم يأمر بالمقابلة عنه بالزجر والنكير . إذ كان ذلك من أشراط المناظرات خارجاً ، ولعادات المجارات في المسائل مباحيناً ، ولقد كان التحفظ في الامتناع عن المشافهة بها عن مثله ، والتصون عن نظيره ، ولم أدر أنه يستفتح به ، وأرشق على ظهر الغيب بسهامه . ومعلوم أن مستقرنا من قديم الدهر بشيراز هذه وأن أحداً لم يمكنه أن يدير بمثل هذا الجفاء لساناً ، أو يصرف على هذه اللدغات المؤلمة بنائاً ، ففي أى الأحكام أن إنساناً سئل عن مسألة فيصدر جوابها ما يظهر فيه لأهل بيت الرسالة عليهم السلام على

(١) سقطت في د . - (ب) في د : دهم . - (ج) في د : من . - (د) في ك : عن .

(١) تدهكم أى اقتحم في أمر شديد .

المهين . يا نعمان أيهما أفضل الصلاة أم الصوم ؟ فقال : الصلاة . فقال : إن الله تعالى أمر الحائض أن تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ، ولو كان القياس مطرداً لكان القضاء في الصلاة ! وأيهما أطهر المنى أم البول ؟ قال : المنى . فقال الصادق : إن الله تعالى أوجب في المنى الغسل وفي البول الوضوء ولو كان بالقياس لكان الغسل في البول (١) وأيهما أعظم عند الله الزنى أم قتل النفس ؟ قال : قتل النفس . قال : فإن الله تعالى أوجب في القتل شاهدين وفي الزنى أربعة ولو كان بالقياس لكان (ب) الأربعة في القتل ! . قال : فأيهما أضعف المرأة أم الرجل ؟ قال : المرأة . قال : فلم يجعل لها سهم وللرجل سهمان ؟ فلو كان بالقياس كان السهمان للمرأة ! فاتق الله يا نعمان ولا تقس فاننا نقف غداً (ج) بين يدي الله تعالى فيسألنا عن قولنا ، ويسألكم عن قولكم ، فنقول نحن : قلنا ما قال الله تعالى ورسوله ، وتقول أنت وأصحابك رأينا وقسنا فيفعل الله بنا وبكم ما يشاء .

وأما الفائدة التي سقتها إلى واستننت بها على لأزين بها حلقتي فيما يتعلق بقوله سبحانه : «وجمله وفصاله ثلاثون شهراً (١)» مما ذكرت أنه من استنباط أئمتك ، فابعث ثقة لك لنريه أنها (د) مسطرة عندنا في كتاب يسمى «دعائم الاسلام (٢)» والرواية صادرة عن علي عليه السلام دون من ذكرت طنزك (٣) ونبذك مما يتعين الصبر عليه . وأما قولك إنما نحن أولوا الأمر ، لأننا العلماء والقُدوة والفقهاء ، والنظار في دين الله تعالى ، والذابون عنه والناصرون له ، والدامغون للباطل وحزبه والرادون

(١) في د : قال وأيهما . — (ب) في د : لكانت . — (ج) سقطت في ك .

(د) في د : اياها .

(١) سورة الأحقاف ٤٦/١٥ .

(٢) كتاب «دعائم الاسلام» للقاضي أبي حنيفة النعمان بن أبي عبد الله محمد بن منصور بن أحمد ابن حيون التميمي ، والاسماعيلية لا يكنونه بأبي حنيفة خوف الالتباس بالامام أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب المعروف ، بل يشير أتباع المذهب إليه بسيدنا القاضي النعمان والقاضي الأجل وتوفي النعمان سنة ٣٦٣ هـ في خلافة المعز لدين الله الفاطمي بعد أن خدم المهدي ، ثم خدم القائم والمنصور ثم المعز وكتابه دعائم الاسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام في جزأين الأول يبحث في العبادات وأوله باب الايمان والثاني يبحث عن المعاملات ، والمقول إن المعز هو الذي أمر النعمان بتأليف هذا الكتاب لما وجد اختلافاً شديداً بين الدعاة في الفقه فأصبح هذا الكتاب أكبر مصدر في فقه الفاطميين وعليه يعتمد الاسماعيلية إلى الآن . (راجع ما كتبناه في المقدمة لكتاب المهمة في آداب أتباع الأئمة) .

(٣) الطنز السخرية والنبز بالفتح فالسكون اللمز .

على الزائفين ، فقد عرفت ذلك ولقد حقق في نفسى صدق قولك بكونك من أولى الأمر تسلطك هذا وتنشطك (١) في استماع السوء ، وضراوتك على ثلب الناس والنقيصة فيهم ، وحجتك في هذا المعنى قوية والمسألة لك مسلمة ، بعد أن كان مأثوراً عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن قول الله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم»^(١) ، فقال : إيانا عني به ونحن أولوا الأمر وطاعتنا مفروضة . وإنما هذه ثلاث طاعات خارجة مخرج الاطلاق والعموم ، ولم تتعقب واحدة منها بتقييد ولا خصوص ، فطاعة الله سبحانه عامة لجميع الخلائق وكشلها طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وينبغي أن تكون طاعة أولى الأمر مثلها عامة وعلى مثلها (ب) جارية . ثم إن طاعة الله ممتنعة إلا بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وكشلها تمتنع طاعة الرسول إلا بطاعة الأئمة من ذريته (عليهم السلام) ليكون الجميع على نسق واحد جارياً وبعضه لبعض موازياً ، وإن كان بنو عليّ من الحسن والحسين ، وزين العابدين ، والباقر ، والصادق ، ومن نسلوا (عليهم السلام) قد نزعوا عن هذه الفضيلة ، وسقط في طاعتهم ما أكد الله من الفريضة ، فلائن يكون شاهنشاه المعظم حرس الله ملكه متوجاً بتاجها متبرجاً (ج) بزيتها خيراً من أن تكون أيها الشيخ المترشح لها والمتوسم بها ، فبالله لا تنافسه في ذلك . وأما قولك إنني نفيت الاستنباط ثم أوجبت لنفسى مثله ، فمتى قلت ذلك وادعيتيه ؟ لم أدعيه إلا لأهله الذين أوجب الله لهم أن يستنبطوا انتزاعاً من القرآن على مثال (د) تركيب الأنفس وتقدير الآفاق ، حتى إذا اعتبرت المسألة من منتزعاتهم وجدت السموات والأرض بها شاهدة ، ولفضائلها مؤكدة ، فإن كانت منتزعات أبي حنيفة التي هي مائة ألف مسألة على هذه الصيغة في شهادة التركيب لها لم يكن عليها مزيد ، وإن كانت مؤسسة على شفا جرف الشبهة ، إذن ليس هو من رجال الاستنباط والانتزاع .

وأما ما كررته من ذكر سؤالك عن تصحيح ما أدعيه من معانى القرآن لا يدل عليها اللفظ العربى وإفضاؤك إلى التكررات التي كلامك مشحون منها ، مما يصدر من مثلك مثلها ، فقد عرفتته وودت أن لا يعرى فصل واحد منها ، وليس يكاد يتفق والقول في جواب السؤال ؛ اننى أسألك هل كان في معتادات العرب الصلاة التي هي القيام والركوع والسجود ؟ وهل عرفوا فيها إلا السابق والمصلى ؟ فلو وكل الأعرابي إلى استدراج ذلك بفطنته أكان يجد من

(١) في د : تبسطك . - (ب) في د : مثلها . - (ج) في د : متبرجاً . - (د) سقطت في ك .

فصاحته في معرفة الصلاة رداء؟ أم هل عرفوا في الصوم غير الوقوف؟ فلو خلى بينهم وبين فصاحتهم أكانوا يبلغون فيه غرضاً مؤدياً! أم هل عرفوا من الزكاة غير الزيادة فهل كانوا يبلغون بأحلامهم لو تركوا فيها غرضاً؟ وكذلك السنة والشرعية والنبي والامام. ثم أن الله تعالى يقول: «إنما المشركون نجس»^(١) من أين يتمنى للفصيح من الأعراب هذا القول؟ أليس مأثوراً عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إياكم وخضراء الدمن» أين هذا مما يبلغه فطنة العرب أنه المرأة الحسناء في منبت السوء. أليس الله تعالى يقول: «أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً»^(٢) فشبه الماء بالوحى، وما خص به الأنبياء عليهم السلام. أليس النبي يقول: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً وعلى جانبي الصراط سور وعلى السور أبواب مفتحة عليها ستور مرخاة، وعلى جانبي الصراط داع يدعو أن ادخلوا الجنة ولا تخرجوا» فشبه ذلك بالاسلام ومحدود الله ومحارم الله تعالى. وأمثال ذلك كثيرة مع الانصاف يحزى عشرها. وأما قول الله تعالى: «وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم»^(٣) مما احتججت (أ) به في وجوب تأويل الكتاب وإثباتك إياه بعد أن سودت الطوامير في دفعه وإنكاره والمطالبة بإثباته ووافق (ب) الأمر فيه على الخلاف هل هو في أيدينا أم في أيديكم، فقد عرفته، والحمد لله الذي ردك إلى الواجب وأفضى بك بعد الجحود إلى الاقرار، وقولك إنكم — تعيننا به — عنه عادلون ويشهواتكم قائلون، فأنت في حل. ونسبك إلينا أننا نحمل معنى قوله: «أنهار من ماء غير آسن»^(٤) وغير ذلك على أنهم قوم بأعيانهم فقد وجدتك في معرفة مذهب مخالفك غير ماهر، وقبيح بك (ج) القطع على ما لا تعرفه. وأما تقسيمك الآية: «ولنعلمه من تأويل الأحاديث»^(٥) على أنه الرؤيا فقد أثبتت الآن التأويل ولا جحود بعد إقرار، ولو ثبت على آية واحدة وتكلمت عليها لتبين لكل منا مقداره، ولكنك تقتصر على السب والشتم والقصص والحكايات، وما يضيع الوقت فيما يصرف إلى كتب جوابه، وأما ما استدلت به من قول الله تعالى: «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله»^(٦) وما سرده في جوابه من الشتيمة المستمرة المطردة أنك فعلت

(١) في د: احتجبت وفي ك: احتجت. — (ب) في د: وأوقف. — (ج) في ك: لك.

(١) سورة التوبة ٢٨/٩. — (٢) سورة الرعد ١٧/١٣. — (٣) سورة آل عمران ٧/٣. — (٤) سورة محمد ١٥/٤٧. — (٥) سورة يوسف ٢١/١٢. — (٦) سورة يونس ٣٩/١٠.

وصنعت وزين الشيطان في عينك ، فلا أدري من أين حصلت لك هذه الحجة القاطعة والبراهين اللامعة . وأما إنكارك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في عليّ : «إنك صاحب التأويل» . فأنكره ولا شيء عليك ، ولئن أنكرت أن عليّاً صاحبه فلقد أوردت الآن (١) أن ها هنا تأويلاً ، فمن صاحبه ؟ أفدنا مأجوراً . فلئن كنت وأبناء جنسك أصحابه على سنتكم في الدعوى أنكم أولوا الأمر فاعلمنا ذلك . وأما ما رددته عليّ من القول في كون التأويل علم العاقبة الذي به ينجي فأنى لا أنكر على مخالفتي إذ قال إن الذي نتمسك به هو ضد ذلك مما ينجي به ، فقد سبق القول إن الذي يتمسك به للنجاة ويتحقق أنه علم العاقبة ما كان شاهداً بصحته الآفاق والأنفس ، أو لا يكفي من البيان ما تشهد به الأيدي والأرجل كما قال الله عز وجل : «يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون» (١) . فما بعد قيام هذه الشهادات في معارف علم العقبي بشيء وماذا بعد الحق إلا الضلال . وأما قولك إن اللفظ العربي لا يقتضي تأويلاً فإنه محمول على معناه المقصود (ب) منذ تقدم الذكر في حديث الصلاة والزكاة ونجاسة الشرك وما يجري هذا المجرى ، وأنه لو خلى بين العرب وبين ذلك كله فلم يكشف لهم فيه الغطاء ولما كان الجهل يغشاهم والوقوف دون الغرض فيه قصراً لهم . وأما تمثيلك فيه بمن أمر غلامه أن يسقيه ماء فباع جاريته فما أحسنه من مثل ، هلا تمثلت بقول النبي صلى الله عليه وسلم : «لا ينقص مال من صدقة بل يزيد» . وهلا اعتبرت المائتين إذا أخذت منها خمسة يزيد (ج) ذلك أم ينقص وهل ذلك شيء إذا اعتبره أعرابي (د) بفصاحته استبان له وجه الغرض ؟ وهلا اعتبرت (هـ) قوله سبحانه «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين» (٢) ومن تتصرف هذه الاشارات إليه ألقى في التراب مفارقاً بين رأسه وجسده وهو نصب عينيك تراه ميتاً مطروحاً فكيف تعدّه حيّاً مرزوقاً ، وكيف تقول إنه عند ربه وهو عندك بأسوأ حاله . أين يحوم (و) الأعرابي حول هذا ؟ وبأي مشابة هو من مبلغ فهمه . وهلا اعتبرت قوله سبحانه أيضاً : «يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم» (٣) «فكنى عن الأحياء بالأموات ها هنا وعن الأموات بالأحياء هناك ، فما تصنع العرب ها هنا ؟ على أن الخلاف معك زال

(١) سقطت في د . — (ب) في د : المتصور . — (ج) في د : انه يزيد .

(د) في د : الاعرابي . — (هـ) في د : اعتبرت في قوله . — (و) في د : يحول .

(١) سورة النور ٢٤/٢٤ . — (٢) سورة آل عمران ١٦٩/٣ . — (٣) الأنفال ٢٤/٨ .

في إثبات التأويل فقد ردك الله فيه إلى الواجب فأقررت بثبوته بعد ما أسعنت في دفعه وإنكاره . وأما تهجينك لقولى إن معنى القرآن معجزة لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يملك مفاتيح أقفاله غيرهم ولا يدعى قدم الصديق فيه سواهم ، فيا سبحان الله أيجوز لك أن تدعى أنك من أولى الأمر وتنكر أن يكون بنو علي أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أهلا لهذه الفضيلة ؟ ما أظلمك لحمد صلى الله عليه وسلم في أهل بيته ، فتفضل وسقهم في هذه المزية مساق نفسك وسو (١) بينهم وبين أبناء جنسك ، ما هذا الانكار العظيم والامتعاض الكثير . وأما قولك إني مخالف لأهل البيت وفاعل وصانع لجميع ذلك معتاد من برك وفضلك ، وفي كل ساعة يتجدد لدى عرفك وإحسانك ، وقولك إنهم ما خالفوا الناس ولا كاتموا دينهم فالله تعالى بايع وعاهد وبه أمر فاعتبر القرآن تجد موجبات العهد فيه والبيعة كثيرا « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا (١) » والله تعالى قسم ما خلق قسمين : ظاهرا جلليا كالدنيا وكأجسادنا ، وباطنا خفيا كالآخرة وأرواحنا ، فسله لم فعل كذلك ! وسل النبي صلى الله عليه وسلم لم قسم شريعته هذا التقسيم ؟ فان خصومتك في ذلك كله معهما وعندك أنك إذا قرأت « بسم الله الرحمن الرحيم » فقد قتلته علما ، وأحطت بما فيه خبراً ولو لم تشتغل بهذه الترهات ، وكنت تدع رجلك على معنى آية حتى كنا نتكلم فيها ، لعرفت هل يصح لك فيها معلوم أم لا . وإن شئت جعلنا بسم الله الرحمن الرحيم قاعدة الكلام ، فأورد ما تعرفه فيه (ب) لتخاطب عليه . وهبك تتصور في نفسك أنك بقدر بضاعتك في العربية ذلت قطوف معاني القرآن لك ، فصرت من أولى الأمر المفترضى الطاعة ما الذى عرفته في « كهيعص (٢) » و « جمعسق (٣) » وأشباههما أما تعلم أن ذلك ليس بعبث ، وأنه يحتاج إلى معنى محقق فان كان ذلك مما لا يعرف معناه بوجه فهل كان إirاده إلا عبثا يجب أن ترجع إلى معهود نفسك ولا تمد رجلك فوق قدرك وتسكف عنان سبك وتلبك فانه أولى . وأما الكلام فيمن لا يفرق بين نفسه وبين الجماد وقولك إنه ما دار بيني وبينك خطب فيه ، فكان سهمى في ذلك تجاوزك ، وما نال منك نياله من غيرك أو كأنك (ج) اهتديت فيه لما ضل عنه سواك ، ولو كانت نصفة لما عكستم المسألة على ، وأنتم فيما تقدم من سؤالى مأخوذون بالنواصى والاقدام . جعلنا الله ممن يعرفون

(١) في د : وشد . - (ب) سقطت في ك . - (ج) في ك : وكأنه .

(١) سورة الأحزاب ٧/٣٣ . - (٢) سورة مريم ١/١٩ . - (٣) سورة الشورى ١/٤٢ .

مقادير نفوسهم فما هلك امرئ عرف قدره . والسلام والحمد لله رب العالمين وصلواته على النبي المصطفى محمد وعترته الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

مناظرة الخراساني

جواب الخراساني عما سئل عنه من معنى قول الله عز وجل : « ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ^(١) » والغرض في السؤال أن يفرق بين الناس وبينها إذا كان السجود يعم الكافة :

« بسم الله الرحمن الرحيم » قال الله تعالى في صفة النبي صلى الله عليه وسلم : « ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . علمه شديد القوى ^(٢) » أعلمنا أنه لا يتكلم إلا عن وحي ، وقال تبارك وتعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ^(٣) » أمرنا تبارك وتعالى بأن ننتهى عما نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تعالى في سورة النساء : « من يطع الرسول فقد أطاع الله ^(٤) » وقرن طاعته بطاعته إذ كان لا يأمر العباد إلا بالحق ، كذلك كان لا ينهى إلا عن ما يجب الانتهاء عنه ، فيلزم كل مسلم أن لا يتعدى حدود الله تعالى ، فقد قال الله تعالى عز من قائل : « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين ^(٥) » وقد قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة ^(٦) » وابتغاء الوسيلة متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم عند أكثر المفسرين ، فعلياً أن نتبع سنته ونسلك طريقته ، وننتهي عما نهانا عنه . قال صلى الله عليه وسلم : « من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وحدثنا بهذا الحديث القاضي أبو حامد بن أحمد بن أبي اسحق ^(١) الابنوردي قال : أخبرنا الشيخ أبو بكر محمد بن غلينة ^(ب) قال أخبرنا أبو بكر الشافعي قال حدثنا محمد بن سليمان الحرث الواسطي : قال حدثنا أبو نعيم الفضل

(١) في نسخة ك : أبو حامد أحمد بن أبي أحمد بن اسحق الأبيوزدي .

(ب) في نسخة د : أبو بكر محمد بن أحمد بن علي خان .

(١) سورة الحج ١٨/٢٢ . — (٢) سورة النجم ٣/٥٣ و ٤ و ٥ .

(٣) سورة الحشر ٧/٥٩ . — (٤) سورة النساء ٨٠/٤ .

(٥) سورة النساء ١٤/٤ . — (٦) سورة المائدة ٣٥/٥ .

ابن دكين (١) قال : حدثنا عيسى بن طهمان (ب) الجشمي قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»^(١) . وفي تفسير النقاش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «اتقوا الحديث إلا ما علمتم فإنه من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، ومن كذب في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» . وعن أبي صالح عن ابن عباس قال : «من فسر القرآن بالرأى فأصاب لم يؤجر وإن أخطأ دخل النار»^(٢) . وفيه عن سعيد بن جبير عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من فسر القرآن برأيه فأصاب كتبت (ج) عليه خطيئة لو قسمت بين العباد لوسعهم ، فإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار» . وعن الحسن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من فسر القرآن على رأيه فأصاب لم يؤجر وإن أخطأ محا الله النور عن قلبه» وهذا خبر مشهور لا طعن عليه رواه الثقات عن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أبو بكر وعمر عن قوله تعالى «وفاكهة وأبا»^(٣) فقالا لا علم لنا أى سماء تظلنا وأى أرض تقلنا إذا قلنا فى كتاب الله تعالى بما لا نعلم^(٤) . وعن مسروق قال : قال على بن أبي طالب عليه السلام وابدوها على الكبد إذا سئل عما لا يعلم أن يقال الله أعلم . ثم قال على عليه السلام : أى أرض تسعنى وأى سماء تظلنى إذا قلت على الله ورسوله ما لا أعلم . ثم قال على عليه السلام : كلام العرب كالميزان الذى يعرف به الزيادة والنقصان ، وهو أعذب من الماء وأرق من الهواء، إن فسرته بذاته استصعب

(١) فى ك و د : بوأنعيم الفضل بن زكريا والتصحيح عن تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٢٧٠ .
(ب) فى ك : طها . — (ج) ك : كتب .

(١) رواية الترمذى عن ابن عباس عن النبي قال : اتقوا الحديث على إلا ما علمتم فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ومن قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار .
(٢) فى مسند ابى داود عن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» . وزاد رزين «ومن قال برأيه فأخطأ فقد كفر» . وقيل إنه حديث غريب .
[تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٢]

(٣) سورة عبس ٣١/٨٠ .
(٤) عن ابن أبى مليكة قال : سئل أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى تفسير حرف من القرآن فقال : «أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى وأين أذهب وكيف أصنع إذا قلت فى حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالى» [تفسير القرطبي ج ١ ص ٣٤] .

وإن فسرته بغير معناه استحال ؛ فليس يجوز لأحد أن يتكلم في القرآن برأيه وإن كان عارفاً باللغة ، ولو كان علم القرآن يدرك باللغة دون التنزيل والمراد لم يكن في العالم أحد أعلم به من الأعرابي ، والجلي والخفي له أصل في القرآن : إما منصوص إليه أو مدلول عليه بعقل لأن علم القرآن أصل المصلحة وقطب المنفعة . وعن ابن عباس قال : تفسير القرآن على أربعة أوجه : تفسير يعرفه العلماء ، وتفسير يعرفه العرب ، وتفسير لا يعذر بجهالته أحد وهو الحلال والحرام ، وتفسير لا يعلم تأويله إلا الله ، من ادعى علمه فهو كذاب . قال الله تعالى : «ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً»^(١) قال أبو العالية : الحكمة الفهم في القرآن وقال غيره تفسير القرآن . ورحل مسروق في آية إلى البصرة فسئل عن الذي يفسرها فأخبر أنه بالشام ، فقدم الكوفة فتجهز به ثم وصل إلى الشام حتى سأل عنها ابن عباس قال : «إن هذا القرآن ذو شجون وفنون لاتنقض عجائبه فمن أوغل فيه بأثر نجا — ويروى من أوغل فيه برفق نجا — ومن أوغل فيه بعنف أو قال برأيه هوى ، أخبار وأمثال ، وحلال وحرام ، وناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، وظهور وبطون ، وظاهره التلاوة وباطنه التأويل فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء» . قال أبو سعيد المروزي : فمن تكلم في القرآن من حيث النقل فهو من العلماء ، ومن تكلم من حيث الرأي فهو من السفهاء .

(فصل) أبو الأحوص عن عبد الله بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر وبطن ، ولكل حد مطلع . والشيخ الزاهد أحمد بن سنان قال : المعنى في قوله ظهر وبطن يريد ظاهراً وباطناً ، فالظاهر ما يعرفه العلماء ، والباطن ما يخفى عليهم ، فنقول في ذلك كما أسرنا ، ونكل ما لا نعلمه إلى الله عز اسمه . وقال غيره : هو أن يؤمن به ظاهراً وباطناً ، ويقال ظهر وبطن فرائضه وأحكامه ومطلعه ثوابه وعقابه وقال أبو عمر (١) لكل حد مطلع أي مأتي منه . وليس لهذا الكلام مطلع غير ما قلت يريد وجهه ، وفيه أقوال كثيرة وأحسنها عندي قول من قال الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله لأن في القرآن أشياء لا تعرف إلا بالتفسير ، وحدودها لا تفهم إلا بالتوفيق (ب) فاللفظ ظاهر وما أراد الله باطن يحتاج (ج) من أراد علمه إلى الفحص عنه لغة ونقله والله الموفق ، ومن سألني عن معنى قوله تعالى :

(١) كذا في ك ود ولعل الصواب ابن عمر . — (ب) في ك : التوقيف .

(ج) في د : ما يحتاج .

«ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب (١)» فأنا أتكلم في معنى الآية على ما تكلم فيه السلف لغة ونقلًا ، فمن رام مني غير ذلك فقد تعدى وأساء ، ويجب أن يبين هو ما عنده ، كما أبين أنا ما عندي ، ثم يتأمل في التفاسير فإن كان ما قلته وبينته موافقاً لأقوايل المفسرين فأنا على الصواب ويلزمه ترك ما تعلق به من الشبهة ، فان كان ما قاله موافقاً لأقوايلهم دون ما قلته رجعت أنا حينئذ عن قولي فيظهر للناس الحق من الباطل والصواب من الخطأ ، فأما من يضرب الطبل تحت الكساء ويتبع الهوى ويروم مني أو من غيري الاعتماد على الخطأ كان قوله « كسر اب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » .

أما الكلام في الآية من حيث اللغة فان السجود في كلام العرب هو الخضوع والانقياد لأمر الأمر ، ومن لا يمتنع من أمر الأمر فقد انقاد له ، ويقال كان سجود الملائكة لآدم عليه السلام إيماء ولم يضعوا وجوههم بالأرض ، ولا ينبغي لأحد أن يضع جبهته بالأرض إلا لله تعالى ، ويقال كان سجودهم له خضوعاً وإقراراً بفضله لما أنبأهم بالأسماء التي علمه الله تعالى ، فيجوز أن يكون السجود بمعنى الانخاء والخضوع . وأما السجود بمعنى الاقرار بالفضل فهو قوله تعالى : « ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً (٢) » ولم يكونوا سجدوا له لكن أقروا بفضله من حيث أنهم أساءوا إليه وأحسن إليهم وهو معنى قوله تعالى : « تالله لقد آثر الله علينا (٣) » ويجوز أن يكون آدم كالقبلة وكما أنا أمرنا أن نسجد نحو الكعبة كذلك أمرنا أن يسجدوا لله وآدم لهم كالقبلة ؛ وإنما قررت معاني السجود هاهنا لئلا يطول الكلام عند الآية التي سئلت عن معناها .

أما الكلام في قوله تبارك وتعالى «ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب» . فقوله تعالى : «ألم تر» يقول ألم تخبر يا محمد في الكتاب فتعلم أن الله يسجد له يقول يصلي له وينقاد لأمره من في السموات من الخلق (١) ومن في الأرض من الملائكة والجن الذين لا ترون سجودهم ؛ فأما من اعترض على فقال لم يعهد في مكان أن «ألم تعلم» ناب مناب «ألم تر» وأنه إن جاز ذلك جاز أن يقوم ألم تر أيضاً مقامه في كل موضع مما ليس

(١) في د : خلق .

(١) سورة الحج ١٨/٢٢ . - (٢) سورة يوسف ١٠٠/١٢ . - (٣) سورة يوسف ٩١/١٢ .

بينه وبين الرؤية مناسبة ، فهذا كلام رجل ليس يعرف أن العرب تضع العلم مكان الرؤية وتضع الرؤية مكان العلم ؛ أما العلم مكان الرؤية فمثل قوله تعالى : « ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » إلى قوله « فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين^(١) » هاهنا العلم بمعنى الرؤية إجماعاً ، وذلك أن الله تعالى علم قبل أن يفتنهم الصادق من الكاذب ، وليس يجوز أنه يقال أن يحدد له علم بعد أن اختبرهم ، بل علم بسابق علمه ما يكون منهم ، فلما ظهر ما كان (في اللوح) (١) من معلومه رآه كما علمه ، وكذلك الملائكة رأوا ذلك حسب ما كان مكتوباً في اللوح فهذا (ب) هو الفرق بين المعلوم والمرئى ، فإن البارى عالم بالموجود والمعدوم ، وإذا وجد (ج) المعدوم أدركه على ما هو . وأما الرؤية بمعنى العلم فكقوله تعالى : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد^(٢) » فليس يصح حمل هذه الرؤية بمعنى النظر إلى الشئ ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ما نظر إلى قوم عاد بل علم بخبر صادق أن الله تعالى أهلكهم فقد دل دليل العقل على أن الرؤية هاهنا ليس بمعنى النظر فمعنى قوله « ألم تر » ألم تخبر ، ألم تعلم ، وفي مثل هذا يرجع إلى أهل اللغة ولا منازعة فيها بل الأمر فيه موكل إلى أهلها .

وأما قوله : « والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب » ، ومثل ذلك قوله : « إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق^(٣) » سئل على عليه السلام عن تسبيح الجبال فقال : والله ربنا (د) قادر أن يصنع ذلك وأنا أومن « وقد صح أن ركانة^(٤) سأل النبي صلى الله عليه وسلم معجزة فقال : وما تريد ؟ فقال : أريد أن تشهد تلك الشجرة لك بالنبوة ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيها ويستدعيها والقصة معروفة . وتسبيح الحصى في يد النبي صلى الله عليه وسلم أشهر من الشمس حتى قال على عليه السلام يسبح في يديه الحصى وشهد على نبوته . وأقام دلالات لا تحصى ، ومن أنكر هذا فقد أنكر القدرة ودفع المعجزة ، ومنه كلام الذئب وكلام الضب وتسبيح الحصى وإتيان

(١) سقطت في د . - (ب) في د : وهذا . - (ج) في ك : اوجد .

(د) ك : ربنا والله .

(١) سورة العنكبوت ١/٢٩ و ٣ . - (٢) سورة الفجر ٦/٨٩ . - (٣) سورة ص ١٨/٣٨ .
(٤) في الأصل (أبا زكان) وركانة هو ابن عبد يزيد المطلبى الصحابى الذى صارعه النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه النبي ، وله حديثان في أبي داود والترمذى وابن ماجه . أما حديث معجزة الشجرة فقد وردت في الشفاء للقاضى عياض على أوجه متعددة ولم يرد فيها ذكر اسم الأعرابى الذى طلب من النبي هذه الآية .

الشجرة مع ركانة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بينت أقوال المفسرين فيه وأن الحسن (١) أشار إلى ما أشار إليه على عليه السلام فقال : الله أعلم بكيفية سجود الجمادات . وقد ذكرت أن سجود الجمادات قد قيل إنه بمعنى أنها لا تمتنع من إرادة الله تعالى فيها ، وليس يكون هذا السجود التكليف الذي يأتي من الحى الناطق ، ويثبت أيضاً أنه يجوز أن يكون معنى السجود من الجمادات على معنى أن من نظر في الجمادات أداه صحة النظر إلى الاقرار بالوحدانية وذلك أن آثار الصانع (ب) فيها ظاهرة فهي تدل على الله سبحانه فهي كالساجدة له من حيث دلت عليه ، فدلالتها عليه سجودها له ، وهذا مثل قوله تبارك وتعالى : « وإن من شئ إلا يسبح بحمده (١) » يقول ألا يدل على حمده وتوحيده وتبريته من سوء وتنزيهه عنه ، والدلالة على صحة ما قلت أن السجود المتعارف لا يرى من هذه الجمادات ، والكذب في قول الله تعالى مستحيل ، فيجب أن يحمل السجود على الدلالة . والشاعر يقول :

ففى كل شئ له آية تدل على أنه واحد

فتلك الآية التى عنها هذا القائل عبر الله عنها تارة بالسجود وتارة بالتسبيح . وأيضاً فإن قوله تعالى « ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الأرض (٢) » . إلى آخر الآية خبر عام وإذا حمل على غير ما قلته أدى إلى أن يكون مخبره بخلاف خبره تعالى الله عن ذلك ، لأن من لا يثبت البارى كيف يسجد له . والدليل على ما قلت قوله تعالى فى آخر الآية : « وكثير حق عليه العذاب » فبين أنه وإن حق عليه العذاب فدلالة التوحيد فى نفسه ظاهرة ، و« كثير من الناس » يعنى أهل الجنة « وكثير حق عليه العذاب » يقول وجب عليه العذاب فى النار ويقال : ويسجد كثير من الناس يعنى المؤمنين ويسجد كثير حق عليه العذاب من كفار الانس والجن وسجودهم فى ظلهم وهو معنى قوله تعالى : « ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال » يعنى غدوة وعشية ، فظل الكافر بالغدو عن يمينه يسجد ، وعند العشى يكون ظله عن شماله . ويجوز أن يكون السجود ها هنا التسخير وكذلك قوله تعالى : « والنجم والشجر يسجدان (٣) » وإذا كان كذلك فإن قلت : ألم أقل : أليس الله أمر الشمس أن تسير من المشرق إلى المغرب

(١) فى ك : الحسين . - (ب) فى د : الصنع .

(١) سورة الاسراء ١٧/٤٤ . - (٢) سورة الحج ٢٢/١٨ . - (٣) سورة الرحمن ٥٥/٦ .

في منازل معلومة ؟ فتقول بل هي تسير كما أمر الله تعالى ؛ فنقول هذا سجودها إذ السجود هو الطاعة ، وكذلك القمر والشجر أمرها باخراج الثمار ، والجبال أمرها بامساك الأرض (وذلك سجودها) (١) والدواب أمرها أن تحمل أثقال الخلق وسخرها لذلك (ب) وهي تفعل ما أمرها الله تعالى وتطيعه في ذلك فطاعتها لربها سجودها له والله أعلم .

وأما الكلام فيما تقول في السجود في كل ساعة من كل جنس من الحيوانات فهو فيما روى عن عبد الواحد بن أحمد بن أحمد بن أبي القاسم (ج) على سبيل الاجازة عن أبي محمد حاتم بن يعقوب عن أبي العباس محمد بن الحسين بن جعفر بن جابر بن عبد الله بن فرجة عن مالك بن سليمان وهو أبو عبد الرحمن السعدي قال حدثنا رجاء بن مالك عن يزيد عن سعيد عن قتادة في قوله : «ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً» (١) أما المؤمن فيسجد طائِعاً وأما الكافر فيسجد كارهاً . قال (د) أبو العباس : حدثنا رجاء بن مالك عن ابراهيم بن محمد عن ربيعة ابن عثمان التيمي عن حبي بنت رجاء بن مالك قالت : قلت لأبي هريرة : أسمع ليلتي تقيقاً قال ذلك تسبيح الجدار . عن رجاء بن مالك عن الهياج عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس ابن أبي حازم قال كتب سليمان (هـ) بن أبي سليمان إلى أبي الدرداء بأنه سبحت القصعة بيني وبينك . عن ليث عن مجاهد أنه سمع صرير الباب فقال هذا تسبيحه . وقال الأعمش : سئل الظل تسبيحه . عن عكرمة قال للرجل (و) قميصك هذا يسبح . وبلغنا عن ابن مسعود أنه قال : لينظر أحدكم لا يلتقي الله وقميصه أكثر تسبيحاً منه . وعن أبي أخفش الأحوص أنه قال : الفأرة تسبح . وفي تفسير مالك بن سليمان وقد ذكرت إسناده أن محمد بن اسحق (٢)

(١) سقطت في د . - (ب) في د : كذلك .

(ج) في د : ابن أحمد أبي القاسم . - (د) سقطت في د .

(هـ) في ك : كتب مالك بن سليمان والتصحيح عن خلاصة تذهيب تذهيب السكمال للخزرجي .

(و) في د : رجل .

(١) سورة الرعد ١٣/١٥ .

(٢) رجال الاسناد الذين أشار إليهم لم ترد في كتب الطبقات ، وكذلك لم أجد ذكراً لأكثر هذه الأسماء التي وردت في هذه الصفحة في المراجع العامة ، ثم نلاحظ هذا الاضطراب الظاهر في تسلسل رواياتهم فمثلاً نرى رجاء بن مالك يروي عن يزيد عن سعيد عن قتادة التابعي المعروف ، وفي الوقت نفسه نرى رجاء بن مالك يروي عن ابراهيم بن محمد عن ربيعة بن عثمان التيمي (وربيعة هذا هو حفيد ربيعة الرأي التابعي المعروف) وجعل ربيعة بن عثمان يروي عن حبي بنت رجاء بن مالك الذي جعلها تعاصر أبي هريرة الصحابي المعروف ، فكيف نوفق بين ذلك ؟

قال عن بعض أهل العلم في قوله : « ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ... الخ » الآية . قال لما حضر آدم الوفاة دعى ابنه شيثاً فعهده إليه عهده وعلمه ساعات الليل والنهار وأنبأه كيف هي ، فالساعة الأولى من النهار حين يسجد بنو آدم من الضحى ، والساعة الثانية صلاة الملائكة ، والساعة الثالثة صلاة الطير ، والساعة الرابعة صلاة الهوام ، والساعة الخامسة صلاة الحيوان ، والساعة السادسة صلاة المقربين وذلك حين يستغفرون لبنى آدم ، والساعة السابعة حين تبرز الملائكة من الحجب ، والساعة الثامنة صلاة السموات والأرضين ، والساعة التاسعة صلاة الذين حول العرش ، والساعة العاشرة حين ينزل الريح على الماء وتفر الجن من حول الماء ولولا ذلك لأفسدت الشياطين الماء على بنى آدم ، والساعة الاحدى عشرة حين يعرج (ا) أرواح النبيين والصدّيقين إلى الله ، والساعة الاثنتا عشرة عند غروب الشمس وهي زكاة عند الرحمن ، والأولى من الليل صلاة الجن ولذلك لا تضر واحداً من بنى آدم حين يقضون صلاتهم ، والساعة الثانية صلاة دواب البحر ، والساعة الثالثة صلاة من تحت الأرض من الخلق ، والساعة الرابعة صلاة الصابرين ، والساعة الخامسة صلاة الذين فوق السماء من الخلق كلهم ، والساعة السابعة صلاة الغمام ، والسابعة حين تثقل العين وتهب الخلق كلهم ، والساعة الثامنة صلاة البحر (ب) والشجر ، والساعة التاسعة صلاة الملائكة الذين هم في السماء ، والعاشرة حين تفتح أبواب السماء وتضع الملائكة أجنحتها وتصيح الدجاج في الأرض وحينئذ من سأل الرحمن شيئاً أتاه ، والاحدى عشرة حين يخرج ما في الأرض أهلها ، والاثني عشرة عند صلاة الصبح ، فتلك ساعات الليل والنهار أربع وعشرون ساعة ؛ وكذلك كنت أسمع وأبصر يا بنى وأنا في الجنة من قبل أن أخطى فلما أخطأت لم أسمع صلاة الملائكة وكانوا يستعجلون بالتسبيح إلى ربهم ، وقد كنت أسمع وأنا في الجنة ذلك . فلما كتب الوصية مات رحمه الله ، وقال الحسن تحريك الديك جناحه ركوعه وسجوده . قال ابن عباس : لم يخلق الله طيراً إلا وهو يركع ويسجد والكافر يسجد ظلّه وميل الظل سجوده وعن يزيد بن مرثد (ج) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يصاد من الحيتان

(ا) في د : زيادة إلى السماء . - (ب) سقطت في ك . - (ج) في د : مؤيد .

== ثم ما معنى قوله : كتب سليمان بن أبي سليمان إلى أبي الدرداء بأنه سبحت القصعة بيني وبينك ! كل هذا يجعلني أشك في صحة هذه الروايات ، وأخشى أن يكون المؤيد في الدين قد وضع هذه الروايات من عنده ، أو أن يكون اخترع هذه المناظرة وحشاها بمثل هذه الترهات ليضعفها فتظهر قدرته وكفايته هو .

إلا بما يضيع من التسبيح» . وبلغنا عن عمر بن الخطاب أنه أتى بأسد فقال : لولا ما ضيعت من تسبيح الله ما أخذت فتب . فخلى عنه سبيله . وأتى أبو بكر بغراب وافر الجناحين والذنب فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «ما صيد من مصيدة ولا قطعت من وشيجة إلا بما يضيع من تسبيح الله فخلى سبيله» . عن عطاء بن دينار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا تتخذوا ظهور الدواب كراسى لأحاديثكم قرب راكب مركوبه هو خير منه وأطوع وأكثر ذكرا» . هذا الفصل من حيث النقل سمعناه في تفسير مالك بن سليمان وفيه غنية ومن أراد أن يتكلم في الآية ويظهر خلاف ما في التفسير فليس يقبل قوله إلا ببرهان جلي وحجة بالغة والسلام وله الحمد والمنة .

جواب المؤيد

بسم الله الرحمن الرحيم : وقفت على كلام الشيخ ، فوجدت الصديق يحلو ما نظمه فيه من آياته وأخباره ، وجعلت حسن القبول منى تابعا لآثاره ، وأما ما حكاه من قوله سبحانه «وما ينطق عن الهوى^(١)» وقوله : «من يطع الرسول فقد أطاع الله^(٢)» واشباه ذلك فنعم القدوة والدليل لو تركه أهل الرأي والقياس ولم يوسوسوا بهما في صدور الناس . وأما الأخبار المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمقبولة وعلى الأحادق محمولة . وأما قوله إنه ليس يجوز لأحد أن يتكلم في القرآن برأيه وإن كان عارفا باللغة ، فلو كان علم القرآن يعرف باللغة لم يكن في العالم أعرف به من الأعراب ، فيا لله لقد آوى في ذلك ونصر ، وأدى الأمانة وما قصر ، سوى أنه غير واقع موقع الرضى من أولى الأمر الجدد ، وجد مناف لما سلكوه استنجادا برأيهم وقياسهم من الجدد ، والسعيد من كفى بغيره ، والمشار إليه بهذه النحلة تجمعه وإياه الدار العزيزة وغيرها ، وإذا تفضل بالقيام معه بهذا التقرير (١) وملاقاته عن فعله بالزجر والنكير كان أمرا لنفسه يمهده وعليه يؤجر ويحمد .

وأما ما رواه عن ابن عباس رضى الله عنه من قوله : «تفسير القرآن على أربعة أوجه» : منه ما يعلمه العلماء ، وآخر (ب) ما يعرفه العرب ، وباقي التقاسيم ؛ وقوله في موضع آخر : لا تنقض عجائبه . وقوله : ظاهره التلاوة وباطنه التأويل . فلست أعد ما أورده

(١) في د : التفسير . — (ب) سقطت في د .

(١) سورة النجم ٥٣/٣ . — (٢) سورة النساء ٨٠/٤ .

الشيخ من جميع ذلك إلا لطفاً ساقه الله برحمته إلى^١ ؛ وجدد بمكانه حسن عوائده لدى ، إذ لو كنت استظهرت بشئ من ذلك على من كنى عن نفسه بأولى الأمر لما وجد إلا مستقبلاً بالرد في الوجه والدفع في الصدر ، والحمد لمن أجرى الحق فيه على لسانه وبوأه مبعواً صدق من إظهاره وإعلانه .

وأما قوله من تكلم في القرآن من حيث النقل فهو من العلماء ، ومن تكلم فيه من حيث الرأي فهو من السفهاء ، فاني مسأله عن يتكلم فيه جامعاً بين النقل والعقل هل هو منظوم في سلك أهل الفضل أو معدود من أهل الجهل ؟ وأما روايته عن النبي صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف ، وقوله لكل آية ظهر وبطن ؛ فلو أن عقد المناظرة هو لأن يخف على الموقف الأشرف سمعه ، ويخلص إلى النفس النفيسة نفعه فيقتضى ذلك أن يقتصر من عشر كلمات على واحدة ، ويتجنب كل لفظة على الغرض المقصود زائدة ، لاستقصيت عليه في هذا الخبر تعرفاً ، وأكثر في البحث عما استعجم من معناه تصرفاً ، لكنني أقتصر على الخطاب عن الآية التي بنيت السؤال عنها فانها بعد في غشائها والوقوف موقف التفسير معه فيما عسى أن يكشفها عن غطائها ؛ جوابه عن سؤالي : « ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب » الآية . أنه تكلم فيه ما تكلم السلف لغة ونقل ، فاني أكلفه أن يتكلم فيه لغة ونقل وعقلاً . فلو كان النقل المجرد ينفعني لكان نص كتاب الله المنزل على نبيه المرسل يقنعني ولكان (١) .

« في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل »

لا حاجة بي مع تلاوة القرآن أن الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب يسجد إلى قوله حدثنا فلان عن فلان أن القميص يسبح والعمامة تركع وتسجد ، فاذا به ما زاد القصة فيما سألت عنه إلا تطويلاً ولم يؤيد قوله سبحانه وتعالى ومن أصدق من الله قيلاً : « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً^(١) » . وكان الغرض أن يمهّد أحوال البشر ويبين فضلها على الشوك والشجر فلم يفعل ، وكنت جعلت عمدة اعتراضى عليه في الأول كلاماً ، فصرف عن جوابه مع بسطه

(١) سقطت في د .

(١) سورة الاسراء ٧٠/١٧ .

فيا لم يقيم مقامه اهتماماً ولم يعتمد (أ) به إلماماً ، وها أنا ذا معيده وهو عمدة مرادى وعميده . قلت : إن السجود لا يصح إلا عن حى ناطق أخذاً عن مؤيد من الأنبياء صادق ، نزل ذلك عليه وحياً وإرشاداً من ربه وهدياً ، وأنه إذا كانت الدواب والأشجار منبعثة من تلقاء نفسها لسجودها ، عارفة حق المعرفة لمعبودها ، كان فضلها على الأنبياء فضلاً عن التابعين مشهوراً ، ولم يكن البشر بالقياس إليها شيئاً مذكوراً ، ووجدت هذا الفصل طوى طى السجل للكتاب ، وحذف من جملة ما يستوجب شيئاً من الجواب ، فان كان ها هنا جواب فهل لتهدى (ب) العمى وتسمع الصم ، وإلا فدعى من القصص الطويل والتوسع في ميدان القول والقييل .

وأما قوله من لم يرض بما يورده تعين عليه الافصاح بما يعتقد ، فان ذلك حكم والحكم إلا على من تملكه ظلم . وأما التعريض (ج) بمن يضرب الطبل تحت الكساء فلو سلم خطابه من هذه اللدغة على طوله (د) لكان مهذباً في مقاطعه وفروعه وأصوله ، لكنى أحتمل عنه ما ساء لما سر ، وأصبر لما نفع من كلامه على ما ضر .

وأما تقسيمه السجود على وجوه فراراً من زحف الالزام ، وضيق خناق الكلام ، فلئن كان السجود يتصرف على المعانى التى ذكرها من سجود وخضوع فليس يعدو أن يكون صادراً عن حى قادر ، وإذا ثبت عن الحى القادر فسواء خضع أو سجد أو قام أو قعد ، وأصل اعتراضى ثابت لا يتخلخل وموطد لا يتزلزل .

وأما إنكاره على اعتراضى عليه فى «ألم تر» أن يفسره بما ألم تخبر فتعلم ، وقوله إن ذلك اعتراض من لم يعرف أن العرب تضع العلم مكان الرؤية ، واستشهاده بقول الله تعالى : «فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين» (١) وقوله إن العلم يراد به ها هنا الرؤية ، وذلك أن الله تعالى علم قبل أن يفتنهم الصادق من الكاذب ، وأنه ليس يجوز أن يتجدد له علم لم يكن فى السابق ؛ فأقول فى جوابه وبالله التوفيق : أى القولين أحق بأن يكون متبوعاً : قول الله سبحانه الذى لا يتعرف إلا على جهة الحقيقة والصدق ، أم قول العرب الذى يتصرف على جهة المجاز والكذب ، أم ترى يلزم الله سبحانه أن يقتدى بالعرب من جهة كذبهم ومجازهم ويحدث النقيض فى كلامه تشبهاً بهم وتأدياً بأدابهم من حيث لا يضيق

(أ) فى د : لم يعتمد . — (ب) فى د : لتهدى . — (ج) فى د : التعرض .
(د) فى د : طويله .

(١) سورة العنكبوت ٣/٢٩ .

عليه الصدق ولا تعوزه الحقيقة ، وإنما العرب تفضي إلى استعاراتها ومجازاتها إذا ضاق بها ميدان الصدق والحقيقة ، فالله سبحانه الذي لا يضيق عليه شيء من ذلك لم يقل مجازاً وكذباً ، هذا خلف من القول . واستشهاده بقوله : « فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ^(١) » . وقوله يمتنع أن يتجدد له علم لم يكن في السابق ، فذلك شبهة ثانية ، ووبال ثان قد أغناه الله عنهما مع خبطه فيما تقدم ، ولا تكاد الشبهة تحل بالشبهة ، فانه إن امتنع أن يتجدد له علم لم يكن سابقاً امتنع أيضاً أن تتجدد (١) له رؤية لم تكن سابقة ، فان الحوادث عنه منفية ، وأعلام قدرته ظاهرة جليلة .

وأما استشهاده أيضاً بقوله : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ^(٢) » فهو كمثل ذلك شبهة لا تحل بشبهة ، وإلى أن ينقرر بينه وبين الخصم تفسير الآية فلا سبيل إلى الاحتجاج .

وأما سوقه كلامه في سجود الشجر والدواب إلى ذكر معجزة الأنبياء عليهم السلام وأن المنكر لذلك ناف لا يحازهم ، ومنكر لقدرة ربهم ، فقد وجدته قصد بهذا من التشنيع باباً ، وعمد لأن كشف فيه حجاباً ، وبين هذا وبين ذلك أمد بعيد ، إذ كان انبعاثها عابدة لربها ساجدة غير ما يظهر الله سبحانه فيها من أعلام النبوة لعصبة كانت لها منكرة وبها جاحدة . وأما قوله يجوز أن يكون معنى السجود من الجمادات أن من نظر إليها أداه إلى السجود ؛ فقد كنت سبقت فيما تقدم إلى الجواب أن الناظر إليها ساجد لا لاهي ؛ وكلام الله سبحانه في الابانة عن سجودها بلا حقيقة بقي . وأما قوله قطعاً على أن السجود المتعارف لا يرى من هذه الجمادات ، وأن الكذب على الله سبحانه مستحيل فيجب أن يحمل السجود على الدلالة ؛ فأقول الله أكبر ! رجع الشيخ بهذا القول عن معتقده وأبطل سائر مروره وأجهل فيه ما نقض جميع تفصيله ، ودمر على كثيره وقليله ، فكفاني في التكلم على ما بقي من الأخبار التي أوردها مؤنة وأولاني تخفيفاً ومعونة ، أينما أفتى به أولاً وهو قوله في جواب السؤال عن الآية لأن المخلوقات لا يعصين الله ولا يكفرن بوحدانيته ومن الناس من يعصى ويكفر ، وأن ما قاله في هذه النبوة ثانياً أن الله أمر الشمس أن تسير من المشرق إلى المغرب وذلك سجودها ، والقمر بمثله وذلك سجوده ، والشجر باخراج الثمار وذلك سجودها ، والجبال بامساك الأرض وذلك سجودها ، الدواب بحمل أثقال الخلق وهي

(١) سقطت في د .

(١) سورة العنكبوت ٢٩/٣ . — (٢) سورة الفجر ٨٩/٥ .

تفعل ما أمرها وذلك سجودها ، ألم يستوجب (ا) على اللوم على البدء ، ألم يبسط فيه إلى لساناً ويداً ، ألم يستقبل حكم الآية التي عليها مبنى المناظرة في سجود الشجر والدواب بالدفع (ب) ألم يضع في جميع ذلك (ج) الأخبار الموجبة الشاهدة به ما تقدم من الصنع ؛ فأما وقد رجع عن ذلك إلى ما قاله آخره فان الأمر ينقسم فيه (د) إلى ثلاثة أقسام أنصف منها في اثنين وجار في الثالث . وأما كون السجود المتعارف لا يرى منها ، فله أن يقول إذ لو كان لكان تحت الحواس من السمع والبصر واقعاً ، ولو احتجب عنها لكان صنع الله سبحانه في انشائها لمعرفة الخلق والألوان والأصوات ضائعاً ، وأما استحالة الكذب على الله سبحانه فهو الأصل المعتمد والكذب قبيح لنفسه ، تعالى عنه الواحد الأحد .

وأما قوله فيجب أن يحمل السجود على الدلالة بالكلام ها هنا منحل ، واعتقاد معتقده مختل ، فما يديره ما الذي أراد الله سبحانه بقوله وعنى ، وعماداً عبر وكنى ، وإنما يصح منه على كلامه الحكم إذا حق به منه العلم ، فأما من بنى على ما لا علم له به فأنما يبني على شفا جرف هار ، وتحقيق أن يتبوأ مقعده من النار ، وقد كان بلغ الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أن أحداً من الناس يرد على القرآن ويرميه بالشلب والنقصان ، فقال عليه السلام لأحد أصحابه : « قولوا لهذا الراد أبلغت قصرى ما يشتمل عليه ظاهر لفظه من المراد فعنده يحق الرد ويصدق نحوه القصد » فبلغ الرجل ذلك فأصبح واجماً ، وارتد عن فعله نادماً سادماً ، وتلك سبيل حكم من حكم بما لا يعلم عليه ، ونظر من هو فاسد النظر إليه . والذي أختم القول به أنني أعد الشيخ معد العقلاء وأرمقه بعين الحصفاء ، فلا أرضى له أن يعد دوى الريج وخيرير الماء عبادة وحفيف الشجر طاعة ، فانه إذا أثبت (هـ) ذلك ثبت بثبوته (و) كل سخف ولغو ، ووجد بوجوده كل هذر وحشو ، فما تنكر على من يقول (ز) إدارة الحبل لما يديره طاعته ، وذرق الطير (ح) عبادة ، وفي أمثال ذلك فساد الأصول واختلال العقول ، حاشا لله ، إن الدين أبسق فرعاً وأرسخ أصلاً وأجمع للمحاسن كلها قولاً وفعل (ط) ومعنى جزلاً من أن يزيف بهذه القاذورات التي تنفر عنها ذوى العقول السليمة وتشرذ عن التمسك بعروته أهل الرأى والعزيمة وفيما أوردته (ى) كفاية لمن أنصف واعترف من الحق بما عرف ، والسلام وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله الطاهرين وسلم تسليماً .

(ا) فى د : ألم يستوجب اللوم على البدء . - (ب) فى د : لم يضع . - (ج) سقطت فى د .
 (د) سقطت فى د . - (هـ) فى د : ثبت . - (و) فى د : ثبوته . - (ز) انه ادار ... وطاعته .
 (ح) فى د : الطيور . - (ط) فى د : فصلاً . - (ى) فى د : فيما أدبته .

أبو الجار يعنى الدعوة الفاطمية

ولما جرت المناظرة المذكورة مكاتبة لا مشافهة لأنى تخرجت من المشافهة صوناً للعرض مما يخلط بالمشافهة فى المناظرة من سوء الأدب . ثم أنى قصدت أن يكون ما يدور بيننا من الكلام يتجسم بالكتابة لتبقى فائدته لتأمله ، فسكن جأش الملك واطمأن قلبه وقال : إنى أسلمت نفسى ودينى إليك وإننى راض بجملة ما أنت عليه . فاستقر الأمر على أن أجتمع به كل ليلة جمعة للمذاكرة والمفاتحة (١) فكنت كل ليلة جمعة أمكث عنده إلى أن يمضى هزيع من الليل ، وهو يسألنى عن جميع ما يهيجس فى نفسه ، وكنت أجيب عنه جواباً يظهر أكثره تباشير الفرح فى وجهه ، وأسأله كيف وقع هذا الجواب منك ، فربما حرك رأسه يعنى أنه جيد ، فلا أرضى دون أن أقرره بلسانه أنه ما دخل فى مسامعه مثله ، قصداً منى لتندمه على فرطاته ، وإقامة الحجة عليه بكون الحق فيما كان (١) يحسبه ضلالاً ، والرشد فيما كان يظنه غياً ، وكان بناء المجالس التى تعقد بحضرته فى ليالى الجمععات على أن يبتدىء بقراءة شئ من قوارع القرآن ، ويثنى بباب من كتاب الدعائم ، ويشلت بأن يسأل عما يريد فأجيبه عنه ، وأختم بالتحميد والخطبة لمولانا الامام خلد الله ملكه وله من بعده ، ثم أنصرف إلى منزلى . ومن جملة ما كنت قررته معه أننى غير ناهيه من استماع ما يريد استماعه من أى لسان كان من أى مذهب كان ، ولكن يرجع به إلى ، ويسألنى عما عندى فيه ، فان وجد الرجحان فيما عندى لزمه أن يرفض أقوالهم ويعمل بما هو أنجى له وأرجى لخلاصه معه . فكان الأمر مستمرا على هذه السيرة ، يزداد فى كل يوم إعجاباً بى ومحبة لى ومغالة فى وصفى ، حتى كان يفيض (ب) يوماً فى ذكرى عند وزيره بهرام بن ماقية العادل المقدم ذكره رحمه الله تعالى : ويشدد (ج) فى مدحى فقال له الوزير : سبحان الله بينما كنت تبغض هذا الرجل البغض الذى يضيق عنه جلدك حتى صرت تحبه هذه المحبة التى يقصر دونها وصفك ، إن هذه سعادة لا تنكر مثلها من سعادات أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام ، فمن سعاداته أن حصل لهذا الرجل من القبول (د) عندك ما انتهى

(١) سقطت فى ك . - (ب) فى ك : افاض . - (ج) فى ك : تبسط .
(د) فى د : القول .

(١) نلاحظ ان الفاطميين ومن تبعهم لهم طرق خاصة فى التعليم فمبادئ الشريعة هى أول العلوم التى يلقونها الداعى للمستجيب وهى المقصود بها فى اصطلاح الفاطميين (المفاتحة) .

إلى هذا الحد . فأجابه الملك بقوله : إننا أصحاب أذن ومهما وجدنا الناس مجتمعين على القدح في انسان ونسبه إلى الكفر والضلال فلا لوم علينا أن نصدقهم ونقبل منهم ، ونحن نحمد الله الذي أيقظنا من سنة الغفلة ، وردنا من الاقدام على الشبهة وصور في نفوسنا أن القوم كانوا كاذبين مبطلين . »

النداء بكبرونه للمؤيد

ثم أنى كنت أخذت معه في تهجين الشرب والخلاعة إليه وتحسين ما يضادها عنده ، فكان ذلك غير واقع موقع الرضا من قوم كانوا ينادمون ويجمعون معه على هذه الضلالات ، وكانوا يسرون النجوى فيما بينهم أن هذا الانسان — يعنونى — يريد أن يستأثر بالسلطان دوننا ، ويأخذ به إلى أن ينجيه عنا ، ويمنعه من الاختلاط بنا ، وكانوا مشتمئين من هذه الحالة ، متقطعين من الغيظ والحسد والعداوة ، وفيهم واحد عطل من الدين ، عيبة للعيوب ، متوسع في الغش والدغل والخيانة ، وكان هذا الانسان ممن دخل في الدعوة لا لله ولا عن عقيدة صالحة ، فلما رأى الحالة في اشتداد غضب الملك وقصده من قبل مصالحته لى وانفتح الطريق بينى وبينه أراد أن يتقرب إلى قلبه بأن قال : إني كنت من جملة من دخل في أمرهم فلما رأيته كفراً وضلالاً رجعت عنه قول من يؤس من كون الزمان بيننا قط جامعاً ومؤلفاً ، أو أن يرانى على ذلك ممبكتاً ومواقفاً ، فلما أخلف الله تعالى في ذلك ظنه واجتمعنا قال لى الملك يوماً يطرفنى : إن فلانا — يعنى ذلك الانسان — أحد من قال إن مقالته كفر وزندقة ، وأنه لما دخل فيها ووجدتها على هذه السبيل مرق منها (أ) . ف وقعت بين خطتين مظلمتين ، أحدهما الانتداب لمواقفة الرجل على ما قرفنا به ، وتسكذيبه وتنزيه عقيدتنا عما دنسها به ، فأكون قد استخصمت منه شيطاناً ملعوناً لا يقعد به شئ من الغيلة والفساد ، ولا آمن مما يفتحه على من كمين غدر لا ثبات على مثله (ب) مع كونه قريباً من السلطان ، متمكناً منه مقبول القول عنده والأخرى التغاضى عنه والتغافل عن تبكيته ، فكأنى اعترفت بذنبى ولبست على شبهة ثوبى وقررت في نفس الملك أن الذى قاله أو بعضه صحيح ، فاخترت من البايين كشف القناع معه (ج) المانع من أن يدخل على قلب الملك عاجل شبهة ، وقلت أكفى نفسى (د) هذه

(أ) فى ك : عنها . — (ب) فى ك : لا ثبات عليه . — (ج) سقطت فى ك .

(د) فى د : بنفس .

المعرة عاجلاً ، ثم أهدف لما يكون آجلاً ، فقامت بموافقته وأقامت البرهان على زوره وكذبه لكننى دست منه ذنب الشعبان برجلى ، وفتحت باب الفساد على نفسى ، فجعل يتعقبه (أ) فى بكل حيلة ويلقانى بكل مكيدة ، ويقول إن الذى لزمه (يعننى) من باب التقشف والتظاهر بالستر والسداد تدليس على الناس وخديعة ، والدليل على هذا أن صاحبه الذى ينتمى إليه بمصر وهو متجاهر بكذا وكذا وأنه يركب فى العشاريات (ب) ويعلن بفعله على رؤوس الأشهاد ، وجعل يحضر واحداً واحداً من الغرباء الذين سافروا إلى مصر فيسألهم عن هذه الحالة فيشهدون كل ذلك تغييراً لقلب الملك وتوهيناً لرأيه ورداً عما هو بصدده ، وكنت أقوم بالحاجة عن (ج) ذلك والدفع بما هو أحسن ، على أنى كنت أعلم أن سماعه مما يدخل حيرة فى قلب الملك وضعفاً فى عزيمته .

وجرى بينى وبين الملك يوماً فصل عجيب وقلت : إنى أرى قوماً تعاونوا على فساد حالى عندك ، وأطعمتهم نفوسهم أنهم يتسوقهم يبلغون المبلغ الذى يريدون فيما يجعل حظى عندك منقوصاً وعقد أمرى محلولا ، يردون الحال فى الوحشة جزعاً ، والأمر الذى يشرعون فيه هو باب الممتنع ، وضربت له مثلاً وقلت : بلغنى فى الأمثال السائرة أن رجلاً كانت صنعته كسر الخطب من الصحارى ونقله إلى المدينة وبيعه ، وكان ذلك معاشه وكان لا يخلو من شظف عيش ومقاساة ضر ، وأنه أتى عليه فى خلل الشتاء يوم فى غاية البرودة وكلما هم بالتوجه لطلب معاشه ثنت وجهه وصدته البرودة ، ولم يجد فى بيته مع ذلك ما يقاته ويقتات أطفاله ، فأجهدهم الجوع وقالوا يا رجل نحن مضطرون بالجوع فبالد نفسك وابلغ طرف صحراء المدينة ولا تبعد عسى أن تظفر بشجرة تكسر منها مقدار ما تشتري بشمه لنا طعاماً نطعمه ، فقام الرجل ولم يبعد حتى لحق مثل ما وصفوه من شجرة فزحف إليها بفأسه للقطع ، فنودى منها لا تقطع وانظر كم يحصل لك فى كل يوم من كسبك هذا فاحضر كل غداة وخذه هنياً مهنئاً قاراً وادعاً قد كفيت التعب والنصب ، فقال الرجل : محصول كدى وكسبى فى اليوم درهمان أو ثلاثة ، قالوا : قد حصل لك ذلك من غير تعب ، قيل فكان الرجل يباكر الموضع فى كل يوم ويأخذ القدر اليسر له فينفق البعض ويدخر البعض حتى صلحت حاله واستقام أمره ، وجملته الجدة على مركب البطر وقال فى نفسه : ما لى أغدو كل يوم إلى هذه الشجرة فأخذ منها درهمين أو ثلاثة على سنة الكدية ، وما أظن إلا أن تحت الشجرة كنزاً مكنوزاً وقد تسلط عليه جنى أو شيطان يمانعنى (د) عنه ، ولو

(أ) فى د : ينقبه . — (ب) فى د : العشار . — (ج) فى ك : على . — (د) فى د : يمانعنى .

(د) فى د : يمانعنى .

أنى توصلت إلى قطع الشجرة واستخلاص المال من تحتها وتحصيله في منزلى مكان التوجه ، كل صبحه لدرهم (أ) ودرهم آخذه ، فجعل في نفسه أنه يأخذ فأسه غداة غد وبمضى إليها ويخرج الكنز من تحتها ، فلما كان بالغداة تجهز على هذه النية فعلاً الشجرة بفأسه كى يقطعها ، فقيل له : يا إنسان شجرة أفضت بك من المسكنة والمجاعة إلى الثروة والحال الحسنة لم تكافئها بالقطع ؟ ولم تعلموها بالفأس ؟ فقال : اغربوا عنكم هذا الكلام إنه لا بد لى من قطعها لاستخراج ما تحتها ، فقيل : إذا كان لا بد من ذلك فدونك وإياها ، فلما رفع يده بالفأس ليهوى بها في الشجرة جفت يده في الهواء والفأس فيها وبقيت لا تنزل ولا تضم ، فقيل : يا جاهل إنما كان لك على قطعها السبيل حين لم تعرفها ولم تعرف الخاصية (ب) التى فيها ، وبعد معرفتك بها فلا سبيل لك عليها . وكذا أنت أيها الملك فلا سبيل لك على بعد أن عرفتني وعرفت خاصيتي .

وجرت بينى وبينه في حال القوم الذين تساعدوا على إيذائى منافرة في وقت آخر وقلت : ما ينجينى منك لا سخط ولا رضى ، فلقد كنت على إلبا قبل المعرفة قاصدا لروحي بلا بصيرة ولا بينة ، وكان يتجافى جنبى عن المضجع رهبة من بغتاتك وخوفا من سطواتك ، فلما سهل الله تعالى وأيقظك من رقدتك وجمع بينى وبينك ففعلت بك ما لم يفعل بك والدك — أعنى من طريق الارشاد والأخذ به من الاختلال في دينه إلى السداد — صرت لا أخلص من أذى من هم حولك ونصبتهم لى اشراك الغوائل ولقاءهم إياى بالخدع والمخاتل . فاستلب هذه اللفظة التى هى قولى « ففعلت بك ما لم يفعل أبوك » مستلهم وقبحها مقبحهم ، وهولوا القصة في نفسه وقالوا : هذه لفظة ما لقي بمثلها أحد سلطانا ولا أدار بما يشبهها لسانا . وانتهت الحال به إلى اظهار موجدة ونكير زال بهما رسم الاجتماع في لياالى الجمعات وتغير مدة ثم رجع ، ولما عوتبت (ج) على بشاعة الكلمة المقدم ذكرها استظهرت في الجواب بعذر بلغنى عن ابن الاسكندر فأتييت به مثلاً ، وقلت بلغنى أنه كان لاسكندر ابن يعزه ويكرمه ويرى الدنيا بعينه ، فلما انتهى به العمر إلى حد التعلم والتفهم اختار له أفضل الناس وأعلمهم ، فجعل يعلمه من كل شئ ويلقى إليه كل حكمة ، فلما شب الصبي حوى من العلوم والحكم الشطر الأوفى جعل (د) يتقاعد بأبيه ولا يرى له رأى الذى يجب ، وكان توفره على اجلال معلمه وتوقيره من دون أبيه حتى

(أ) فى ك : لدرهم آخذه . — (ب) سقطت فى د .

(ج) فى د : عوتبت . — (د) فى ك : جعله .

كان لا يقوم لأبيه إذا حضره قائما ويقوم لمعلمه مكرما له ومعظما ، فنقم الاسكندر هذه الحالة من فعله ونسبه إلى سوء الأدب ، واستدعى المعلم ليعتب عليه ويقبح إليه فعل ولده فقال المعلم : أيها الملك ليس ولدك بالخزى في عقله ولا الناقص في فضله ولا القاصر عن القيام بعذر فعله ، فسله عن مقتضى ذلك فعسى أن يصدر منه جواب يغنيك عما تسألني عنه ، فقال : لا بأس بذلك ، فاستدعى الغلام وقال : يا بني انما أنت بي وقد عرفت ما أوجبته الله تعالى عليك من حق فلم تنهون بخدستي وتخدم معلمك أكثر مما تخدمني فقال : أيها الملك ما كان قصدك بالفعل الذي اقتضى وجودي في هذه الدار المحفوفة بالآفات والعاهات إلا لذة تقضيها ، فتلذذك في هذه البئر أوقعني وإلى فخها دفعني ، وإنني لأرجو الخلاص مما أوقعني فيه على يد معلمى فمن أجل ذلك انخضع لمن أرجو خلاصى على يديه دون من دفعني إلى ما أنا مدفوع إليه^(١) . وكذلك فأقول أيها الملك إننى لك بمنزلة ذلك المعلم من ابن الاسكندر ، وما قلت الذى قلته إلا على هذه الجهة ، فان وجدت مجالا لقبول العذر فيه من حيث العقل قبلت ، وإلا نسبته عنى إلى حشف ادسغة المعلمين الذين هم باختلال العقل مشهورون وفيه معذورون . وعند ذلك عملت قصيدة مسمطة ضمنيتها هذا الذكر ، وذكر ما كنت ألحف عليه بالسؤال فيه والمطالبة به من مكاتبة الحضرة النبوية بمصر وكانوا يتشققون من الغيظ لأجله ويذكرون أن قصدى به الاشاعة بكونه خادما لجهة ومطيعا لجهة من حيث لا حاجة به إلى أن يكون بعد كونه مالكاً يصير مملوكا وعقب (١) كونه متبوعا يصير تابعا ، وأن غرضى تهجينه والوضع منه والرفع من صاحبي ، ثم أن أبغض إليه الرعية بأجمعها وأزهداها فيه وفي أيامه وأوجس منه الخليفة ببغداد الجارية سنته وسنة آبائه أن يكونوا إليه بوجوههم متوجهين ولذكركه

(١) فى دوك : عقيب .

(١) شبيه بهذه القصة ما جاء فى نزهة الألباء ص ١٣ أن المأمون وكل الفراء ليلقن ابنه النحو ، ففى ذات يوم أراد الفراء أن ينهض إلى حوائجه ، فابتدرا إلى نعل الفراء ليقدمها له فتنازعا ، أيهما يقدمها له ، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما واحدة ، وكان للمأمون وكيل على كل شئ خاص ، فرفع ذلك إليه فى الخبر ، فوجه إلى الفراء واستدعاه ، فلما دخل عليه ، قال له : من أعز الناس ؟ فقال : لا أعرف أحدا أعز من أمير المؤمنين . فقال : بل من إذا نهض تقاتل على تقديم نعله وليا عهد المسلمين ، حتى يرضى كل واحد منهما أن يقدم له فردا . فقال : يا أمير المؤمنين لقد أردت منعهما عن ذلك ، ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها ، أو أكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها .

في الخطبة مقدمين ، وأن كل ذلك مما يشوش عليه ملكه ولا يضمن شيئاً من صلاح شأنه . وضمنتها أيضاً ذكر ما كان المارق المقدم ذكره ألقاه إليه ووسوس به صدره أن الذي يستحليه من كلامي في العقلية إنما هو استراق من الفلاسفة ، والقصيدة المسمطة المذكورة هي ما أثبتته وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت :

باسمك يا الله يا رحمن	ويا رحيم يبدأ اللسان
ثم يثنى بعده بالحمد لك	يا عادلا في حكمه ما أعدلك
وبالصلاة دائماً (أ) على النبي	مثلث الطهر الهمام العربي
محمد أشرف من ضم حشا	وخير مخلوق على الأرض مشى
وبعده على البطين الأنزع	نجل أبي طالب السميذع
زلزلة الساعة مولاي (على)	ومن به للدين برهان جلي
طود الهدى ومنبع السعادة	ومن له لو ثنيت وسادة
قضى من التوراة في أهلها	فصلا يزيل اللبس والتمويه
كما من الانجيل في أهليه	كشف عنهم عشوات التيه
واستخلص المستور من مسطور	مترجما عن صحف الزبور
وبالقران الحق في الناس نطق	نطقا يحلى صبحه كل غسق (١)
كذلك (ب) قال المرتضى والمنبر	من نوره لما علاه أنور
من ذا على ما قاله يعترض	إلا الذي في القلب منه مرض
صلى عليه وعلى أبنائه	رب (ج) هم صفوة أوليائه
قوم هم لله فينا نعم	جاحدهم أفضل منه نعم
واذ مضى هذا (فأما بعد)	فانني لآل طه عبد
مشتهر في حبه خلاص	مجردا أرجو به خلاص

(١) في ك : بعده . — (ب) في د : كذلك . — (ج) في ك : ربهم صفوة .

(١) جاء في كتاب الفترات والقرانات لجعفر بن منصور ص ٥٧ (نسخة خطية بمكتبتى) : قال عالم الأمة وربانيها صلوات الله عليه : « لو ثنيت لى وسادة وجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الانجيل بانجيلهم ، وبين أهل الفرقان بفرقانهم ولولا أن يقال إن ابن أبي طالب ساحر لأخبرتكم بما كان وبما هو كائن إلى يوم القيامة مما علمنى رسول الله » .

كم قد دهنتي فيهم من داهية
فكلما للحرب ناراً أوقدوا
وأكثر الشيعة أهل الدعوة
ما أحد في آل طه قصدا
ما فيهم من لحقته ضغطة
وانهم على اختلاف الفرق
لا يجدون قدوة من علما
بين قرون عصبة النصاب
أجل فكل بي قد استجنا
أعرب في الخوف إذا ما أعجموا
ثم إذا ما الخوف يوما ذهب
وسلقوا (أ) بالسن حداد
لو انني تركت بالكفاف
ما أن أرى الزمان لي بالمنصف
ولم يعد لي النظر الشريف
ولم تعد لعيشتي الحلاوة
يا مالكا في الجسم والنفس ملك
يا طلعة الخير ويا شخص السكرم
من ذا رأى طلعتك الميمونه
عماد دين الله أنت المنتهى
خلقا وخلقا تبعا أسنى الحسب
جعلت شاهنشاهاً المعظما
يا كاليجار (ج) فالاله جاره
المرزبان والزمان عبده
والمصطفى وآله عماده
يا ملكاً مطهر الأخلاق

وحققت في قلوب قاسية
اطفأها ربي ، فربي احمد
لم يهو غيري منهم في مهوى
غيري ولا من أرضه قد طردا
يوما ويوما عارضته خطة
وقلة الثبات عند الفرق
قد نصبوا لآل طه علما
في دولة الازلام والانصاب
إذا رأى ليل اغتساق جنا
وأصدق الاقدام حين أحجموا
اتخذوا ثلبي وسبي مذهبا
أثبتهم جأشا لدى الجلال
عددته من أكبر الانصاف
والموقف الأشرف بي لم يعطف
كما بدا والكرم المألوف
يعود ذاك (ب) البر والحفاوة
إنك أنت الشمس والملك الفلك
وطالع السعد ومصباح الظلم
فلم ير السبع الطباق دونه
في كل ما باهى به ذوو النهي
كالدر ما بين اللجين والذهب
من نائبات الدهر لي معتصما
وفي ذراه وجهه داره
كما الكرام السكاتبون جنده
حقا كما ولاؤهم عتاده
مشتهراً بالفخر في الآفاق

(أ) في د : سالقوا . — (ب) في د : ذلك . — (ج) في ك : كالنجار .

يا غاية السؤدد والنفاسه
هلا تراني فيك إلا غاليا
فما لحق عندكم يُضَيِّع
أخادم مثلي يضاع هكذا
لقد بنا بي مقعدى ارجافا
من قائل يقول كيف شأنه
وقائل يقول قد تنكرا
وقائل يقول قوم ما رضوا
كل بنا من حيث يهوى يشمت
هذا الذى يلسعنى من خارج
وإن لى من داخل البيت ضنى
يا ليت شعرى ما الذى منه بدر
ألم يكن حسن القبول قابله
إنى لفى أمثال هذا مرتبك
يا ملك الآفاق عطفا عطفا
إن كنت أذنبت فانت تعرف
إن كان ذنبى ما جرى ببسا
خلال أيام لنا بالعسكر
والمثل المضروب بالاسكندر
إذ قلت ما جاوزت فيه واجبا
وانه إن كنت ترضى المعذرة

انظر فأنت صادق الفراسه
يفرط فى حبك لا مواليا
وما لقولى صار ليس يسمع
كما يطول نحوه باع الأذى
يجحف بي طول المدى إجحافا
أما علا ، فلم هوى مكانه
سلطانه لسكفره إذ ظهرا (أ)
فعللوا قصته وأمرضوا
فبعضهم يحو وبعض يثبت
من ناصبي كاشح وخارجي
يسأل غنى البعض بعضاً ماجنى
من خلل نقر عنه من نفر
فما الذى قد قطع المعامله
فنجنى إنى بالله وبك
تثنى (ب) به غنى الأعادى عطفا
وليس ما تعرف عنه مصرف
ألم أقم عذرى فطبت نفسا
فى المجلس الشاطىء فوق المنظر
وبابنه علامة فادكر
فلا تكن من واجب مغاضبا
وتقتضى لما نقتم المغفرة

(أ) اضطرب ترتيب هذه الأبيات فى نسخة «د» فجاءت على هذا النحو :

من قائل يقول كيف شأنه
وقائل يقول قوم ما رضوا
وان لى من داخل البيت
وقائل يقول قد تنكرا
كل بنا من حيث يهوى
هذا الذى يلسعنى

(ب) فى د : يثنى .

فاغفر ، وإلا فاعذر المعلما
واننى كما ترى معلم
وان تكن إذ قلت كاتب مصر
فعدلك الشامل حسبي من حكم
أكان قولا منكراً أوزورا
أم كان لى غير الصلاح من غرض
إذ (١) قلت كاتب حضرة ابن فاطم
فليس مثل المرتضى عباس
وان آباءك أيضا كتبوا
لا سيما ورعيه قد أشرقا
فما له رأى العلى وفقا
وهو الذى أرسلت فيه رسلا
وجئت فى بابهم مستأمر
ووجهك الميمون ذو تهلل
فقلت فضلا من الله مفضل
وقلت ان بعد هذا نكتب
واننى الآن على انتظار
وبالجواب بالدعاء الصالح
لآل طه فى أجل ناصر
الملك الصاعد نجم الديلم
فان عددت هذه الجناية
أرى نزولا عرضا عن ارتقاء
ولا الكلام ذلك الكلام
وأن ما أسلفته من خدمى
أصبح نسيا كنه منسيا
وليس ذاك بالذى يضاع

إذا رأيت عثك مثلما
وهاكم فى العقل منى لم
تحمل من ذاك على إصرا
وليس لى إلا الرضا بما حكم
أم كان حجراً ذاكم محجورا
أم لسوى رضاك فيه معترض
واسلك بما فيها سبيل الهاشمى
ولا ابنه إلى ابنه يقاس
واظهروا الود له واقتربوا
بخبر منى إلى مصر ارتقى
دام نظام سعده متسقا
من بلد الأهواز عاما أولا
فقلت دمت ناهيأ وآمرا
ما تكتب الآن خلاف الأول
ويمن جدد لمليك مقبل
بما به للود يقوى السبب
لعودهم (ب) بمنتهى الايثار
وشكر مجدود من المنائح
لهم ووجه للزمان ناضر
بملكه فى الأفق فوق الأنجم
فقد بلغت فى العقاب الغاية
لا البشر ذاك البشرى ولا اللقاء
ولا المقام ذلك المقام
وخلتني قدمت فيه قدمى
حتى كأنا ما صنعنا شيئا
فمثله فى السوق لا يباع

(١) فى ك : ان . — (ب) فى د : لعوده .

مصدره عن مشفق نصوح
لا منعة تمنع حين يمنع
فما لأعمالى غدت مختله
وحسناتى قد عفت آثارها
ألم أكن أنطق بالبيان
ألم أكن جلاء كل ظلمة
ألم أكن أحل كل رمز
أغذى العقول بالعلوم الشافية
فلم منعت عقلك الشريف
هلا منعت ما اشتهاه الجسم
أصرت تأبى نفعه لضرى
كم قد جمعت للهوى من عدة
فمن ترى لعقلك المجرد
يكسبه عزاً من القرآن
ويعقد المجد له مؤبدا
لا تطرحنى إننى ذاك الرجل
ولا تبع تحقيق شئ يعرف
يا ملك الملوك يا زين الزمن
أنا الذى من فضل آل أحمد
أطبب في مصالح المعاد
قد شيعت منى العذار العفة
ما شاق قلبي وتر أو زمر
عبادتي طول الزمان عادتي
أعاند الحرص الخبيث والطمع
فلا يغرنك قول الحسد
وقول من يقول من أهل السفة

جاد به وهو شقيق الروح
ولا غنى ينفع يوم ينفع
من أجل ان ساءتلك (أ) منهاخله
لخصلة منها يرى انكارها
في الجمع بين العقل والقرآن
من مشكلات الدين مدلهمة
عنه الدهاة تنثنى بعجز
لكى تنال في المعاد العافية
يا ذا النهى غذاءه اللطيف (ب)
فمنعك العقل الغذاء ظلم
تمنعه الخير لقصد شرى
ومن عتاد بامتداد المدة
من مرشد هاد له مسدد
يفنى الزمان وهو غير فان
إذا مضى المجد شعاعا بددا
سابق آثارى على هذا يدل
بشبهة يأتى بها محرف
لا تطرحنى إننى غالى الثمن
في العلم يعلو كل ذى يد يدي
ما طب جالينوس للأجساد
مازلت من (ج) ميزانها في الكفة
ولم تدب في عروقي خمر
ما ملكت يد (د) الهوى مقادتي
ماهما طبعي مذ (ه) كان انطبع
من كل أفك أثيم معتد
أنا نقول قول أهل الفلسفة

(أ) في ك : سألت . - (ب) في د : لطيف . - (ج) في د : عن .

(د) في د : يدي . - (ه) في د : ما .

وها هم فسلمهم لتعلموا
 لقصة واحدة أو دونها
 فكيف ما لم يعلموه علموا
 يا ضعف ما بالجهل أسسوه
 إن القرآن عندنا أسنى نسب
 نجتمع بين فضله والعقل
 يا أيها الهمام هذى قصه
 رفعتها تلبس لبس النظم
 تكفير سيئاتها بطولها
 فاسمع وانصف والزمان انصفا
 انك إن فتحت لى (د) عين الرضا
 يقصر عنها شأو من دونى عسى
 ولم تجدى فى وجوه الخدمة
 حاشية فى زمر الحواشى
 كويتب ما أن أقول كاتب
 وخاطب ان ذكر الخطاب
 وان ادل واحد بباسه
 فجدك الميمون مضمون له
 وبأسنا محموله قليل
 وإن يكن مع ذا يحق الفخر
 فعنده لا شك ناسى أكثر
 هذا كذا وانى إلى ورى
 من غير ما ذنب قد اقترفته
 يا زمنى لو لم تكن خوانا
 ويشتوى بالجمر يا شر الزمن

هل ينصبون فى القرآن سلما
 بموجبات العقل يوردونها
 جار الأولى أفتوا بما لم يعلموا
 أعلمونا (أ) وهم نسوه
 والفلسفى ما له فيه نشب
 ونقمع الجور بسيف العدل
 مما (ب) يضم الصدر لى من غصة
 والغرض المقصود فيه همى
 وبعث حسن الرأى فى قبولها
 لك (ج) الورى ومن قذاه قد صفا
 لم تلف الا خدمة لى غرضا
 تميز اليقظان ممن نعسا
 من غير ذا إلا وكيد الحرمة
 لا أستحى فيهم ولا أحاشى
 فان قدر كتبتى مقارب
 من خطبى (هـ) لا يأنف المحراب
 فى شدة وعدة من ناسه
 طول الزمان النصر من عند الله
 منه لسان فخرنا كليل
 به فانى فى الظلام الفجر
 لطفاً من الله وبأسى أقهر
 حرمت بين النظراء النظرا
 ودون عيب هو لى عرفته
 ما كنت أغلو هكذا مجانا
 من فيهم ازرى بمن إذ قلت من

(أ) فى د : أعلمونا . (ب) فى د : بما . — (ج) فى ك : فيك .

(د) فى د : فتحتنى عين . — (هـ) فى د : خطبى .

فالغير في جانب بر يسلم
 يا مالك (أ) الأرض لسان رن
 ثم إليك هاجرا واستأمننا
 أمسك الرحمن مما تحذر
 والعدل فيك مشرقا آفاقه
 والملك فيك عاليًا مناره
 ودام لي ظلك ذخرا باقيا
 والحمد لله وليّ الحمد
 والصلوات الطيبات اجمعها
 محمد وآله الأبرار
 أئمة العدل هداة الخلق
 منابع العلم مفاتيح الحجي

نجزت والحمد لله والمنة وصلواته على محمد وآله وسلامه .

واتفق في خلال هذه الأحوال موت الوزير العادل المقدم ذكره رحمه الله تعالى وانتقال الأمر إلى من كان يعضد الحسدة والمتظاهرين كانوا على لكونه ناقصاً في نفسه خائفاً مني لتمكني من السلطان^(١) ظانا أنني من جملة من شره نفسه والعياذ بالله لطلب رتبته ومكانه والله تعالى يعلم أنني ما كنت من هذا ولا إليه ، فصاروا يداً واحدة فيما كانوا عليه وكنت لا أفكر بهم اشتداداً مني بمعونة الله تعالى إذ كنت مجاهداً في سبيله ، وقائماً بنصرة آل رسوله صلى الله عليه وسلم لا يستغفري حرص ولا طمع وانني منقبض عما تبسطوا (ج) له فيه من طلب دنياهم متجمع .

مادت مسجد الاهواز

فَقَضَى مِنَ الْقَضَاءِ اَنْتَى تَوَجَّهْتَ إِلَى الْاَهْوَاِ وَ كُنْتَ قَدْ اَحْتَوَيْتِ عَلَى مَسْجِدِ شَعَثِ

(١) في : ك ملك . - (ب) في د : قولهم . - (ج) في ك : تبسطوا .

(١) الذى ولى الوزارة بعد الوزير العادل هو مهذب الدولة أبو منصور هبة الله بن أحمد الفسوى
(ابن الأثير ج ٩ ص ٣٤٤ طبعة بريل سنة ١٨٦٣). (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

بها كان تأويه الصوفية وأهل النصب احتواء على نصبة عجيبة لها قصة مفردة ، فعكفت على عمارته إلى أن جعلته بهجة للنواظر ، وكتبت على دور محرابه أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين والحسن والحسين فصاعدا إلى جعفر بن محمد وإسماعيل ابن جعفر ومحمد بن إسماعيل عليهم أفضل السلام ووصلتها باسم المهدي والقائم والمنصور فصاعدا إلى مولانا الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين عليهم السلام (١) ذهبوا على ألواح ساج يكاد يخطف الأبصار (١) من لألائه وحسنه من المدى البعيد ، فرأى أهل تلك المدينة من ذلك ما لم يعهدوه ، وشاهدوا منه ما كادوا يكذبون عيانهم فيه ، ثم لم أكتف بذلك حتى أقمت الأذان « بحى على خير العمل » من فوق سطحه فبلغت القلوب الحناجر وصادفت فيها مثل وقع الحناجر ، فوقفت (ب) وتركت مديدة ثم قلت فى نفسى ما قال القائل :

انتهر الفرصة اما مرت فربما طلبتها فأعيت

وقلت لمن كان يحضرنى من الديلم إني أريد إقامة صلاة الجمعة فى هذا المسجد مشفوعة بالخطبة لمولانا أمير المؤمنين المستنصر بالله صلوات الله عليه فهل لكم (ج) من مساعدة عليه ، فقالوا : « افعل ما ترى » . فلما كان يوم الجمعة أمرت عشرين نقيباً يصعدون إلى سطح المسجد ويؤذنون « بحى على خير العمل » فقامت ضجة فى المدينة شغلت الناس عن المسجد الجامع ، وفاض الديلم عن الموضع فيضاً حتى ضاقت المنافذ والمسالك بدوابهم ونجائبهم وغلمانهم ، وكان الأمر جارياً على هذه المثالة فى كل جمعة والدنيا تموج بأهلها خوفاً وكلاماً ، كيف كان سبب هذا ؟ وكيف تم ؟ وما يجرى هذا الجرى . وكان بالأهواز قاض يعرف بابن المشتري (٢) كان أبو كاليبجار أرسله إلى الخليفة ببغداد فحمل على

(١) فى د : أبصارهم . - (ب) سقطت فى د . - (ج) فى د : عندكم .

(١) نلاحظ أن المؤيد أغفل ذكر الأئمة المستورين الذين جاءوا بعد محمد بن إسماعيل وقبل عبيد الله المهدي ، ولعل عدم ورود أسماء الأئمة المستورين فى كتب الدعاة مما قوى الشبهة ضد نسب الفاطميين ، ولا سيما عند المؤرخين الذين ينكرون نسبهم إلى الرسول ، وقد اختلف المؤرخون فى أسماء المستورين ، ولكن أكثر المؤرخين الإسماعيلية قالوا انهم عبد الله الرضى بن محمد بن إسماعيل ، فأحمد الوفى بن عبد الله ، فالحسن الزكى بن أحمد .

(٢) هو أبو الحسن عبد الوهاب بن منصور بن المشتري قاضى خوزستان وفارس ، وكان شافعى المذهب توفى سنة ٤٣٦ هـ (ابن الأثير ج ٩ ص ٣٦٠) .

يديه اللواء واللقب ، فوقع في الحريق من هذه الأحوال وكتب إلى بغداد كتاباً ينعى (١) فيه خلافة بني العباس ويذكر دثور ذكرهم في الرسوم الدائرة ، ويشير عليه أن يتلافى نفسه قبل فوت التلافى ، وأن يرسل إلى أبي كاليبجار رسولا ، وأن يصانعه على يديه بأنفس ما يجد إليه سبيلا ، وأن يقترح عليه بتسليمي في يد رسوله بالحديد مكبولا ويجعله على ثقة بأنه إن قعد عن الاجابة إلى ملتسمه دعتة الضرورة إلى مكاشفته واستنغار التركمانية عليه واغرائهم بجيازة ملكه ومملكته ، وقال إن أبا كاليبجار تشف إلى الدنية نفسه عند الرعب ، ويرتاع عن غير روع قلبه عند الرهب ، فما كان إلا قليلا حتى سمعت بحصول ابن المسلمة (ب) (١) بالبصرة رسولا (ج) للخليفة كان في ذلك الوقت ، وهو وزيره في هذا الوقت لما نجح سعيه باقتلاعى من تلك الديار وقصدي بالتشرد منها والانتشار ، والذي تصدى لمكاتبة الصنهاجي (٢) ومهاداته والتحريك من ساكنه ، والذي شرع (د) شروعه في نبش قبر موسى بن جعفر ومقابر قريش (٣) وكل ما يعزى به إلى الخليفة من سوء الأفعال فانه سهم من كناتته وقائم من تحت رأسه ، ولما حصل بالبصرة نزل على واليها وهو ضد شاق ، فشفع طاعون دويلة وأشفق من دخول الأهواز وأنا مقيم بها (حذرا على نفسه من الديلم أن يفتكوا به) (هـ) والأمر الذي ورد من أجله تتداوله الألسن في الأسواق والمساجد ، ففزع أن تبدر نحوى بادرة منه وراسلني (و) من البصرة على لسان بعض الرؤساء رحمه الله معتذراً ومستنصلاً يقول : إنه بلغني تكاثر الأراجيف على بكوني في شيء مما يتعلق بك وارداً ، ونحو مضرتك قاصداً ، وأنتى علم الله برىء عما أنسب إليه

- (١) في د : ينعى إليه فيه بنى العباس ودثور . - (ب) في د وك : ابن مسلمة .
 (ج) في ك : رسولا لخليفة ، وفي د : رسول لخليفة . (د) في د : يشرع .
 (هـ) سقطت هذه الجملة من ك . - (و) في د : وأرسلني .

(١) هو رئيس الرؤساء على بن الحسين بن أحمد بن محمد وزير القائم العباسي . ولد سنة ٣٩٩ هـ واستوزر سنة ٤٣٧ هـ وقتله البساسيري سنة ٤٥٥ هـ وقد كان هذا الوزير من ألد أعداء المؤيد صاحب هذه السيرة فكثيراً ما سبه وهجاه في شعره ونعتة بابن دمنة لحبشه ومكره (النجوم الزاهرة ج ٥ وابن الأثير ج ٩) .

(٢) هو المعز بن باديس بن منصور بن بلكين الحميري الصنهاجي ولاه الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٧ هـ وتوفي سنة ٤٥٤ هـ وقد خلع طاعة الفاطميين سنة ٤٣٥ هـ ، وحمل أهل مملكته بالاشتغال بمذهب مالك وترك مادونه من المذاهب . وقال ابن الأثير إن ذلك إنما كان سنة ٤٤٤ هـ .
 (٣) كان هذا الحادث في صفر عام ٤٤٣ هـ وتجد تفصيلها في (ابن الأثير ج ٩ ص ٣٩٤ طبعة بريل سنة ١٨٦٣ ، والنجوم الزاهرة ومرآة الزمان) .

الصنهاجي
و
الحميري

فأني أعلم إنك لجمهور الديلم يد ولسان ، وما كنت من قلة العقل بحيث أتصدى لمزاحمة الديلم جميعاً بمنكبي ، واجعل سبيل مبالغتهم سبيلي ومذهبي ، ولو أن مرسلني كلفني ذلك لما تكلفته واستغفيت منه ، ولكني وردت لتعهد اقطاعه بالبصرة ومراعاة خصائصه . فعلمت أنه كاذب آفك وأن الذي بالبصرة له على ما هو بصدد مشارك ، وأنه يهديه لما يدل به على مقتلي (أ) سهمه ، ويشده (ب) في مكاتبة أبي كاليبجار بما ينفذ في سمي ، وأن القوم الذين بحضرته خصوصاً المارق المقدم ذكره يجتهدون في التحطيط على ، وينتهزون الفرصة في القدح في . فقامت متوجهاً إلى حضرته بشيراز وإذ الأمور أبرمت ، وعقدة الفساد أحكمت ، وسمعت أن الكتاب نفذ إلى جماعة الديلم بالأهواز يؤمرون فيه بالتطريق لابن المسلمة في دخولها وترك معارضته في العبور بها ، إذ كان يرد في مهم من مهمات الخليفة لا يتعلق بأحد سواه .

مناظرة المؤبر مع العلوي الزبيري

فاجتمع الملك بأرباب المناصب فقالوا : ها ذاك (ج) فلان — يعنوني — ورد ، ورسول الخليفة على الأثر ، فكيف الحيلة عليه (د) في أن نخفض منه ، وما نتعلق عليه بحجة جناية جناها ولا جريمة اجترمها ، فما الذي نلقاه به وما الذي نقول له ؟ إن هذه والله حيرة ودهشة وشئ لا ندرى كيف يكون عقابه ، وكيف يكون تخلصنا عند الله منه . فقال المارق : أنا احتال عليه حيلة لطيفة بباطل نجهزه إليه في لباس حق . قال : وما ذاك ؟ قال : فلان العلوي القائم الليل ، الصائم النهار ، الذي هو زیدی المذهب يختلط بالصوفية والقصاص وأصحاب الحديث نكلفه أن يطلب مناظرته بين يدي الملك على مذهبه ، وتجزم أنت أيها الملك عليه بمناظرته ، ونقيم في الوسط قوماً يعدون عليه في نوبته ويقطعون خاطره ، ويفجرونه وهو على ما تعرفه قوى المنة ، عزيز النفس ، لا يراقب أحداً ، فيحمله الغيظ على الاشتطاط (هـ) في كلامه ، والخروج به من آداب المناظرة ، فنجعله حجة عليه في تبكيته ، والوضع منه ، ونسلم من كلام الديلم أيضاً وتشنيعهم علينا (و) ، إذ كان المناظر له علوي مشهوراً بالسداد والستر لا عامياً ولا وضعياً . فاجمعوا أمرهم على هذا ، فانتنى رسالة الملك بعد هذا التقرير بيوم أو يومين بأن فلانا العلوي يدعوك للبراز في مناظرته على مذهبك ، وأنتي

(أ) في د : قتلى . — (ب) في ك : يسدده . — (ج) في د : ها ذلك . — (د) سقطت في ك .
(هـ) في د : الاستشطاء . — (و) في د : إذا .

مؤثر لاجتماعكما عندي على ذلك ، وسريد لسماع ما يجري بينكما في كل نوبة ، فقلت : سبحان الله ، لا تعرب به هجرة ، ولا مزيد على ما دار بيني وبين خصومي من مناظرة وقف الملك على مسطورها وعرف تقواها من فجورها ، ولكن هذا عنوان رأى فاسد ، وسوء لاحالة علىّ وارد ، وأفوض أمري إلى الله وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت .

فوقع التعيين على ليلة من الليالي للاجتماع بحضرته والمناظرة ، وكان ذلك في أوائل شهر رمضان . فحضرت وحضر العلوى بعدى ، فقلت له : « أيها الشريف إني أريد أن أحدثك بمحدث في نفسى قبل المناظرة » . قال : « وما هو ؟ » قلت : « بلغنى أن علويا غزا في جملة الغزاة الروم ، فأحيط بهم وملكوا وفي الحبوس والمطامير زموا (أ) فلما كان يوم من مشاهير أيامهم التى يعظمونها ويقربون القربان عندها ، أخرجوهم فأطلقوا (ب) الأسر إلا العلوى فانه ضرب ضرباً وجيعاً ، ورد إلى محبسه ، حتى حال (ج) الحول ، ورجع مثل ذلك اليوم فأطلق أسارى وعملت به العادة في إيجاعه ضرباً وردته إلى الحبس ، وكان تأله من اشتباه وجه ذلك عليه وموجب فعله به أشد من ألم الضرب والمكروه الذى كان يناله ، وتمادى به الأمر إلى اليوم الثالث من السنة الثالثة ، فحين رأى المثالة فيه محفوظة والسنة بضره وردته في الحافرة قائمة استغاث ، وقال : « يا قوم دلونى على وجه اختصاصى بهذه العقوبة من بين قوم كانت قصتى وقصتهم واحدة فأولئك منّ عليهم بالاطلاق وأنا باقى يجدد علىّ العذاب في مثل (د) كل يوم أطلقوا فيه من الوثاق ، ثم أضربوا رقبتى بعد أن تشعرونى مقتضى قصتى ، فحمل إلى الملك أو بعض أصحابه وسأله : من الرجل ؟ فقال : علوى . قال : فما معنى قولك علوى ؟ قال : المعنى فيه أننى أنسب إلى على بن أبى طالب . قال : ومن على بن أبى طالب ؟ قال : أخو محمد الذى (هـ) هو رسول الله وهو وصيه ، قال الرومى : فكيف جرى حال علىّ هذا بعد موت محمد ؟ قال : قتل . قال الرومى : قتلناه نحن ؟ قال : لا . قال : فمن ؟ قال : المسلمون . قال الرومى : أو كان له أولاد وذرية ؟ قال : نعم وأجلهم الحسن والحسين اللذان كانا إبنى (و) بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الرومى : فما قصتهما ؟ قال : سمّ الحسن وقتل الحسين وسبى أهله وذريته . قال الرومى : أنحن الفاعلون ذلك بهم ؟ قال : لا . قال : فمن ! قال : المسلمون ، فقال الرومى : فأنت يا إنسان ، طوائلك في المسلمين وأبوك

(أ) فى د : قربوا . - (ب) فى د : فاطلقوهم . - (ج) سقطت فى ك .

(د) فى ك : حالت . - (هـ) فى د : سقطت . - (و) فى د : من .

وأهلك من قتلهم ، وأتيت تغزو الروم الذين لا جناية لهم عليك ، لأى معنى ؟ فهذا وجه معاقبتك التى سألت عنها وتحيرت لاشتباه وجه موجبها . وكذلك أنت يا شريف وطوائك مع القصاص الحشوية الذين يحشوهم المسجد الجامع ، الهادسون لمجدك والمنتقصون (أ) لأبيك وجدك ، وأنت تزرع المحبة فى تربتهم ، وتميل إلى جهتهم ، وترحف بسلاحك وعدتك إلى قتالى ، وتجمع حولك وقوتك إلى نزالى ، وأنا غصة فى حلقوم القوم ، وشرقة لاشتهارى بنشر فضائل (ب) أهل بيتك ، وإقامة عمد مجد قومك ، فما هذه لك بعلامة خير . فاصفر وجهه وتلجلج لسانه ولم يدر كيف يقوم ويقع ، فقال الملك : أغربوا هذا التوييح والتفريع واثبتوا على مسألة تتكلمون عليها . فقلت : أيها الملك معلوم عند هذا الشريف وعند أمثاله أننى لا أصلح أن أكون مسئولا ، لأنه لا يمكننى أن أبوح بحقيقة ما أسأل عنه ، فأنى بزعمهم باطنى ، واعترافهم بكونى باطنياً يمنع من مطالبتهم بحقيقة ما أعرفه فيجعلونى بالكشف عنها مثلهم ظاهريا ، وإنما أصلح أن أكون سائلا فيردون الجواب الذى لا منعة دونه عندهم ولا حجاب . قال العلوى : أو ما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من سئل عن علم عنده فكتمه ألجمه » الله تعالى بلجام من نار . قلت : الله أكبر قد حصل ما نتكلم عليه إن الله تعالى أعطانا من حيث العقل بصيرة بها نستبصر ، كما أعطانا من حيث المشاهد بصرأ به نبصر ، وقد عرفنا من شأن النار أنها تفرق الأجزاء وتحل الأجسام المجتمعة ، واللجام من النار الذى هو مجموع من جوهر منها يفرق أجزاء ما تسلط عليه ، ويحللها ليس يكاد يتمعنى لى ولا لمن له عقل ، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الحق الذى لا يشوبه باطل ، وعسى أن يكون ضرب فيه مثلاً يحتاج الشريف أن يستصحه ويعرف المعنى الذى تقوم عليه بينة العقل منه ، فاما مقتضى تصوره فيه لا يصح . فقال : أما تؤمن بقدرة الله جل جلاله ؟ فقلت : كيف لا أؤمن بقدرة الله سبحانه وهذه السموات المبنية المرفوعة السمك (ج) والأرض المدحوة الوسيعة العرض وما بينهما جميعاً من صنائع حكمته وقدرته . غير أنه لما لم أجد فيها اللجام من النار تعجبت مما قال الشريف فيه وطفقت أطالبه البينة عليه .

وأخذ الشريف لا يمر ولا يحىء فى الجواب ، وتقطعت به الأسباب ، حتى صار القوم الوقوف من الحاشية والأستاذين يتضاחקون منه ويستهزئون (د) به ، والقوم المدسوسون لتذليقي (هـ) والكلام فى نوبتى والقصد لاهاء صدرى حاضرون يهيمون فى كل واد ،

(أ) فى د : المنتقصون . — (ب) سقطت فى د . — (ج) فى د : السمك .

(د) فى ك : يتهزأون . — (هـ) فى ك : لتفتيرى .

وأنا لا أعيا بهم ولا أنصب لهم ، معرفة منى بكونهم مدسوسين ، وعلى تذليقي محمولين ، فقال الملك : دعوا هذا الباب وتكلموا في أمر الصيام ووجوبه على الرؤية أو غير الرؤية . فقال العلوى : يحكى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جمع أصابعه الخمس وقال : نحن قوم أسيون لا نعرف الحساب ؛ الصوم مرة هكذا حتى استوفى العدة ثلاثين في ست مرات ، وأنه جمع الأصابع ثمانية فلما انتهى إلى الآخر نقص واحد من الأصابع ، ثم قال ومرة هكذا .

فقلت : حاشا لله أن النبي صلى الله عليه وسلم الذى شرفه الله بالمعراج ، وأراه ما وراء الحجاب يكون به من العى واللكن وإن كان أميًّا أن لا يفصل ثلاثين من تسعة وعشرين بلسانه فيغنى عن جمع (١) الأصابع وتحريك اليد هذه الدفعات الكثيرة مما يقوم به راعى البقر والغنم ، ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إني بطرقات السماء أعرف منكم بطرقات الأرض ، فلو أنه صلى الله عليه وسلم ، على كون هذا الكلام العظيم محصوراً عليه مثبتاً ، يتكشف (ب) للسماء فى طلب رؤية الهلال لقام الناس لموافقته يقولون فأين هذا من دعواك بالأسس إنك بطرقات السماء أعرف منا بطرقات الأرض ؟ وسوى هذا فلو كان الهلال شيئاً يتعين وجوبه ولزومه لكان ذلك لنا خاصة ، ولكان هو عليه السلام بالغنى عنه لكون جبرائيل يعتاده بالوحي ينزل عليه ، ولكان سؤاله جبرائيل كهل أهّل الهلال أولى به من التكشف للسماء لطلبه ، وفى مضماره التشكيك فى أمر نفسه وتعليل نزول الوحي عليه . ولو وجد واحد منا السبيل إلى ملك من الملائكة يستفتيه ويستخبره عن مغيبات الأمور أكان يتكل على نفسه فى الطلب والاجتهاد ؟ هذا ما لا يقوم عليه دليل ولا برهان . فخرى العلوى من هذا الجواب خزيا قام وهو يتعثر بذيلوله [حتى صار القوم الوقوف من الحاشية والأستاذين (ج)] يتضحكون منه ويستهنئون به وانصرف كل منا إلى داره .

وسايات المريم

وغشى الملك من غواشى الحيرة والحشمة إن غدر بي وشرانى بضمن بخس ما لم (د)

(١) فى د : جميع . - (ب) فى د : يكشف السماء . - (ج) سقطت هذه الجملة فى د .
(د) فى د : لا .

يسمعه جَلده فيه واتبعني نصف الليل بأستاذ من حضرته محتشم صعد وصوب في الاعتذار عنه وتقطيع الخجل مترسلاً منه ، وقامت قِيامة المارق الذي دس العلوى وأنشأه لهذا المقام وجعل يتقطع في جلده ، ويخلق لى ذنوباً وينسبني إلى أننى أغرى الديلم جميعاً به ، وأبعثهم على ذكره بالتبشير في مواسمهم ومجامعهم ، وأغريهم بالبطش به والتجمع على هلاكه (١) وكان يلقي الملك كل يوم بصحيفة من الشكوى ينشرها مواضعة فيما بينهم على إتمام الضربة وبلوغ منتهى المكيدة ، على كون الملك يقدم رجلاً ويؤخر أخرى مؤثراً لبلوغه الخليفة بعض سراده بعد مصانغته له بما صانعه به ، ومحتجزاً عما يوعده به أنه يستنصر التركمانية عليه ويصير في شعبهم إن لزم الطريقة التي نقمها منه ، وقاصداً نسخ معلومات الناس أنه صار في شعبي وتمذهب بمذهبي ، فيكون يألف به قلوب العوام ، وهو مع هذا كله يخاف الله سبحانه فيَّ ويحتشم من فعله بي بلا ذنب أذنبته ولا جرم ارتكبته ومن بعد ما عاهد الله عليه ، وأخذت صفقته فيه من حفظي والممانعة غنى وما انغرس في قلبه من كلامي الذي لم أزل آخذ إقراره به أنه ما مر مثله على مسامعه ، غير أن كفة الهوى كانت أرجح من كفة العقل ، وكان الزمان بانجاده للخليفة رداءً (ب) من التركمانية لم يكونوا من قبل ، مال على كل الميل . فلما كان ذات يوم وقد اجتمع إلى جمع كثيف من الديلم في مجلس يوم الثلاثاء وكان انتسج فيه من ذكر العلوى ومناظرته وذكر من دسه ، تكلم الحاضرون بما يتكلم في مثله ، وكان يحضر الموضع عيون ، فأعادوا على المارق ذكر ما جرى ، فقصده وجهاً واحداً حضرة الملك ، وأعاد من كل كلمة عشراً ، وأزكى النائرة بجهده ، وعقد عزمه على المكاشفة ، وتمزيق ستر (ج) المساترة ، وبعث الملك إلى بالرسالة أستاذاً من خواصه حظياً عنده يقول : إن فلانا يعنى المارق حضر في مجلسه وقال إنه دارت عليه اليوم عندك سوق (١) وتَمَضَّغَتْهُ بكل قذع وسفه ألسن ، وتوعده الديلم بالفتك به والقتل وأسباب لا توجب السياسة مثلها ، وكان الأولى أن تمنع من جرى مثل ذلك بين يديك ، وتبت أرسان القال فيه والقييل وما يجري هذا المجرى . فأجبت بالاعتذار وقلت : إني زام للسانى عن ذكره ومسلمه إلى رب العالمين الذي هو ولى مكافأته عن فعله ، فأما ألسنة الناس فلمست بتملكها ، وشئ شاع وذاع واشتهر في كل مكان من فعله لا قبل لى بأن أردته في مطاوى الخفاء .

(١) في د : ملاكه . - (ب) في د : وردا . - (ج) في د : سر .

(١) سوق : جمع ساق بمعنى شدة ومنه قوله تعالى : يوم يكشف عن «ساق» .

وسمعت أن الملك لما بعث الرسول أظهر الاشفاق من حضوري بنفسى معه لاقامة العذر ،
 علماً منه بما يعتقد حجب المجاملة معى وقال : أرجو أن يعقد مكانه ويرد جواب الرسالة
 ولا يأتى بنفسه . فقال المارق : هو أجهل من أن يفعل ذلك ؛ أو ما يشبه ذلك من
 كلام جفاه . ولما أدنى الأستاذ الرسالة أحست نفسى بالبشر ، ورأيت الصواب أن
 لا أمر واقتصر على ما يبلغه الأستاذ عني في الجواب ، وامتنع الأستاذ إلا أن يأخذنى
 إليه لأكون المبرهن عن نفسى ، قصداً منه للخير ، وقد كان رحمه الله ممن يؤثر الخير
 لى ويحبنى ، وتوختى به أنى ألحن بحجتي وأقوم بالعبارة عن نفسى ، فلزمنى إلى أن حملنى
 معه . وسمعت أن الملك لما لحنى من بعيد أظهر تغماً من محبى . وقال : بئس الشئ .
 فتقدمت إلى حضرة الملك وخدمت وجلست ، وقال الأستاذ : يا شاهنشاه قد أبلغته الرسالة
 فاعتذر وقال كذا على كذا ؛ ثم أخذت الكلام من فيه ووصلته بقولى . فقال المارق :
 إنك تجاوزت حدك وبسطت لسانك فى ، وفى هذا الشريف الزكى الطاهر الذى هو خير منك
 ومن إمامك ومن بنى القдах كلهم ، وهو إمامى وقودى فى دينى وعدتى لآخرى . فقلت :
 صان الله هذا الموقف الشريف وحضرة الملك العظيم أن تجرى فيها هذه السفاهة وذكر قوم
 ليسوا بأمثالك وأمثالى ، ولا عندهم خبر من وجودك ولا عدمك ، ولئن كان هذا العلوى
 إمامك على ما تذكره وعدة دينك ، فلم جعلته مشرف دارك واستحفظته ختوم (أ)
 مخازنك ؟ رأيت من اتخذ إمامه وكيل داره والمشرف على انباره — وكان العلوى يتولى
 القيام بذلك كله له — فهام ذلك النذل فى وادى النذالة والأقوال الخارجة مما يجرى فى مجالس
 الملوك (ب) ، ويقتضى جواباً ؛ وقال فى خلال خباطه : إن الذى اتخذته جنتك من
 حديث العلم والدين هو تمويه (ج) وتدليس لأن همك الوزارة ومشاركة وإيثاراً إلى الملك
 فى المملكة . وكان قصده بهذا القول خاصة أن يبلغ الوزير فيلهبه ويجعله على (د) المقالى .
 فقلت : لا حاجة لى إلى إقامة البرهان على كذب هذا القول مع حضور الملك وسماعه ،
 فان ذلك كما قال الله سبحانه حكاية عن عيسى عليه السلام : « إن كنت قلتة فقد علمته »
 وكذلك الوزارة إن كنت من خطابها وطلابها فمنه طلبت ، وهو حاضر يسمع النجوى ،
 ويميز من اتخذ الصدق مذهباً ، ممن افترى على (هـ) الله كذباً .
 ولما جرت هذه المكاشفة القبيحة ، قام الملك من موضعه حذراً من الخجل ، وقمت مدهوشاً

(أ) فى د : مختوم . — (ب) هكذا فى النسختين ولعل الأصوب : مما لا يجرى فى مجالس الملوك
 ولا يقتضى جواباً . — (ج) فى ك : خباطة . — (د) فى د : فيلهبه على ويجعله لمقالى .
 (هـ) فى ك : الناس .

مما تحزب على من الشر وفتح كمين الغدر . ومضيت أجر رجلى إلى بيتى ، وبت ليلة يا لها من ليلة ، وصارت بشيراز صيحة (١) واحدة بجدثى وذكرى فى البيوت والمساجد والجامع ، وتبأشر الخالفون فى كل بقعة وكل مكان ، ونفذت الكتب إلى البلدان الشاسعة بالتهانى أن الملك رجع عما كان عليه من الضلالة ، وقتل فلاناً وجعله قطعة قطعة ، وسمعت واحداً يتبأشر واحداً أن فلاناً فعل به كذا حتى قطعت البغلة التى كان يركبها قطعة قطعة فقال المبشر : ناولنى يدك أبوسها . قال المبشر : بل هات صدرك فامسحه على صدرى لتسرقلوبنا التى فى الصدور بانكشاف هذه الغمة عن الاسلام والمسلمين ؛ وكانت هذه المكاشفة جرت فى يوم الثلاثاء الباقى بينه وبين يوم الجمعة يومان ، وكانت جرت عادة الملك بأن يحضر المسجد الجامع فى كل جمعة من شهر رمضان ، فعمد المارق على الاجتماع بقاضى قضاة فارس ورءوس الضلالة من أهل البلد وأمتن عليهم بفعله بى (ب) ، وأنى ما غضبت إلا لله ولدين (ج) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما آثرت إلا تطميس أثر (د) الضلال ، وبقيت خصلة واحدة إن (هـ) وقعت المساعدة منكم عليها ، أفلحتم وأفلحنا ، وإن تكن الأخرى فسدت الحال فى أيدينا ، إذ كان الملك قد أشرب فى قلبه حب هذا الانسان ، وإنما نحن كالمعنفين عليه فيما يفعله والخوفين له من عقبي ميله إليه ومحاباته عليه ، فقالوا : وما ذاك الخصلة ؟ قال : هى أن يفرق كل واحد منكم تبعه وأصحابه فى الأسواق والحال ويحشد الحشد العظيم من العامة والرعايا ليصطفوا يوم الجمعة من باب دار الملك إلى المسجد الجامع ، ويضجوا بالشكر والدعاء على ما كفى الاسلام من عادية هذا الانسان بلسان واحد ضجيجاً لا تكون نفخة الصدر مثله ، حتى يرتجف قلب الملك من لقياء هول تلك الجموع ، ويحسن فى نفسه فعلاً من أجله صاروا له محبين بعد أن كانوا مبغضين ، وشاكرين عقب أن كانوا شاكرين ، فيستحكم ما فعلناه ويستقر ولا يتحلجل (١) . وكان قصده لعنه الله أن يستجمع القاضى والمشايخ الجموع ، فاذا اجتمعوا تفاقم الأمر فلم يققوا عند أمثلتهم فى الاقتصار على الشكر ، بل يتجاوز إلى بسط أيديهم بالقتل والحرق وإيقاظ عين الفتنة ليبليغ هو مراده بأيدي غيره . فلما كان يوم الجمعة سمعت فى منزلى ما لم أشبهه إلا بنفخ الصور حقيقة ، وما حسبت إلا أن السيوف تأخذنى من أقطارى ، والنار تحرق إلى

(١) فى ك : ضجة . — (ب) سقطت جملة فى النسختين لعلها : ومن قوله لهم .

(ج) فى ك : ولدين الاسلام . — (د) فى د : اهل . — (هـ) سقطت فى د .

(١) أى لا يتحرك .

جوانب داري ، وقعدت مستسلماً لأمر الله سبحانه وحكمه ، وجائداً بنفسى على أهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم ، فطمس الله على أعين القوم فضلاً منه ورحمة ، وجعل على قلوبهم من فهم ما قصد بجمعهم له أكنة ، وتفرقوا . فلو لم أقاس من الشدائد غير تلك الساعات لكان كثيراً .

عذر أبي الجار بالمؤيد

فلما انقض القوم أتنى رسالة الملك على لسان أستاذين من خواصه يقول لاشك أن هذه الضجة التي كادت تحرق الأرض وتشق (أ) الجبال وقعت في مسامعك ، وعلمت أن هذه الأم لا يحصيها إلا الله سبحانه أعداؤك وخصماؤك ، وكانوا (ب) أعداءنا فيك أيام كنا تقربك وندنيك ، وينبغي الآن أن تأخذ لنفسك وتبتغي سبيل نجاتك ، وتفرغ هذه الممالك ثم تأخذ أى صوب شئت . فقلت لها : قولاً للملك خف ربنا إليه إياك وعليه حسابك ، واذكر أيامى عندك ومعك ، فانك لا ترى فيها شيئاً تدمه وتنكره ، ولى في رقبتك من أمانة الله تعالى ما هو لازم لها لزوم القلائد (ج) ، فلا يخلصك أحد من عهده ولا ينجيك شئ من تبعته . وأما النفى فليس ذلك مما ترعبنى به ، إذ كانت هذه النعم التي أثقلت فيها (د) . من ابتداء أيام مملكتك إلى هذه الغاية قصداً بالروح والمهجة وسوءاً بسوء العذاب في كل حين وساعة ليست مما يضيق على الانسان أن يوليها ظهراً ، ويملك عنها صبراً ، والسمع والطاعة لأمرك . ولما كان في اليوم (هـ) الثاني أو الثالث أرسل إلى قوماً من أجل من بحضرته يتحملون معذرة وقولا أنه يعز عليه ما يكلفني إياه (و) من الصعوبة ، وإن كتاب الخليفة ورد بالعظام في بابي ، والتوعد بطغربك التركاني ، وأنفذ الكتاب مع القوم لأقف عليه ، وذكر أن رسوله لاحق في أثره ، وجعلوا الكتاب في يدي ، فنفضته عنى ورميته وقلت : لا أعرف خليفة غير المستنصر بالله ، وهذا الكتاب ما لى حاجة إلى قراءته . إلا أنهم عرفوني أن مضمونه الوقوع في موالينا عليهم السلام ، وتنقيصهم (ز) والقدح في أنسابهم ، والكناية عنهم بالمغاربة الفعلة الصنعة ، والقول انه إن كانت دعوة تعزى إليهم في الأيام المتقدمة ، فلقد كانت في الخفاء والستر ، مثل خبيات الصادور ، ومكنونات القلوب ، وإن أحداً ما جسر على مثل ما جسر عليه هذا الرجل الفاعل الصانع من الوقوف

(أ) في د : تشق . - (ب) سقطت في ك . - (ج) في د : القلادة .

(د) في د : إذا كانت هذه النعم أثقلت من ابتداء . - (هـ) في د : يوم .

(و) سقطت في ك . - (ز) في د : وتنقصهم .

في بعض مواقف إظهاره وإشهاره ، والتجرد لدفع معالم ذكرهم بالصلاة والخطبة وإزالة أسامينا بالسكية ، وإنه إذا سوسح في بابه ، وأهمل الاستيثاق منه وتسليمه في يد صاحبنا فقد أخرجتمونا من عهدة الايمان والعهود بيننا وبينكم ، وأحوجتمونا إلى استنصار من ينصرنا عليكم - يعنى التركانية - وقلت في جواب توعدته بالتركانية : أما التركانية فليس قصدهم هذه الديار نصرة للخليفة ولا مظاهرة له إلا في طلب الملك ، ولو قتل مثلى ألف ما ارتدوا على أعقابهم إلا أن يردهم الله سبحانه ؛ فقولوا للملك ليشتد عليهم بعد معونة الله سبحانه بعضه واستنزال أمواله التي أعدها في قلعتة وتفرقتها في أعوانه وأنصاره ليشمروا عن ساق الجذ في الممانعة عن ملكه . فأما الأحداث (أ) وأسما الليل فما يجيء منها شئ ، وأما (ب) ما يسومنى من الخروج فانى على ذلك ، ومجمع له أمرى ، وعاقده عليه عزمى . فرجعوا بجواب الرسالة إليه ، وكنت فرحان بايجاده لى السبيل إلى النزوح حذرا من مكيدة تتم على بالقتل ، وأن يصل (ج) رسول الخليفة فرما سلمت في يديه ، فدخل المارق لحاه الله في رأيه ، وردده عن فسحته لى في المسير ، وأشار عليه بأن يجعل حبسى دارى ، وذكر أنه إذا أطلقتى في التوجه لم يأمن استثارة الديلم في عصييتى ، وربما تأدى الأمر إلى فساد كل لايتلافى ، فرجع إلى الرسل وقالوا : سوحت (د) بالمرور ، فالزم دارك ، واغلق في وجهك بابك ، إلى أن يبلغ الكتاب أجله ، ويرى الملك فيك رأيه . فهانى ذلك وراعنى ، وجهدت كل الجهد في التملس (هـ) فلم أجد رخصته فيه . ولما كان بعد أيام قليلة دخل ابن المسلمة رسول الخليفة وتلقوه ببعض الحاشية الكبار في ضميمه إليهم من الأتراك ولم يستصحبوا من الديلم واحدا ودخلوا به إلى الملك ، وسلم ما كان في صحبته من الهدية المشتملة على ثياب السقلاطون الرفيعة والاستعمالات البغدادية ، وتماثيل الكافور الحسنة - على ما بلغنى - الطائلة ، فأنزلوه على طلبة نجيحة ، وحاجات من قبل دخوله مقضية إلا ما اقترحه من تسليمى في يده ، فان الله تعالى بفضله أحسن الدفاع في ذلك . ولما كان ذات يوم جاعنى رسول من عند ابن المسلمة صاحب الخليفة وذكر أنه يتعرف خبرك ، ويتغم (و) لما جرى عليك ، ويذكر أنه استقر في نفسى ذكر فضلك في نفسك وعلمك ورجاحتك ، غير أن تجاهر بك بأمر تستنفر به العالم على نفسك ، وتقيمهم على ساق في معاداتك ، وتستخصم معه الخليفة ، لانسان بمصر لا يضررك ولا ينفعلك ، مما ليس له سدخل في العقل ، ولا يليق صدور مثله من العقلاء الفهماء ، وينبغى أن تنزع عن هذا

(أ) في د : الحدوثات . - (ب) سقطت في د . - (ج) في د : وان تصدر سؤال الخليفة .

(د) في د : ما أسوأ . - (هـ) في د : التماس . - (و) في د : يتغم .

الرأى وتعديل عنه ، لأكتب مجلس الخلافة في بابك وأترضاه ، وأستدعى كتابه إلى حضرة الملك بما يصلح شأنك ، ويردك إلى المعهود من قربه وخدمته . فأجبت وقلت : إنك المشكور على حسن هذا الاهتمام ، غير أن الأمر الذى أنا بصددده أمر دعانى إليه التدين به ، واعتقاد اكتساب مرضاة الله فيه ، وليس اعتقادى في هذا الانسان الذى هو بمصر وقلت إنه لا يضرنى ولا ينفعنى ، كاعتقادك في مرسلك ، ولست بالذى يقف موقف المعتذر إليه ، ولو قتلت ألف قتلة ، ولم يكن لى في خدمة الملك فائدة فيصبو قلبى إلى الرجوع إلى تلك الفائدة . ثم أن ابن المسلمة سار ، وكنت إلى حين انصرافه لا أعد نفسى في غمار الأحياء خوفاً من تسليمى في يده ، ومن بعد مسيره أيضاً ما كنت آمن المكائد والمناصب التى لم يزل المارق المقدم ذكره والخصوم عاكفين عليها بحضرة الملك ، فكنت إذا أصبحت لأرجو أن أسمى ، وإذا أمسيت لأرجو أن أصبح ، لما (أ) كنت بصددده من قصد العوام وبغاتهم وكبساتهم (ب) فى الليالى والأوقات الغامضة ، لا سيما وقد ثبت فى نفوسهم أن السلطان خصمى ، وإنما تنكف عوادم العامة عن أمثالى مخيفة السلطان ، فاذا كان السلطان سالكا فى شعبهم فى المضادة والمشاركة (ج) فما الذى يمنعهم ، لولا تفضل الله سبحانه ، وأخذه بالنواصى والأقدام منهم ، وكان يبلغنى كل يوم من البلاغات فيما يقع من التظاهر على" والاغراء بي ما ترجف الأرض من بعضه .

واتفق فى أثناء ما كنت بصددده من هذا الروع والفرع ومهاجرة الدعة والطمأنينة أن إنساناً من الحاشية — لا خلطة بينى وبينه ولا معرفة إلا طرفية — رأى فى منامه كما يرى النائم كأن أهل شيراز يسعون إلى مصلاهم على سنة الأعياد ، وأنه سأل عن موجب سعيهم وليس بيوم عيد ، فقال قائل إن أمير المؤمنين على" بن أبى طالب (عليه السلام) هو فى المصلى يخطب الناس . قال الرجل : فأسرعت فى جملة المسرعين ، فاذا هو عليه السلام على كتيب من الرمل ، وهو يخطب خطبة معروفة عند من رأى الرؤيا على ما قاله ، فلما استتمها بسط يديه ورفعهما إلى السماء ، وبسط الناس أيديهم ببسطه لهما ، وقال : اللهم اهلك من يؤذى فلاناً — يعينى به — إلا أنه اشتبه (د) عليه نص حكايته عنه عليه السلام لفظة أهلك بعينها ، أو لفظة تشبهها فى معنى الهلاك ، قال الرجل : فانتبهت وأنا مذعور من هذه الرؤيا خائف ، وقلت فى نفسى إن القوم لعلى ضلال فى قصد هذا الانسان بالسوء ،

(أ) فى د : غير ما . — (ب) فى د : بياتهم . — (ج) فى ك : المساره .

(د) فى ك : اشتبه عليه على نص .

وتناولوه بالمكروه وأن فلانا — عنى واحداً سماه — الذى هو من خلطاء الملك والمقربين (ا) منه هو صديقى ، والنصح له يتعين على ليكف بأسه عن هذا الانسان ، ويعتزل الظالمين له والواقعين فيه ، ولئلا يصطلى بنارهم ؛ فمضى الرجل إليه وأفرشه القصة فيما رأى فى منامه ، فتوجه ذلك الانسان إلى حضرة الملك وقص عليه رؤيا الرجل ، فملىء الملك رعباً منها (ب) وقال : لعل ذلك اختلاق ومواضعه ؛ فاستحضره ولم يبق من الايمان المغلظة بالله سبحانه ورسوله وملائكته وكتبه ورسله والطلاق والعناق ما لم يستحلف به ، حتى ود الرجل لو ترك الكلام فى سر نفسه ، ولم يخرج به إليهم ناصحاً لهم بزعمه .

وكانت حالى واقفة على هيأتها نحو سبعة أشهر ، أبل بالدم ريقى ولا أعقل شيئاً من أمرى ، وأنا قاعد فى كن (ح) بيتى ، والباب مردود على وجهى . فبينما أنا جالس ذات يوم إذ قرع على الباب بهول فليل : من على الباب ؟ قالوا فلان بن فلان أحد أصحاب الملك من الاضداد المبائنين بالشقاق الداخلين مع المارق المقدم ذكره مدخل كل بلية ، فدخل وقمت له وأكرمته فقال : أين (د) الكتاب الذى أحضره إليك كاتب فلان ، الفراش دار (هـ) يحتاج أن ترده إلى حضرته . فسمعت (و) شيئاً نكرا لا علم لى به ، فقلت : أى كتاب ؟ قال ذلك النذل : كأنك لست تعرفه ، وتشككنى فى عرفانك به مع ما صح لى من احضاره إياه بين يديك استراقاً من صاحبه ، وتقرباً به إليك ، وقالوا إنك أحرقتة . قلت له : فمطالبتك لى برد شئ أحرقتة تكليف ما لا يطاق ؛ قال : فان الملك تقدم باحضار الكاتب المذكور وحبسه فى الخلاء فى شر موضع ، وهو متوعد بقطع يده الساعة إن لم ترده ؛ وقال الملك : إنى أعرف أنك تتحوب (ز) من أن ينال إنسان ضرراً تكون أنت سببه ، فجد على هذا البائس يمينه ، وحام عليه من قطعها برد الكتاب ؛ قلت : إن شاء فليقطع يده ، وإن شاء فليقطع رأسه ، فما على حوب فيما يفعله به ، والكتاب المشار إليه لم أره ، ولم يقع بصرى عليه ، ولو قلت لى أى كتاب هو لعلى كنت أقع على مثله فأحمله إليه إن كان له بحضرته هذا النفاق العظيم ؛ قال : هو كتاب مصنوع فى إبطال أنساب أئمتكم (ح) الذين بمصر والابانة عن كونهم موهين مدلسين ، ونشر مطاوى مثالبهم ومعائبهم ، وإن هذا الكتاب أحضره العلوى الذى ناظرى ، فلما استتمت قراءته أسلمه الملك إلى فلان الفراش دار ليحتفظ به ، فحمله الفراش دار إلى بيته وأذكى كاتبه عينه على المكان الذى أودعه إياه ، فأخذه وجاء به إليك ؛ ولما كان هذا اليوم حضر وأرسل العلوى يطلبه

(ا) فى د : القرية . — (ب) فى د : منه . — (ج) فى د : ركن . — (د) فى د : ان .
(هـ) فى د : الفلاشلا . — (و) فى د : فسمعت . — (ز) فى د : تحوب . — (ح) فى د : أئمتكم .

وقال : « إن كنتم غنيتم عنه فردوه إلى » فنسى الملك لمن أعطاه وإلى من سلمه ففكر فيه ملياً فتذكر ، وقال للفراش دار رده فقال : حتى أطلبه في بيتي ، فذهب وعكس داره وخزائنه (١) فلم يجده فيه ، فعرفوا أن كاتبه سلبه منه ، وأحضره عندك ؛ وتقرب به إلى قلبك ، بكونه من أهل مذهبك ؛ فقلت : والله ما وقع طرفي على هذا الكتاب ، ولا حضريين يدي ، ومالي منه علم جملة ، وإن كان عندكم هذا الفرح به وبمثله فليس هو بالكبريت الأحمر ، إن أشباه ذلك وما هو في معناه كثيرة ، والمواضع مشحونة منها بما صنعتها أيدي السفلة وأعداء آل الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنا أحصل لكم مثله إن شئتم ، وأفرح قلوبكم به . فخرج الرجل من عندي بعد مكاشفات جرت بيني وبينه ، وأحوال لم أعتمد فيها رفقا ولا هوادة ، بل جردت لساني عليه وعلى مرسله ؛ وقلت : إني قاعد متهدف للموت ، وإني ليعجبني أن أكون مستشهداً بأيديكم ، فاقض يافرعون ما أنت قاض ، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا . وكان الكاتب البائس المتهم بسرقة الكتاب وجملة إلى باقياً على جملة في الاعتقال ، إلى أن قضى الله من سواد وجوههم ما قضى ، وذلك أنه رجع الفراش دار إلى داره مهموماً لما يرى حلوله بكاتبه من البلاء ؛ فقالت جارية من جواريه : إنك كنت سلمت إلى دفتراً يوماً من الأيام فخبأته عندي في مقرى ، ولعله هو المطلوب المحبوس كاتبك من أجله ، فقال الفراش دار هو المطلوب وليس المطلوب غيره ، فأخذه ورده إلى الملك فسقط في يده ، وزاده ذلك خجلاً على خجل .

فرار المؤيد من شيراز

ثم إن الملك هم بالسير إلى الأهواز في عامة العسكر ، ورأيت أننى إذا بقيت (ب) مكانى بشيراز لم آمن ما يتم على بغيتهم من حيلة ومكيدة ، فقلت الأحوط أن أكون في الجملة ، ولا أفارق الجماعة ، فاستأذنت في السير معهم فمكنت ، واستحكم على بالمنع سوء الظن ، وواصلت الرقاع بالسؤال في الفسحة فيه فما صادفت إجابة ولا في التشدد إلا زيادة ، فحملت نفسى على مركب صعب في التلصص ، ما هجس في خاطرى ولا في (ح) خاطر أحد أننى أقدر على مثله ، وأشعرت أقوامى ومن يتعلق بى بشيراز أنه قد وقعت الإجابة إلى ما سألت فيه من التوجه وأننى سائر في الصحبة متنكراً ، وأشعرت المتوجهين في الصحبة أننى مقيم بشيراز على جملى مستتراً ، وأننى أحمل معهم (١) فى د : خزائنه . - (ب) فى ك : استبقيت . - (ج) سقطت فى د .

شيئاً من رحلى ودوابى وغلمانا (أ) لى ، وعملت على تنكير الزى والهيئة والدخول فى أطمار رثة ، واستبعت غلامين مجهولين ، وسلكت فى بعض المجاهل من الطرق ، أكثرى من مرحلة إلى مرحلة هماراً أركبه ، أو جملاً أو ثوراً على حسب ما يتفق ، وأتحمل فى خلال ذلك من مشقة المشى وخوض الأودية والوحدول (ب) ، والصبر على مضض البرد والنزول على المواضع القذرة ما يكون الموت عند دائه شافياً . ومن أشد ما كان على أنى كلما اكترت هماراً أركبه رمت قطع الطريق به على الوحدة لئلا يرانى أحد ورام صاحبه أن يكون مع الرفقة اختلاط لهيمته (ج) ، وكان يخلف مرادنا فى الوسط ، فكان يسألنى عما يوجب إيثار الوحدة التى جرت العادة بين المسافرين بضدها من طلب الرفقة ، فكنت معقول اللسان عن القيام بوجه العذر فيه . وكنت أحل (د) فى صوب الطريق بأقوام من الريافة وأهل السواد فسمعهم يذكروننى من القبيح بما أعلم أنهم لو شعروا بى لكانوا يتطهرون بدمى ويصلون ، وحسبك بمن يقطع طرقاً هذه سبيلها ويسمع بنفسه فى نفسه مثل تلك العظائم .

المؤيد فى جنابه

ومن المواضع التى أردت أن لا أوجد بها وأوخذ وكانت سلامتى منها من خفى ألطاف الله تعالى ، موضع يقال له جنابة^(١) وهو المكان الذى نبع (هـ) منه أبو طاهر الجنابى^(٢) صاحب الاحساء ، لأننى دخلته فى يوم مطير وانتبذ بى طلب الكن الذى أتوارى فيه من المطر إلى المسجد الجامع ، وكان سوق البلدة إلى جانبه ، فدخل واحد للصلاة يعرفنى باسمى ونسبى وجملة ما أنا عليه ، ولما وقع بصره على دنا منى وتقرب إلى بما يتقرب به إلى من كان له فى الدنيا قدم ، ثم نظر إلى هياتى وحالى وزى وما أنا عليه فعلم أننى

(١) فى ك : وغلمانى . - (ب) فى ك : الدخول . - (ج) فى د : لهيمة .

(د) فى د : احد . - (هـ) فى ك : نبغ .

(١) فى معجم ياقوت جنابه من قرى بحر فارس وفى النجوم ج ٣ ص ١٢٠ أنها من قرى الأهواز وقيل من قرى البحرين .

(٢) هو أبو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابى ولى أمر قرامطة البحرين بعد أبيه فى خلافة المقتدر العباسى وهاجم البصرة سنة ٣١٠ هـ وانتهب الكوفة واستولى على الرحبة والرقعة وهو الذى أغار على مكة وانتزع الحجر الأسود وتوفى سنة ٣١٧ (راجع ابن الاثير وصلة تاريخ الطبرى والنجوم الزاهرة) .

هارب ، وعرض على نفسه وماله وقال : عسى أن يكون لك حاجة فأقضيها ، أو تريد ما يكون معك من فضل نفقة وعندي ما لا أدخر به ذخرا أجل منك . فقلت : بارك الله تعالى لك في نفسك ومالك ، لا حاجة لي إليك أسس من أنك ما رأيتني وأنتى ما رأيتك . وجاءني إنسان آخر علوى وسأل أحد غلامي عني فقال إنه شريف وارد من كرمان ومستوجه إلى بغداد ، فقيل ما هكذا قيل عنه (ا) ، فتقدم إلى وسلم على وأكرمته وأحفيت به ، وقال : كأنتى أعرف الشريف حرسه الله تعالى ؛ فقلت : يجوز أن يكون ذلك . قال : لقيته بالأهواز ، قلت : قد كنت بها لعمري . قال في الموضع المعروف بقصر المأسون وعهدي بالشريف وهو يبنى هناك بناء ، وأشار إلى المشهد (ب) الذي هو أصل البلية النازلة بي ، فقلت : ما أعرف هذه المحلة ولم أدخل الأهواز إلا جوازا ، ومن أين لي ما يتسع للبناء وأنا في شغل عنه بنفسى . قال : مالى (ج) أساترك ، قالوا إنك فلان بتعظيم وتفخيم في الذكر ، فقلت : قد سمعت باسم هذا الرجل ، إنه إنسان كبير (د) الشأن ، متملك لمقادة الديلم عظيم المنزلة ، إلا أنى ما رأيت به ، وقد يشبه الناس الناس ، وربما يشبهني به المشبه قال : فقد قال قوم للعامل إن الوجه أن تحتاط عليه ، فربما كان هاربا من السلطان ، وإذا أخذته حصلت لك بحضرته مكانة فهم بتعويقتك ، فأشرت عليه بأن يضرب عن هذا الحديث في الذكر صفحا وقلت لست بمأثور بذلك ولا مطالب به ، وليس يخلو الأمر من كون هذا الانسان هو المشار إليه أو غيره ، فان كان هو المشار إليه لم يف تجردك لعداوته وعداوة الديلم قاطبة فيه بالشواب الذي يتحصل لك في أخذه ، وإن كان غيره فقد أوحشت رجلا غريبا وعوقته عن موضع قصده وحصلت على خجل من أمره ، فقال الصواب معك ، وقبل (هـ) مشورتى في أسرك ، والآن فأريد أن تأخذ منى ما شئت من مال وتجعله عدة في طريقك ، وتكرمنى وتشرفنى بذلك ، فجزيتته خيرا . ودخل إلى ثالث غير نصبة من تقدم وسلم وتقرب وقال : إنه كثر الخوض فيك في هذه البلية ، فبين قائل يقول : إنك ظهير الدين^(١) الذي هو صاحب البصرة قد أفلت من محبسه وهو

(ا) في د : فيه . - (ب) في ك : المسجد . - (ج) في د : لم لي .

(د) في د : كثير . - (هـ) في د : اقبل .

(١) هو ظهير الدين أبو القاسم استولى على ملك البصرة بعد وفاة بختيار متوليها سنة ٤٢٤ هـ وقد عصى على أبي كاليجار مرة وصار في طاعة جلال الدولة ثم فارق طاعته وعاد إلى طاعة أبي كاليجار حتى اتفق أن تعرض ظهير الدين إلى أملاك ابن مكرم صاحب عمان فاستنجد هذا بأبي كاليجار فأرسلت الجيوش إلى البصرة واستولت عليها سنة ٤٣١ هـ وأسر ظهير الدين وحبس في الأهواز (ابن الأثير ج ٩ ص ٢٩٢ و ص ٣١٨) .

راجع إلى البصرة ، وقائل يقول : إنك فلان وسماني بتسمية (١) المشتاق الواله المحب المظهر من نفسه أنه من ذوى التحرق في الولاء والتشيع ، فقلت : يا إنسان ما أنا من الرجلين المذكورين بشيء ، وإنما أنا رجل علوى عابر سبيل ، قال الرجل : فلي إليك حاجة . قلت : وما هي ؟ قال : أن تكتب لي بخط يدك دعاء أتبرك به ، قلت : أما كتب الدعاء فما يقعدني عنه شيء ، وأما أخذك له على سبيل التبرك بكونه خط الرجل الذي أشرت إليه فما أنا هو ولا تبرك بخطي ولا بخطه على رأي ومذهبي ؛ قال الرجل : رضيت بذلك فاكته ، قلت له : فلي إليك أيضاً حاجة فاقضها لتكون حاجة بحاجة ؛ فقال : وما هي ؟ قلت : أريد حمارة لتكثريه لأنصرف من هذا الموضع ؛ قال : سمعاً وطاعة . فانصرف الرجل في طلب (ب) اكتراء الحمار ، وتشاغل بكتب ما طلبه ، فجاءني بعد ساعة بمكار وكان اكترى منه ووافقه على الكرى ، فوزن له قلت : فأين الحمار لأركبه ونرتحل ؟ قال : آتيك به الساعة فهو في بعض القرى ، فانصرف عني صبيحة ، وجاء وقت الأولى ولم يعد ، وقارب العصر ولم يعد ، وما شككت في كوني معوقاً من جهة العامل مأخوذاً ، وأنه نهى المكاري عن العودة إلى وأذكي على العيون إن برحت من الموضع أن يلزموني ؛ وما كنت بالذي يقدر على المشي فأفوت طالبي لو رمت هرباً ، وقامت على القيامة من هذه الجهة ، فوجهت في طلب الرجل الذي أتى بالمكاري ، وقلت له : إن الرجل تقاعد بي ولم يعد وكان تقرر بيني وبينه أن يعود من ساعتها ، ولو تفضلت وتوجهت على أثره وجئت به مع الحمار لكان برأ لا أنهض لحق شكره فقال : السمع والطاعة . وتوجه لوقتته وإذا هو مقبل ومعه المكاري والحمار قبيل الغياب ، فسرنا وأنا لا أصدق أنني ناج من تلك الخطة ؛ وأنظر إلى ورائي هل تبغني أحد ؛ فسرنا وبتنا في قصر خراب على شاطئ البحر ، هو بالحقيقة أحد ملاعب الجنة وكنت عند دخوله كمن زحزح عن النار وأدخل الجنة . فلما أصبحنا سرنا إلى حيث يسر الله تعالى وكان هذا دأبي مدة شهر كامل سفرأ في مقاسات شطف العيش ، واشتمالا على ملبس البروع ، واستكمالا من كل أذى ومحنة للجنس والنوع ، حتى دخلت منزلي بالأهواز عشياً سابقاً لدخول الملك إياها ، إذ كان الملك أقام في الطريق ما بين شيراز والأهواز برهة تعريجاً على المتنزهات والمتفرجات ، حتى أقام في بلد يسمى سابور — على ثلاثة مراحل من شيراز — شهراً وكان في تضاعيف مقامه به نفذ إليه كتاب الترتيب بكوني مغيب الشخص وأنني مذ سار ركابه خافي العين والأثر ، وأنه وقعت الاشاعة بمسيرى في صحبته متنكراً ، فأخذ الوسواس من هذه البلاغة ، وسمعت أنه أقام العيون والجواسيس في خيام الديلم

(١) في د : اتمنى بتنميته . — (ب) سقطت في د .

ورحلاتهم ليستصح في أى موضع أنا ، ثم أنه كان يتقدم بضم أطراف المضائق وتأمل
الخيالة والرجالة واحداً بعد واحد وكشف وجوه من كان فيهم مثلثاً في عدة مواضع ، وكان
ذلك كله سعياً في ضياع ، لكوني مختبطاً في المجهلة التي قدمت ذكرها لا في جملتهم ؛ فلما
سلم الله برحمته .

المؤيد في الأهواز

وحصلت بالأهواز ألفيت (١) الوزير بها والعسكر قد تحملوا عنها منذ أيام مستقبلين
للملك ، ولم يبق في الموضع إلا من لا قدرة له على المسير ، فلما كان صبيحة غد من عشية
دخولى جلست للناس ظاهراً مكشوفاً ، وازدحم على الزوار من بقايا القوم ، وانتهى
الخبر بورودى إلى قاضى القضاة ابن المشتري الذى كان الأساس في مكتبة الخليفة
واستنفاره واستدعاء كتابه ورسوله وهديته ، فلم يدر من الأرض خرجت أو من السماء
نزلت ، فما شعرت إلا وقد جاء الاذن بكونه على باب الدار يستأذن في الدخول ، فدخل
وهنأنى بالسلامة وأظهر التغم لما جرى على من الحالة ، شبه الولي الحميم . فقلت : ما كان
بحمد الله إلا خيراً وانصرف . ونفذت كتب الترتيب على انفراد والسعاة على انفراد
إلى الملك بذكر حصولي بالأهواز ودخول الناس إلى غير مفكر ولا مكترث ؛ فامتلاء غيظاً
وحقناً من ذلك ؛ ووجد المارق لعنه الله ومن كان من شيعته الطريق إلى القول ، فقالوا إنه
عصى أمرك في مفارقة شيراز ، وكنت حتمت عليه ألا يفارقها وسابقك إلى الأهواز ليشير
الفتنة ويشغب ويغري الديلم بعصيانك والخروج عليك ، حتى صار يفور من غيظه وغضبه ،
ويحلف بالله ليفعلن بي وليصنعن إيعاداً كنت شيت ناصيتي في سماع مثله ، ووثقت بحسن
كفاية الله تعالى وكفانيه ، ولم يزل يتراكم هذا التواعد منه على اسماع قوم يحبوننى
ويكرموننى فيضعف منهم ، ويحمد نفوسهم ، وهم يكتبوننى ويرعبوننى ويستحلفوننى
بالإيمان المغلظة أن أتخلى عن الأهواز وأحصل في حلة منصور بن الحسين (١) أحد أسراء

(١) في ط : لا من لاقيت .

(١) هو منصور بن الحسين الأسدى الذى ملك الجزيرة الدييسية بجوار خوزستان سنة ٤١٨ وقطع
خطبة جلال الدولة البويهى وخطب للملك أبى كاليبجار (ابن الاثير ج ٩ ص ٢٦٠) ومن هنا نفهم
الدالة التى كانت لمنصور على أبى كاليبجار .

البوادي ، ريثما تنطفئ وقدة النائرة ، فاحتجت بحكم الاحتشام منهم أن أستجيب لهم ، ولو خلوني ورأى لاستقررت في موضعي ، وما زلت ولاعبأت بوعيده ثقة بالله سبحانه كما لم أعبا بكثير من أمثاله . فقامت ونهضت إلى حلة الأمير المذكور جزاه الله خيراً — للأمر المقدور لزيالي عن تلك الديار ، فقرب ورحب ، ولم يقصر في الجميل ، وسألني عن مجرى الحال ، فقصصت عليه القصص ؛ فقال : أبشر بما يسرك (١) ؛ فما هو إلا أن يحصل الملك بالأهواز وأسير إليه وأسعى في استصلاح شأنك معه . فلما حصل الملك بالأهواز سار إليه وخاطبه في أمرى فأفضى إليه الملك بجميع السرائر فيما احتالوا على ، ونصبوا المناصب ، فيما يتأدى به الضرر إلى ، وإذا جميعه على السكة التي كنت أوردتها على منصور مما أودعته الآن بطن هذه الصحيفة لم يخلف منها شيء ، وقال منصور عند عوده : إنه اعترف بجميع ما قلته ، فكانكما بلسان واحد نطقاً ، وسأل في رجوعي إلى مستقرى بالأهواز ، فكانه لان فيه ليما ، سوى أنه أراد أن لا يكون ذلك على الفور بمفارقتي تلك الديار ، فانه اتفق في غضون ما نحن فيه موت ملك بغداد الذي هو أبو طاهر (١) وتأكدت رغبة أبي كاليجار في تملكها (ب) وكان ذلك شيئاً لا يكاد يبلغه إلا بنصرة الخليفة ورضائه وأمره ، فصار هذا الباب غلقاً في أمرى وسداً في وجه مرادى وأقامت في الحلة المذكورة نحو سبعة أشهر لا يتوجه لي عود إلى منزلي ، ولا قصد لموضع آخر وأخذني ضيق الصدر بحقه ، وجعلت في نفسي أن أقوم وجهاً واحداً وأرجع إلى الأهواز رجوع مستسلم للقضاء ، وأشعرت منصور ابن الحسين بما عقدت عليه عزمي ، فلا أدري أهو الذي طالع به أم غيره ، فاذا أنا بكتاب بعد كتاب يرد من الملك ويعرض علي ، مترجم به إلى منصور بن الحسين مضمونه ؛ إنك من الشفقة على ملكنا ودولتنا بحيث لا تعتمد لأحد هودة فيه ، وترى مراعاة زمامنا في هذا الباب أمس مراعاة زمام كل نزيل عليك ، ومستند إليك ، وقد عرفت صورة أبي فلان أحسن الله توفيقه وأنا كل يوم في صداع من جهة الديلم باحتجاجات باطلة يتشبهون بها ظاهراً وهو مغزاهم وغرضهم منها باطناً ، ثم أنه قامت رغبتنا في بغداد وامتلاكها وليس يكاد يتم الغرض فيه إلا بالمجلس الخلفي الامامي ، وإذا استقر به العلم أن

(١) في د : سرك . — (ب) في د : تملكهما .

(١) الأمير جلال الدولة بن بهاء الدولة فيروز بن عضد الدولة بويه بن ركن الدين الحسن ولد سنة ٣٨٣ ومات في شعبان سنة ٤٣٥ (ابن الاثير ج ٩ ص ٣٥٢ ومختصر الدولة ص ٣٢٠ ولكن الذي في النجوم ج ٥ ص ٣٧ أنه توفي في شعبان سنة ٤٣٦) .

هذا الانسان مقيم بفناء حضرتنا على جملته كان ذلك ردماً في وجه ما نؤثر بلوغه ، وحاجزاً بيننا وبينه ، وقد انتهى إلينا أنه على معاودة الأهواز ، فالله الله أن توجده سبيلاً إلى ذلك فانه إن عاود وقعت فتنة نصلي بنارها صلوا .

المؤيد في طريقه الى مصر

و كنت مترجماً بين أن لا أحفل بهذه الكتب وأعود ظاهراً أو خفياً ، إذ ورد الخبر بما كان حمل من الحضرة العالية النبوية من الخلع والألقاب إلى قرواش (١) فكان سبق ذلك بسنة أو سنتين من حشو أقوال المنجمين أن القرآن العظيم الكائن في تلك السنتين يقتضى أن تزول دولة بني العباس وتنتقل إلى آل أبي طالب كتنقلها من بني أمية إلى بني العباس ، ما قامت في نفسى أمارته لمصدوقة قولهم بخبر قرواش وخلعه ، وقلت لم لا أنهض وأزور المشهدين بالكوفة والحيرة صلوات الله على ساكنيهما ، فأتعجل سعادة بذلك وأبلغ إلى قرواش وأشهد الحال عنده ، فلئن كان مأموراً بشئ يفعل فأنى أقع منه موقع المرهم من الجرح ، فبنيت على المسير أمرى واستدعيت من الأمير منصور من الفرسان الجياد من وصل جناحى إلى أن حصلت في حلة ابن مزيد (٢) وأخذت منها (١) صوب الزيارة وشفيت صدرى منها ثم تقرت إلى قرواش فرأيت منحوساً مطموساً لا يسلك في شعب مما كنت أرجوه فيه من الخير وكان يتصل إلى الخليفة من اشتاله على تلك الخلع وتقذ إليه من عنده من سود (ب) الشعار التي هي كصحيفته (ج) ما جعله كفارة لذنوبه ، ولما حصلت هناك وجدتني منعت (د) عن ديارى ، وبقيت بين الباب والدار ولم أجد وجهاً دون التبليغ إلى الحضرة النبوية ، ولو سهل الله جل اسمه وصبرت بالموصل تمام سنة لكان رجوعى إلى مستقرى متيسراً ممكناً بما جاءت به المقادير التي أجاب الله تعالى فيها دعوة أمير المؤمنين على بن أبي طالب

(١) في د : منه . - (ب) في د : سواد .

(ج) في د : كصحيفه . - (د) في د : امعنت .

(١) هو أبو المنيع قرواش بن المقلد أمير بني عقيل وكان الخليفة الحاكم الفاطمى أول من استاله فخطب له ببلاده ثم رجع عن ذلك ولقبه الخليفة القادر العباسى بمعتمد الدولة ثم عاد فدعا للفاطميين وتوفى سنة ٤٤٢ هـ (النجوم ج ٥ ص ٤٩ . تاريخ مختصر الدول ص ٣١١) .
(٢) في معجم البلدان : حلة دبس بن مزيد في أرض بابل .

بهلاك من ظلمنى وقصدنى ، وذلك أننى بعد الاستقرار بالحضرة النبوية بمديدة قريبة سمعت من شرح ما رساهم الله سبحانه وله الحمد به من سهم الخوف والختوف مما هو عبرة لذوى الأبصار ، وعظة لمن سار سيرتهم من الأشرار ، وهو أن أبا كاليبجار أتى من مأسه ومكان أنسه وسكونه فقام عليه أقرب الناس إليه وأجلهم منزلة لديه أستاذ كان يسمى «سعاده (١)» باتفاق من بعض حرم الرجل الذى هو أبو كاليبجار وحظاياه ومشاورة لندمائيه المختلطين (ب) به أن يسقوه سقية ليستريحوا من مقاساته ويجلسوا أحد أولاده الصغار ممن لا يجرح بناب ولا ظفر ليكون اسم الملك له وجسمه لهؤلاء ويعيشوا (ج) كيف أحبوا ، وكنت فى مقامى بين ظهرانيتهم أتلوح (د) بما هم عليه لائحة وأشم منه رائحة ، وكان تمام الأمر بعد خروجى ، لأنه ما كان استنفد أكله وبقيت له بقية يسيرة من العمر فم عليهم بما هم فيه صبي أستاذ أبيض اسمه « مشرق » إن القوم يأتمرون بك ليقتلوك فارتجف من هذا ، وفتح عينيه لأخذ البرى بالسقيم والغث بالسمين حتى كشف الغطاء ، فأخذ سعادة المقدم ذكره الذى كان روحه كروحه ، فقتله قتلا لم يسمع بأصعب منه ، فيوما قطع أنفه ، ويوما قلع عينه . ويوما كوى جسده بالمكاوى حتى تبرم المعاقب بكثرة ما كان يعاقبه فضلا عن المعاقب ، وبلغنى أنه صلب على جذع خنقا ، فحين أدنى من الجذع كان كمن لاقى الفرج ، فخر الحبل بيده مسرعاً ورماه فى حلقومه حتى اختنق ، وألحقه الله تعالى بعمله فلقد كان عدة الظالمين فيما بلغوه من ظلمى ، وعكف على الباقين فمنهم من أخذ لنفسه وهرب ، ومنهم من أخذته نقمته وغلبت عليهم جميعاً الشقوة بحمد الله ومنه حتى لم يبق أحد خدشنى منهم خدشة بقول أو فعل إلا وقد نكل الله به ، وأذاقه وبال أمره فضلا منه ورحمة ، وإجابة لدعوة أمير المؤمنين على عليه السلام مما كان رآه الرأى فى منامه ، وما كنت استغثت به لدى الحصول على شفير قبره (١) وتمريغى الخد فى ضريحه عليه السلام ، فقام بذلك علم معجز له عليه السلام ، يتحدث به إلى آخر الدهر فى ديار فارس ، فلما بلغنى خبر هذه الحوادث علمت أننى لو كنت بالقرب لما عدت عودة جميلة تسر الولى وتكبت العدو ، ولكن السهم مرق وحصلت بالعدوة القصوى ، فعند ذلك كتبت إلى حضرة الملك كتابا بالدعاء والثناء حسب ما يكتب إلى الموالى

(١) فى د : سقادة . - (ب) فى د : الخلطين .

(ج) فى د : يعيشوا . - (د) فى د : الوح .

(١) انظر القصيدة الخامسة والأربعين من ديوان المؤيد داعى الدعاة التى استغاث فيها بقبر على ابن أبى طالب ودعا على أعدائه الذين أخرجوه من دياره .

والأصحاب ، وعرفت من فحوى الجواب وغيره من البلاغات الصادقة أنه كان على أن يبدأنى (أ) بالمكاتبة ويرسل إلى رسولا قاصداً ، فلما ورد كتابى عليه كان كمن نشد ضالته رحمه الله فاستحضر رسولى وكله من الكلام الجميل بما ذكرنى به عهد مودته وعفى موقع حسنته معه على أثر سيئته وأجاب عن كتابى بما هذه نسخته :

خطاب أبى طليجار الى المؤيد

العنوان «لشيخنا وظهيرنا ومعتمدنا ، المؤيد فى الدين عصمة أمير المؤمنين أبى نصر (ب) أطال الله بقاءه وأدام عزه وتأييده وسعادته وكفايته» وتمهيد «من شاهنشاه المعظم ملك الملوك محيى دين الله ، وغياث عباد الله ، وقسيم خليفة الله ، أبى كاليجار سلطان الدولة معز أمير المؤمنين» قد كان لقبه الخليفة شاهنشاه المعظم عماد دين الله وغياث عباد الله ويمين خليفة الله فلما كانت منه الكائنة فى أمرى قربة إليه جعله محيى دين الله وأخواته مما هو مكتوب فى العنوان — مضمون الكتاب .

بسم الله الرحمن الرحيم . أطال الله بقاءك يا شيخنا وظهيرنا ومعتمدنا المؤيد فى الدين عصمة أمير المؤمنين ، وأدام عزك وتأييدك وسعادتك وأتم نعمته عليك ، وزاد فى إحسانه إليك ، وفضله عندك وجميل مواهبه وسنى فوائده وجزيل منحه وقسمه لديك . كتابنا إليك أدام الله تمهيدك من شيراز يوم الجمعة رابع شوال عن سلامة ومزيد عز وقدرة ، والحمد لله وحده وصلواته على النبى محمد وعترته الطاهرين . ووصل كتابك وفهمناه واستوعبنا مودعه وتصورناه ، وعرفنا ما ذكرته من أنك مع تقلب الأحوال بك ، وتنقلها على الاخلاص المألوف منك فى خدمتنا مستقيم وللدعاء لأيامنا مقيم ، ووثقنا به ، ولم يتخالطنا شك فيه ، وتبركنا بما أوردته من الأدعية ، وتحققنا صدوره عن خلوص العقيدة والنية ، ووجدنا بمعرفة خبرك فى وصولك سالماً إلى مقصدك أنساً يقتضيه جميل رأينا فيك ، ورعايتنا لأواصرك (ج) ودواعيك ؛ فأما ما كتبت به من أنك لما مثلت بتلك الحضرة الشريفة حرس الله عزها ، وبدأت بوصف ما عرفته من خلوص سريرتنا فى محبتها ، وتمسكنا بشرائط مودتها ، وثبتت (د) بذكر ما شملك من حسن ملاحظاتنا فى أثناء تلك الأسباب التى جرت فاحتجت فى دفع غائلتها والتوقى من عاديتها إلى مفارقة مكانك ، والتثنائى عن أوطانك فقد

(أ) فى د : يسدينى . — (ب) فى ك : أبى النصر .

(ج) فى د : أوامرك . — (د) فى د : تثبتت .

علمناه ، ووجدنا ما أتيت به في اطلاع تلك الحضرة الشريفة على كنه اعتقادنا في مصافاتها
مصدقاً لحسن الخيلة فيك ، وجميل الظن بك ، واعتدنا بهذه القرية الطارفة (١) التي
أكدت بها زلفك السالفة ، وازددنا استبصاراً برجاحتك ، وتمثلاً بجزالتك ، وحرصاً على
اختصاصك بصنوف الأنعام الغمر وتوفير قسمك من الاحسان الدثر ، ولاشك في أنك تتذكر
ما كنت تبذله عند كونك بحضرتنا من التوصل إلى تمهيد المودة بيننا وبين تلك الجهة المحروسة
والتطريق إلى أن تأتينا منها في الفينة بعد الفينة الكتب والرسائل التي بها يستحكم
الوداد ، وبمكانها يبدو خلوص الاعتقاد ، ومع ما اتفق من حصولك بذلك المكان
وابتدائك بما ابتدأت به في هذا الباب ، فيجب أن تحقق ما كنت تبذله ، وتصور لتلك
الحضرة الشريفة ، دامت بالعز مكنوفة ، ما اطلعت عليه من شواهد صفاء عقيدتنا في
مخالصتها ، وإيثارنا انتظام شمل سعادتها واستقامة أمور مملكتها ، وتعلمها أن هؤلاء
التركان المسؤولين على أعمال خراسان والرى لا يقصر خطاهم عن بلادها المحروسة
إلا ثبات عساكرنا المنصورة في وجوههم ، وانصراف هممنا إلى قمعهم وفل غربهم ،
وبذلنا الأموال في كف عاديتهم ، وانتداب جيوشنا الموفورة لمقارعتهم ، أين نجحوا وأين
نبغوا ، ولولا أننا ضربنا بينهم وبين تلك المملكة المحروسة بالاسداد ، وتجردنا لمناعتهم التي
هي أكثر جهادنا لما سلمت أكنافها من عوادي طغيانهم ، ولأضمرت فيها نيران غيهم
وعدوانهم ، وأنهم لا يتجسرون إلا على حصولنا كالسد بينهم وبينها ، ولا يتمنون إلا أن
يتسهل لهم السبيل إلى قصدها ، ولن يتم لهم باذن الله هذا المرام ، ولا تسعفهم به
الأيام ، فأننا متجردون للانقضاض عليهم متى تجاوزوا حدود أعمالهم قيس شبر ، وعازمون
على تلقيهم إن ساقهم حينهم إلى حيث تلى ممالكنا بقاصمة الظهر ، ولتتيقن - حرس الله
نعمتها - أن لها من الانتفاع بمودتنا الحظ الأوفى والقسم الأوفر الأسنى ؛ ومع ذلك فقد
حدث هؤلاء الأشرار نفوسهم بقصد الموصول على طريق أذريبجان ، وإن تم لهم ذلك لم
يؤمن من استعارة نيران الفتن من جهتهم في أكناف تلك المملكة ؛ وأما ما أنهيته من
شرح ما صادفته هناك من الانعام وضروب الافضال والاحسان ، فقد علمناه وكل ما تخص
به من حباً (١) وتخويل ، ونزل إليك من بر جزيل ، فانه دون ما تستوجب ، وقاصر
عما تستحقه ، ولقد أنسنا بمعرفة هذه الجملة عن خبرك ، وحمدناك على انبهاك إياها ونريد

(١) في د : المطروقة .

(١) الحبا : جليس الملك وخاصته .

أن تزيد في شرح حالك وصورتك ، ومجارى أمرك ، فاننا نؤثر معرفة ذلك (وبعد) فأنت تعلم وفور أنسنا كان يقربك ، وأننا ما أخليناك عند جرى تلك الأسباب من الملاحظة الجميلة التي كفتك غوائل من كانوا يقصدونك ، ولولا أن الصلاح لك كان في ذلك مفارقة هذه البلاد ، لما قنعنا منك بهذا البعاد ، ونحن الآن مؤثرون اقترابك ، ومتربون إياك ، إلا أنه لا يجوز أن تفارق تلك الحضرة الشريفة بعد تحملك في التبليغ إليها المشقة الكثيرة التي حصلت لك بازائها من مشولك بها ، وتمكينك من أحكام مباني (١) المودة بيننا وبينها أكثر فائدة وأسنى غنيمة إلا بعد أن تقرر معها قاعدة لا ثقة بمودتنا ، وتتوصل إلى أن ينفذ منها إلينا قبل مجيئك كتاب نستدل به على ما سعت فيه من هذا الباب ، وكنا نؤثر منذ زمان طويل مكاتبتك بهذه الجملة ، ولما ورد من جهتك موصل هذا الجواب وعلمنا أنه ثقة مسكون إليه ، أصبحناه هذه المخاطبة ، وحرصنا على أن نشفعها بكتاب إلى تلك الحضرة الشريفة — حرس الله عزها — إلا أننا توقفنا عن إمضاء الرأى في إصداره إيثارا لأن يكون ذلك بعد أن تشير (ب) به ، وإذا فرغت من هذا المهم الذي عولنا فيه عليك ، وعدت إلى هذه الديار صادفت عندنا من الاتحاف والانعام أفضل ما تريده ، واسنى ما تبغيه وتريفه ، فرأيت أدام الله تمهيدك في الوقوف على ما كتبناه ، وتصوره واعتماد ما حددناه ، ومكاتبة حضرتنا في الجواب بكتابك فيه وباخبارك وأحوالك وما تراعيه من تلقائك موقفا إن شاء الله تعالى .

ثم أنه مكث غير بعيد حتى توجه إلى بلاد كرمان لما يحوزه من جانب خليفة (١) كان له بها ذكر أنه تمنع عليه . واعتصم بقلعة يقال لها قلعة «يزدشير» (ج) عنه فقطع مصانعه وحاسر من جهته ما أمكنه ، وقام يرجع إلى بلاد فارس فقيل إنه عرض له في طريقه عارض الخناق فجأة ففضى عليه ، وقيل بل كانت السقية على جملتها معدودة له فاسقيها (د) فتراكضت خيل المنية إليه (٢) والله تعالى أعلم بما كان منه رحمه الله . فهذه قصته وقصتي وحديثي معه .

(١) سقطت في ك . — (ب) في د : تسير .

(ج) في ك : يزد شيراز وفي (ابن الأثير ج ٩ ص ٣٧٣) [برد سير] . — (د) في د : فاسقاها .

(١) ذلك الخليفة الذي ذكره المؤيد هنا هو بهرام بن لشكرستان الديلمي (ابن الأثير ج ٩ ص ٣٧٣) .
(٢) رواية ابن الأثير أن بي كاليجار لما سار لقتال بهرام بن لشكرستان بلغ قصر مجاشع فوجد في حلقه خشونه فلم يبال بها وشرب وتصيد وأكل من كبد غزال شوى واشتدت علته ولحقه حمى وضعف عن الركوب ولم يمكنه المقام لعدم الميرة بذلك المنزل فحمل في محفته على أعناق الرجال إلى مدينة جناب فتوفي بها سنة ٤٤ هـ (ابن الأثير ج ٩ ص ٣٧٣) .

ولما حصلت بالحضرة الشريفة على النصبة المقدم ذكرها كنت استصحبته إليها من البضاعة ما كانت تحدثني نفسي أنني به أفلح ، وبه يكون توجهي وتقدمي ، ومنه أظأ فوق النجوم بقدمي لكون متجري فيها ربيعاً ، وسعي نجيحاً ، وكوني بالفضل معها مبرزاً ، وعن كل قرن متميزاً ، فكشف لي الزمان عن كون البضاعة التي كان رجائي فيها هذا الرجاء باثرة كاسدة مسترذلة مستذلة ، فسقط في يدي وعمي على طريق رشدي ، وقلت الآن ضل السعي وخاب الأمل ، وبطل المعتمد عليه والمتكل ، وألجأتني الضرورة إلى غيرها من بضاعة مزجاة ما كنت أعتدتها طول دهرى ، إذ كان حظي منها كحظ غيرى ، فلولا أنها تقوم بي وتريش قليلاً سهمى ، لما قامت لي راية في مجامع الناس ، ولتلاعبت بي أيدي الأوضاع منهم والחסاس ، فأنا أسأل الله تعالى بمحمد صلى الله عليه وآله جميل (١) العقبى والتوفيق بخير الآخرة والأولى برحمته ، ونختم القول بالحمد لله رب العالمين والصلاة على صفوته من خلقه محمد وآله الطاهرين وهو حسبنا ونعم الوكيل .

(١) ك : حميد .

المؤيد في مصر

بسم الله الرحمن الرحيم (وبه نستعين) . وصل كتابك يا أخى أطل الله بقاءك تترقى
لى عن محن تشرق معى إن شرفت ، وتغرب إن غربت ، وتصعد بصحبتي إن صعدت ،
وتصوب إن صوبت ، فأنا أينما استقر بي القرار أمارس منها ما لا قرار على قليل من كثيره ،
ولا اضطبار على جزء من أجزائه ، وتذكر ما بلغك (أ) من دفع الزمان لى فى البقعة التى
خلتها مثابتي وأمنى ، إلى ما ذاب فيه جسمي (ب) ووهن عظمي ، وأنا متحمل على الفؤاد
من الألم ثقلاً ثقيلاً ، من شر أقسامه كون لسان الشكوى عنه معقولا .

وتسأل (عن شرح أحوالى لك ما أجد به خفياً عن قلبي وتنقيساً لبعض (ج) كربي ،
إذ كنت من أوفر الناس بى برأ ، وأصونهم لى سرأ ، ولك فى المروة المقام المشهود الذى
لا ينكر ، فلا أخاف منك انتشار الحديث وحظك فى ستره أوفر ؛ فأعلمك يا أخى — روح الله
سرك ولقاك فى الدارين ما سرك — أننى بعد مقاسات الأهوال التى رأيتها عياناً ، واستوفت
قراءتك لكتابتها مضموناً وعنواناً ، بلغت بشق النفس الباب الطاهر ، مترجماً بين أسل
ويأس ، ومتعقباً (د) لللقى ما يلقانى من طرقي إيجاش وإيناس ، فأما الأمل فمن جهة خدمة
ما خدم مثلها غيرى ، حدانى فى حاديها ، ونادانى بالأهل والمرحب مناديها ؛ وأما اليأس فمن
حيث علمت أن المقصود شمس توارت بالحجاب ، ووجه نهار (هـ) تبرقع بالسحاب (١) وأن
المسافة لعلها تقذفنى من الاضاعة فى يم ، وتؤدبني من حيث أردت غنا إلى غرم ، فكنت
أناجى طول الطريق صبحي وقومي ، وأقول لهم : يا قومنا تعلمون أننا فى برية من الأمل
لا نعلم أتفضى بنا إلى عمارة التحقيق أم خراب اليأس ، فان حصلنا على العمارة عشنا
وعشتم (و) ، وإن حصلنا على الخراب فليتخذ كل منكم للخلاص بنفسه بوجه من وجوه
المكاسب مطياً ، وليأخذ فى طلب معيشته صراطاً سوياً ، فلست بالرجل الذى يقف لصالح

(أ) فى ك : بلغت . — (ب) فى د : جسمى (والجشم : السمن) .

(ج) سقطت هذه الجملة من : د . — (د) فى د : متعبياً لللقى .

(هـ) فى د : نهارها . — (و) فى ك : عشتم وعشنا .

(١) يقصد بذلك أن السلطة الفعلية فى البلاد لم تكن فى يد إمامه المستنصر بالله ، إنما كان محجوراً
عليه من أمه ورجالها الذين كان إليهم الأمر كله فسلبوا من المستنصر كل شئ سوى الخطبة ، ولم يشأ
المؤيد أن يصرح بذلك تأديباً منه فى حديثه عن إمامه .

حالكهم على الأبواب ، ولا من يلبس لبوس الطمع فيكنى عن العبدان بالأرباب . حتى إذا (١) كشفت عن مقصدنا ستور القفار ، وأنخنا به فألقينا عصا التسيار ، أدخلوني من باب القاهرة المعزية إلى قصر الخلافة — عمره الله تعالى — فاستلمت على جارى العادة فى مثله الأبواب (ولحمت الثريا تراباً تحت قدمي) (ب) إذ ترشفت ذاك التراب ، وأجلسوني هنيئة لأفيق من غشية الهيبة التى ملأت جوانحي لما غشيت المسرة بمشاهدة ذلك المقام قلبى وجوارحى ، ثم أدخلوني إلى الوزير المعروف كان بالفلاحى (١) رحمه الله فرأيت شيخاً عليه من الوقار مبهمة ، ومن الانسانية سمة ، فأدنى وقرب وأكرم ورحب ، وخرجت فأخذوني إلى دويرة كانت فرشت لى هى من الكرامة فى الدرجة الوسطى من الحال ، لا بالاكثار ولا بالاقلال .

✓ المؤبر والفسرى

✓ وقيل إن ها هنا يهودياً يكنى أبا سعد التستري (٢) — يحل منه الوزير الذى دخلت عليه محل اللفظ من المعنى ، وهو لأشور هذه المملكة كلها الأساس والمبنى — فاجعل غداة غد نوبة لقائه ؛ فتوجهت إليه فى غد على ما مثل لى ، فرأيت منه اهتزازاً لرؤيتى واهتزازاً ، واحتاشنى وفور قبوله وحفاوته احتياشاً ، وخرجت من عنده بثياب ودنانير خرجت لى من خزانة السلطان — خلد الله ملكه — على يده . وتوجهت بعد ذلك إلى الموسوم بالقضاء والدعوة ، الذى كان باب حطتنا (٣) ونحن بالبعد ، والواسطة بيننا وبين

(١) فى د : اذن . — (ب) فى ك : لحمت الهتريا تحت ترات قدمي .

(١) هو الوزير فخر الملك صدقة بن يوسف الفلاحى قتل سنة ٤٤ هـ ، وكان أول أمره يهودياً فأسلم واتصل بالدزبرى قائد الفاطميين بالشام وخدمه ثم خافه فعاد إلى مصر وخدم الجرجائى فلما توفى هذا استوزر المستنصر الفلاحى ثم قتله (راجع النجوم الزاهرة ج ٥ فى مواضع متفرقة) .

(٢) أبو سعد سهل بن هرون التستري كان تاجراً يهودياً وكان مولى ام المستنصر الفاطمى ، وهى أمة سوداء اشتراها الظاهر واستولدها المستنصر ، فلما أفضت الخلافة إليه استدنت أمه أبا سعدورقته إلى درجة عليا وصار هو المتصرف فى شئون البلاد وأصبح الوزير الفلاحى يأتمر بأمره (خطط المقرئ ج ٢ ص ١٧٠) ثم قتله الفلاحى سنة ٤٣٩ هـ .

(٣) باب حطة اصطلاح فاطمى أخذ من قوله تعالى : « وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة » (سورة ١٦١/٧) ، والتأويل الباطن فى باب حطة أنه باب الدعوة أى باب الأبواب أو داعى الدعاة .

مجلس الاسامة ، وهو يومئذ القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان^(١) رحمه الله وإيانا ، فرأيت رجلاً يصول بلسان نسبه في الصناعة التي وسم بها دون لسان سببه ، فارغاً مثل فؤاد أم موسى عليه السلام ، وفيه جنون يلوح من حركاته وسكناته ، وهو مع ذلك سوتور منى بما أوحى إليه بعض شياطين الانس من أننى ربما زاحته في مكانته ، بما لى من تنبه في الأمر الذى هو في غمرة منه مع توسمه وانتحاله له . ولما كان في يوم تأديته ، وقد حضر القصر الشريف ، ورأيت استوى على كرسيه لقراءة ما يقرأه على المؤمنين ، ذكرت قول الله تعالى حكاية عن الهدهد «إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم^(٢)» وكان له خليفة يدعى ابن عبدون أشقر أزرق ، وكلاهما مشغل من مغرم العداوة لى والايثار لنفصى من ذلك المكان ، وأعانهما قوم آخرون ممن جمعتنى وإياهم البليدة وصحبة الآباء فكفروا النعمة ، وتظاهروا على ، فلم يغن عنهم شيئاً ، ولم يجدوا إلى إبعادى طريقاً .

وكان اليهودى المكنى أبا سعد يلقانى بكل يوم ببشر وجهه ، ويخاطبنى بكل خير لسانه ، ويعدننى أنه يصطنعنى لسلطانه — خلد الله ملكه — ويجعلنى برسم خدمته ومصاحبته ومكانته ، ويمنعنى أن أتعقب باب أحد من المصطنعة والأكابر ، فيكون ذلك وكسا على^٣ فيما يريدنى له ، ويشوقنى (أ) إليه من المنزلة الجليلة ؛ فلما استفاض هذا الذكر من جهته ، وملاء الأسماع (ب) من لفظه ، قامت الحسدة من الشياطين المردة ، فدخلوا في عقل اليهودى وقالوا : كيف تطوع لك نفسك أن تأخذ بهذا (ج) الرجل العجمى الدخيل (د) إلى المقام الذى أنت مخصوص به ومرتب له ، وما يؤمنك أنك إذا أدخلته أخرجك ، وإذا قدمته أخرك ، وهو أبسط منك لسانا ، وأقوى جنانا ، وهو يدل بعزة (هـ) الاسلام والتخصيص بالدعوة والخدمة ، وفيك على العلل كلها خمول اليهودية . ولم ينزل هذا الحديث يتوارد على سمعه حتى تشربه قلبه ، واستولى على حواسه سكره ،

(١) فى ك : يسوقى . — (ب) فى د : وملاء الأسماع سماعة من لفظه . — (ج) فى ك : هذا .
(د) سقطت فى ك . — (هـ) فى د : بعزم .

(١) هو أبو محمد القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن أبى حنيفة النعمان أحد أفراد أسرة النعمان بن محمد قاضى قضاة المعز لدين الله الفاطمى وأكثر أفراد هذه الأسرة من الذين تولوا القضاء أو الدعوة كما كان لهم شأن عظيم فى الحركة الفكرية فى مصر لما ألفه أفراد هذه الأسرة من الكتب فى المذهب الفاطمى (راجع : كتاب الأدب فى مصر الفاطمية ، وكتاب القضاة للسكندى ، ومقدمة كتاب الهمة) .
(٢) سورة النمل ٢٧/٢٣ .

فأريت الرجل منقلبا عينه ، مغموضة عن حسن الملاحظة عينه ، ملفتا دوني وجهه ، مغلولة إلى عنقه يده ؛ ووجدتني حصلت على رزق مقتر ، وعيش بنقصان الجاه مكدر .

فلم أزل أحمل (أ) على قلبي من الهم ما حدث من نتيجته ، أننى أحسست ليلة من ليالى شهر رمضان كنت أفطر فيها عند الفلاحى رحمه الله ، كأن قلبي قامت منه نار ففارت على أم رأسى ، وأصابتنى غشية ، فقطعت على الجماعة الأكل ، وشغلت منهم القلوب ؛ ولما كانت الصورة هذه توجهت إلى اليهودى ، وقلت : قد تشرفت بالمهاجرة ، وفزت بحظ سعادتي الدنيا والآخرة ، وما بقى فى محتمل لمقام ، وما لى غير اعتزام المسير من اعتزام ؛ فظن اليهودى أننى أقول ذلك وجهاً من وجوه المجاز ، التى ينفق فيها الناس المستزيدون نفوسهم ويستصلحون معها شئونهم ، دون الرجل الذى إذا هم بالشئ كان تبعاً (ب) لما همه ، وملقياً بين عينيه عزمه ، فقال متداهياً على ما يزيد به كسرى ، وإظهار الغنى عنى : « إذا كان المسير قد قام فى نفسك ، وتعلق عليه قلبك ، فما هأ هنا من يصدك عما تريده ، ويردك عما ترتاده ، والمكاتبات تصدر إلى آخر الأعمال بتنفيذك وإحسان إجارتك » ، فقابلت هذا الكلام بشكر وقوة وعزم فى التوجه حرم على دون التصميم عليه المراضع من أكل وشرب وهدوء ونوم ، وجردت لهذا الباب ، فلما رآنى شاداً فيه على خيل الجد والاجتهاد ، وجامعاً لاشتات الاعداد والاحتشاد ، عاد من طريق المياسرة إلى المعاسرة وقال : لعلك تظن أن طريقاً أوردك يصدرك ، أو كفاً قبضت عليك تنبسط عنك ، ذلك رجع بعيد . فما ردنى الكلام عن أن أدقه بالرقاع على المغيب دقا ، وأسحقه باللزاز فى المشهد سحقاً ، أطلب المفاللة ، فطال الشوط فى هذا الباب حتى أبرمته ، وكان من جملة ماجرى فى هذا الميدان من المحاملة ، التى تكاد تخرق ستر المحاملة ، أنه ركب إلى البستان بالقاهرة — يعرف بالسقاية البيضاء — وكنت فى جملة من كان فى موكبهم وكنت من ليلة صبيحة يوم ركوبه كتبت إليه رقعة أسعطته فيها بثقيف الخلل ، ودسست إليه فيها نقيع السم ، فحين دخل البستان أمر برد الناس كلهم ، ونفضهم عن بابه غيرى ، ووقفت إلى أن أذن لى فدخلت فقال : أيها الرجل قد سددت فى وجهى دون تدبير قصتك الطرائق ، وأوطأتني مداحض التخبيط والمزالق ، فما هذا اللجاج الذى استويت على عرشه ، واستوطأت لفرشه . فقلت : أيها الشيخ ، أعلم أنه ما مجتنى ديارى من فمها إلا تكشفها بخدمة هذه الدولة العلوية ، وتحوقاً من الجهة العباسية ، وتسلا من فتنة كاد شرها يهلكنى ، وغرقها يدركنى ، لا أننى لسعت بحمم الاملاق ، فأويت إلى درياق الانتفاع .

والارتفاق ، فما الداعى إلى قصدى هذا غير داعى الايمان ، وما المقصود إلا صاحب القصر (١) الذى هو إمام الزمان ، دون الوزراء والوسائط والأعوان ، فان كان هذا المقصود يعلم أننى أنا الرجل الذى فيه أخرجنا من ديارنا وأبنائنا كما قال الله تعالى وهو يأنف (ب) على من لقائه بلحظه ، ومن خطابه فيما يشرح الصدر بلفظه ، فبختنصر أولى بأن يقام فى خدمته على ساق ، وأوقع منه من مواقع استحقاق ، وإن كان لوجهه إلى التفاتة غير أن عنده وجهها عنى يلفته ، وللسانه معى مخاطبة سوى أن له مسكتا عن خطابي يسكته ، فلا خير فى المقام على باب من يكون محجوراً عليه ، ويكون مقاليد أموره بيدي غيره لا يديه . فلما سمع اليهودى القول ، وأننى كشفت من الأمور مستوراً ، هاج كما يهيج الجمل نفوراً ؛ ثم لم يزل دأبى ودأبه المحاككة والمعاركة والاحراق به فى مجالسه ومساكبه ، والخفض فى الأندية والمحافل من مناكبه زماناً طويلاً ، حتى اتفق من قتله على أيدي طائفة من الأتراك ما اتفق ، وقالوا — والله أعلم بصدقه — إن الفلاحى رحمه الله دس من قتله (١) إذ كان مسيطراً عليه ليسومه أن يكون ما أصاب الناس من حسنة فممه ، وما أصابهم من سيئة فعلى يديه . وظن المسكين أن فى فنائه بقاءه ، فأخلف ظنه (ج) ، وكان أول من ألحق به ، وذلك أن بعض الجهات الجلييلة التى كان اليهودى مرتسماً بخدمتها (٢) فى الظاهر ، وإن كان مستولياً على المملكة كلها فى الباطن ، نقتت هذه الرخصة فيه من الفلاحى ، وثبتت على أن تقتاد منه ، وكان للمقتول نساء يدخلن إليها فيذكين نار الحرارة ، وينمين زرع الحقد والضغينة ، وتلك الجهة الجلييلة تقدم رجلاً وتتأخر أخرى فيما تريد فعله .

المؤيد والوزير الفلاحى

والفلاحى مضروب على أذنه ، متغافل عن أمره ، ليس يحسب حساب ما هو واقع به ، بل هو يظن أن الزمان سلس انقياده ، وأوقى منه مراده ؛ فلما رأيت — وأنا فى خلال هذه الأحوال —

(١) فى د : العصر . — (ب) فى د : يأسف . — (ج) سقطت فى ك .

(١) فى نهاية الأرب للنويرى (مخطوط رقم ١٥٧٧ بالمسكبة الأهلية بباريس ورقة ٥٦) أن التستري قتل فى جمادى الأولى سنة ٤٣٧ هـ ، بينما أجمع المؤرخون على أنه قتل فى سنة ٤٣٩ هـ ، والمؤيد فى الدين يؤيد أنه قتل سنة ٤٣٩ هـ .

(٢) كان التستري يتولى ديوان والده المستنصر فالمؤيد هنا يشير إليها بقوله : بعض الجهات الجلييلة .

الظلمة اليهودية تجلت ، والأرض من عكرها وكدرها تخلت ، مددت باع طلي إلى لقاء السلطان خلد الله ملكه والتشفي بمشاهدة شريف طلعتة ، والتشرف بتقبيل يده المباركة ، ووجدت من الفلاحى رحمة الله عليه مسعداً ومساعداً ، ونحو مقصد بلوغ أسلى منه قاصداً ، فلم تزل الرسل تتردد على هذا الباب حتى فتح الله تعالى غلقه وكشف غسقه ، فدخلت إلى مجلس الخلافة في آخر يوم من شعبان سنة تسع وثلاثين وأربعمائة .

✓ المؤيد بحضرة المستنصر

وكنت في مسافة ما بين السقيفة الشريفة ، والمكان الذى ألمح فيه أنوار الطلعة الشريفة (١) النبوية ، كما قال المتنبي عن رسول الروم عند دخوله إلى ابن حمدان ، وإن كان بين الجهتين فرق ما بين التراب إلى السحاب :

وأقبل يمشى في البساط فما درى إلى البحر يمشى أم إلى البدر يرتقى

فلم تقع عيني عليه إلا وقد أخذتني الروعة ، وغلبتني العبرة ، وتمثل في نفسى أننى بين رسول الله وأمير المؤمنين صلى الله عليهما ماثل ، وبوجهى إلى وجهيهما مقابل ، واجتهدت عند وقوعى إلى الأرض ساجداً لولى السجود ومستحقه ، أن يشفعه لسانى بشفاعة حسنة بنطقه ، فوجدته (ب) بعجمة المهابة معقولا ، وعن مزية الخطابة معزولا ، ولما رفعت رأسى من السجود ، وجمعت على أثوابى للقعود ، رأيت بنانا يشير إلى بالقيام لبعض الحاضرين في ذلك المقام ، فقطب أمير المؤمنين — خلد الله ملكه — وجهه عليه زجرا ، على أننى ما رفعت به رأساً ولا جعلت له قدراً ، ومكثت بحضرته ساعة لا ينبعث لسانى بنطق ، ولا يهتدى لقول ، وكلما استطرد الحاضرون منى كلاماً ازددت إعجاباً ، ولعقبة العى اقتحاما وهو — خلد الله ملكه — يقول : « دعوه حتى يهدأ ويستأنس » ؛ ثم قمت وأخذت يده الكريمة فترشفتها وتركتها على عيني وصدرى وودعت وخرجت . فهذه قصتى في أول يوم . وعند خروجى من ذلك الموضع توجهت إلى الفلاحى رحمه الله فأفرشت له القصة وأوضحت له الصورة ، في لسان خاننى عند الحاجة إليه ، وشقتى بعدت على من حيث نزلت عن دابتي إلى حيث (ج) وردت عليه ، فقال : أما بعد الشقة فسيكفيكه ما أرتبه لك في هذه النبوة من القعود بباب المجلس الذى يكون منه المدخل إلى حضرة الخلافة حتى تأخذ

(١) سقطت في د . — (ب) في د : فوجدت . — (ج) ك : حين .

بحقك من الاستراحة قبل الدخول ، وأما الحشمة فتحل عقدها المكثرة والمباشطة ، ففعل
رحمه الله ورضى عنه ما وعد به ، وأسنى على موضع لا يأمن بعده الوالد ولده ، والأخ
أخاه ، والله يحسن عن حسن الثقة بي جزاءه .

وما زال الدخول مستمراً والأمر على النظام جارياً ، حتى انشقت الأرض عن قام سببا
لبواره ، وسلمنا إلى خمود ناره ، وهو الوزير اليازورى^(١) فابتدأني بالدفع عن ذلك المقام ،
وجعل الحجة فيه اختصاصى به ، وأن المختص به غير مأون جانبه والواجب أن تقطع
سوقه (١) ، ويمنع دخوله وخروجه لئلا يكون له في فساد ذات البين مضرب ، وفي
سوقه مضطرب ، فتشربت (ب) ماء سحره أفئدة ، وتمت فيما أرادته مكيدة

ولما كان بعد شهيرات قريية قبض على الفلاحى^(٢) قبضا ، قبض فيه بعد يومين بالسيف
روحه ، فقررت شقاشقه وذهبت ريحه ، فياضع الطالب والمطلوب ، ويا ذل الغالب والمغلوب .

المؤيد والوزير الجرجرائى

وولى الأمر المكنى أبا البركات^(٣) الذى كان عمه على بن أحمد الجرجرائى (ج) ^(٤) ،

(١) فى ك : السوق . - (ب) فى ك : فشربت . - (ج) فى د و ك : الجرجائى .

(١) هو أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازورى بن على عبد الرحمن عهد إليه بالوزارة فى السابع
من المحرم سنة ٤٤٢ هـ وقبض عليه المستنصر فى أول المحرم سنة ٤٥٥ هـ بتهمة مراسلته لطغرل بك السلجوقى
(ابن منجب) ؛ وفى ابن الاثير أن ذلك كان فى ذى الحجة سنة ٤٤٩ هـ وكان حنفى المذهب وابتدأ
أمره بالشهادة والقضاء وولى قضاء الرملة كما ذكر فى السيرة بعد ذلك .

(٢) قتل الفلاحى فى المحرم سنة ٤٤٤ هـ (ابن منجب ص ٣٧ و ٣٨) ، وفى خطط المقرئى ج ٢
ص ٢٨٠ أنه اعتقل فى خزانة البنود ودفن فيها .

(٣) هو أبو البركات الحسين بن محمد بن أحمد الجرجرائى .

(٤) أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائى وزير الظاهر وكان أقطع اليدين من المرفقين قطعهما الحاكم
فى شهر ربيع الآخر سنة ٤٤٤ هـ على باب القصر البحرى وحمل إلى داره ، وكان يتولى بعض الدواوين
فظهرت عليه خيانة قطع بسببها ، ثم ولى بعد ذلك ديوان النفقات سنة ٤٥٩ هـ ثم وزر للظاهر سنة
٤١٨ هـ بعد أن تنقل فى الخدم بالأرياف والصعيد ، وكان يكتب عنه العلامة القاضى أبو عبد الله
القضاعى ، وهو الذى يقول فيه الشاعر جاسوس الفلك :

يا أحقاً اسمع وقل ودع الرقاعة والتحامق

أأقمت نفسك فى الثقا ت وهبك فيما قلت صادق

فمن الأمانة والتقى قطعت يداك من المرافق

وتوفى سنة ٤٣٦ هـ بعد أن ظل فى الوزارة سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وثمانية عشر يوماً

[ابن خلكان ج ١ ص ٣٦٧ .]

واليازورى الذى هو الوزير اليوم ولّى اختياره ، وهو إذ ذاك فى منصب أبى سعد اليهودى ، ومقر خدمته ، وقد كان من قصته أنه كان قاضى الرملة فعزله عنها ابن النعمان رضى الله عنه المقدم ذكره ، وورد مصر متضرّبا فى حال عودته إلى عمله الذى به ثباته فى نيابته ووطنه ، فاتفق فى أثناء وروده على أبى سعد ما اتفق ، فوجلت قلوب الكتاب المصريين أن يطلبوا العمل الذى كان إليه خيفة أن يجرى عليهم مثل ما جرى عليه ، وركب هو فى سفينة الغرر بخطبة المكان ، لكونه مصروفاً عن عمله متزلزل الأركان ، فأسعده من ريح السعادة ما أقلع به ، فانتهى إلى حيث لم يترك وهمه لتأمله فضلا عن طلبه . ونعود إلى حديث أبى البركات فكانت نصبة الوزير اليازورى مع أبى البركات نصبة اليهودى مع الفلاحى ، وكان ذلك أضيق عطناً من أن يصبر صبر الفلاحى ، فما لبس خلع الوزارة حتى دب بينهما ديب الشر ، وانفسدت الحال بينهما فتجاوزت إلى الجهر من بعد الستر ، ولم تزل الأيام تتعاهد مزارع العداوة بينهما بالسقى ، حتى صار حبا حصيداً ، وسببها وكيداً ، وكانت عين أبى البركات لا تكاد تنفتح على عداوة لى لو لم يحضنى الفلاحى صداقته ، فكنت إذا حضرت مجلسه ألمح منه ظاهراً بفساد باطنه يخبر ، كما قال الله تعالى : « قد بدت لبغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر » (١) . ولما رأيت جانب القبول منه ممنوعاً ، غدوت لجانب الدخول إليه والسلام عليه إلا فى السواد مانعاً ، فحين رأتى أعارضه كيلاً بكيلى ووزناً بوزن ، صار مجاز عداوته تحقيقاً ، وهزلها جدّاً ، حتى كان يوم من الأيام اعترض بأصحاب لأبى على (٢) ابن ملك بغداد كاد ليقبض عليهم ، عن سبب اتخذ الحجة فى مد باعه إليهم ، ففرغ أبو على إلى فى كفاية الخطب ، وكشف الملم به من الكرب ، فلم أجد مخطئ طرف ومسمى طرف فيما يحل العقدة غير أن قصدت بعض المصطنعة اسمه صابر ويلقب بوجيه الدولة وقلت له : إنك قد عودت هذا الصبى الذى هو من نسل الملوك الصيد حفاوة ، تقضى بها فروض الانسانية وتقوم معها بأدب المروءة ، وهذا الغلام ومن فى جملة هاجروا إلى هذا الباب الطاهر لارتضاع إحسانه الغامر ، ولأنهم لم يجدوا مكاناً غيره يستحق أن يلتموا به إماماً ، ويشدوا على أوساطهم فيه حزاماً ، وقد شملهم من الانعام والاکرام ما ليس عليه مزيد ، ومن تمامه أن لا يشوبه شائب نقص فيكون إنضاج وترسيد ، ودهاهم من الوزير ما أثنى به صارخهم ففرغت به إليك من كشف ضرهم وإجمال النظر فى أمرهم فقال : وما الذى تشير بفعله ؛ فقلت : مخاطبة الستر الرفيع أعنى (والدة أمير المؤمنين خلد

(١) سورة آل عمران ١١٧/٣ . - (٢) أبو على بن الملك أبى طاهر بن بويه فر إلى مصر واحتمى بها هو وأصحابه ، بعد أن دخل أبو كاليبجار بغداد (النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤) .

الله ملكها) في هذا الباب ليخرج أمرها إلى الوزير بما يسفر معه وجه الحجاب (١) فقال : ما كنت بالذى يمكننى أن أقول هذا القول من تلقاء نفسى اللهم إلا أن يكون رسالة عنك . فقلت : اجعله رسالة عني . فذهب وأنا واقف مكاني حتى رجع واستتبعتني إلى دار أبي البركات فوجدني متثاقلاً عنها ، ومتباطئاً دونها ، فخاطبني على صلة جناحه إليها (ب) ؛ فقلت : ليس ذلك مما يخف على قلبي ؛ قال : كذا أمرت . فصرت بحكم غيرى وتوجهت معه وسابقتني هو إلى الدخول ، ولعله أورد ما كان معه من التحميل ، ثم دعيت بعده وقال لي أبو البركات : هات وقل ما أنت قائل . فقلت : ما عندي قول أقوله لك إنما توجهت إلى هذا الأمير — أعني وجيه الدولة — بقول قلته له وتحميل حملته إياه فانتظرتة حتى عاد وأخذني معه إلى هذا الموضع ، ثم لا أدري ما قيل لك ولا ما لعلك روست به ، فقال : روست بأن أسمع كلامك في معنى ابن ملك بغداد ، وأفعل ما تشير به . فقلت : إذا كان كذلك فأشير بأن لا تعرض لأصحابه ولا تغبر في وجه إحسان الدولة إليه ؛ وكلام نحو هذا فيما يتعلق بصلاح القوم . وكان دأبي ودأبه مطاردة في السر ، ومزاحمة للوجه بالوجه . وكنت قد مللت بأمرى وتحيّرت في شأني لا أفتح عيناً إلا على عدو ، ولا أرى في جهة من الجهات إلا ضمير سوء ، والسلطان خلد الله ملكه الذى كان وصولي إليه الغرض الأقصى فدخلت إليه من باب ، والفلاحى الذى كنت متمسكاً بعناية معه قد أفضى من ظهر تراب إلى بطن تراب ، فعدت لتطرية ملبس الاستيذان في المسير ، وقمت فيه مقام الجد والتشمير ، وكشفت في الاستقصاء فيه الحجاب ، وأبرمت بالالحاح والسؤال الأصحاب ؛ حتى أجابوا وهم كارهون ؛ فبينما أنا في شغل أنجزه وأمر للمسير أرتبه ، ومكاتبات أتجزها إذ سمعت بأن ابن النعمان عزل عن القضاء والدعوة (١) وأن الذى هو الوزير اليوم (٢) يؤلى فقلت يجوز أن يؤلى القضاء الذى كان عليه فيركب به طبقاً عن طبق من دون إلى فوق فأما الدعوة التى هو فيها نكرة فلا يجوز أن يقلد منها قلادة فيكون بدعة من البدع ، وشنعة من الشنع ، وشيئاً ما شوهد مثله ولا سمع ، فما أصبح صبح اليوم الثانى من هذا الحديث إلا وقرئ سجله بهما ، وفوض إليه كلاهما (٣) ، وكان ذلك من الغرائب التى تحظرها العقول وتمجها الأسماع ، والسبب في سوق هذه الأعمال إليه أن أبا البركات

(١) في ك : الحجاب . — (ب) سقطت في ك .

- (١) كان ذلك عام ٤٤١ (رفع الاصر عن قضاة مصر) «نسخة خطية بدار الكتب المصرية»
والكندى ص ٦١٢ . — (٢) يقصد اليازورى الذى كان وزيراً وقت كتابة هذا القسم من السيرة .
(٣) كان ذلك يوم الاثنين ثاني المحرم سنة ٤٤١ (الكندى ص ٦١٣) .

أراد به كيداً وكان من الأسفلين ، وذلك أنه أراد أن يورده من بسطة العمل ميداناً وسيعاً (١) ، يأخذه به عن خدمة الجهة الجليلة التي كان منها هبوب ريح سعاداته ، فكان هذا أقوى محنة في دهاه وجلاداته من أن ينفذ فيها مرسل سهام كيده الضعيف ومكره ؛ فلما ندب لهاتين الخدمتين العظيمتين ، لم يتناقل عنهما بل سارع إليهما ، فجعلهما فرعاً على الأصل الذي بيده من دون أن ينقض بناءه أو أوهن شيئاً من قواه .

المؤبر واليازوري

ولما استقر له من الأمرين ما استقر ، وكنت على أوفاز^(١) من سيرى ، وعجلة من أمرى ، استخلفتني به فخلوت معه وخاطبني على تفتير العزم الذي عزمته ، وبذل لي من نفسه جميلاً كثيراً إن أقمت ، وقال : المسير بين يديك تشد على مطيته أى وقت أردت ، وتبلغ مرامى همتك فيه مهما رأيت ، غير أن هذا الوقت وقت مضطرب وقد جرى فيه من الأستاذ المنفذ إلى حلب ما جرى (٢) ، والنافذ على ذلك الطريق في حميا هذه الحالة مغرر بنفسه ملقم بها فم الخطار . فأذعنت لقوله ، وسكنت إلى بذله ، واستحجبت للمقام ، وفصمت في التوجه عرى الاعتزام ، وما شككت أن الكلام كلام غيره وكونه عارية على لسانه ، فلم أوتر أن أمد رسن المخالفة فيه أكثر مما مددته ، وقلت في نفسي إذا كانت الصورة هذه وقد لزمتهى ملازم المقام ، وولى هذا الرجل من الخدمة في الدعوة ما يخطط منه في حندس من الظلام ، من حيث لا هو في محل كر من حلبتها ولا إقدام ، ولا إسراج في ميدانها ولا إجمام ، وجب أن آتية بشهاب قبس يهتدى بأنواره ، وأنهج له من الابانة نهجاً واضحاً يجرى في مضماره ، واجتهد أن يكون على كثير ممن سبقه إلى هذا المكان مبرزاً ، وأن يكون ما يلفظ به من فوق هذا المنبر معجزاً ، ليعلم أنى قد أحضته ودى ، وأجهدت في تجميله وتحسينه جهدى ، ولا يخذلنى بظفر الحسد كيف هو في هذا الأمر دخيل وأنا فيه أصيل ؛ فجعلت أحولك له وشياً من الألفاظ يقرؤها في الأندية ، ولولا توقيعاته فيها بزيادة

(١) في د : وسعياً .

(١) أوفاز جمع وفز بمعنى العجلة .

(٢) يخيّل إلى أن المراد بذلك هو خروج أمير الأمراء وفق الخادم على عسكر تبلغ عدته ثلاثين ألف وبلغت النفقة عليه أربعمائة ألف دينار يريد الشام ومحاربة بني مرداس الذين تملكوا حلب ولكنه أسر ومات بقلعة حلب سنة ٤٤١ هـ (خطط المقرئى ج ٢ ص ١٧٠) .

من عنده هي النقص بعينه ، ذلك في مبدأ الأمر ، وغرضه فيما يفعل الا يوجد مستسلماً (١) الى بكليته ، وعاطلاً عن صنع يكون له فيما هو بصدده . وكانت الأمور جارية على هذه المثالة سنة وزيادة ، وكنت منقطعاً إليه مشتبكا به ، ولى في خلالها دخول إلى أبي البركات ثقيل لما كان يلوح لي من بغضائه ؛ واتفق أننى دخلت إليه يوماً من الأيام بدخول من تقدم ذكره ، فجلست إلى جانبه وبجنب (ب) أكتافه (١) ، فرأى أبو البركات منه ومنى شخصين مبغضين إلى قلبه ، ثقيلين في عينه ، فرأى أن يضرب بعضنا ببعض ويصدم أحداً بالآخر ، كما يفعله الدهاة الذين ليس هو منهم ، فأوحى إلى بعض شياطينه القائمين بين يديه أن يسارنى في التناحى عنه قليلاً لئلا أكون متصمداً معه وملزماً كتنفى إلى كتفه ، فأهوى رأسه إلى يرمزم بهذا القول ، فدخلت أغمسى في أسداسى ، وسلاطى منه غيظاً سد على موالج أنفاسى ، فقلت : أيها الوزير مالك لا تقول لأصحابك أن يكونوا عقلاء ، قال : وما صنعوا ؟ قال قائلهم : أشرنا عليه بأن لا يكون لقاضى القضاة مكاتفا ، وأن يجعل بينه وبينه في التصدر فسحاً . فقال أبو البركات : إذ كان هذا قولهم فما لهم ، فما قالوا إلا صواباً ، والوجه أن لا يكتف قاضى القضاة فانه من حاله وقصته كذا وكذا وأخذ يثنى عليه بالقرب والاختصاص بالسلطان ، وتقدم المقدمة وارتفاع المنزلة ، فقلت : ما قالوا صواباً والوجه أن أكتفه ، وأكتفه إلى ما لا يتناهى ، قال : قد طولت لسانك في هذا المجلس الذى هو مجلس أمير المؤمنين ، قلت : قد طولت لسانى في مجلس هو أخص بأسير المؤمنين من هذا المجلس الذى أنت حاضره ، والذى أراه منك فهو تطاول بلا تطول ، ولكننى أوتى الأمر من قبل نفسى حين أحضر مثل هذا الموضع الذى أغنانى الله عن حضوره بغنى نفسى ، فقال : أيها المؤيد أين كانت هذه النفس الأبية حين ضرب غلمان البابلى ليلة من ليالى شهر رمضان غلمانك فى سقيفة الفلاحى ، قلت : أيها الوزير وماذا (ج) على من غلمان تخاصموا وتضاربوا ، وما هذه الحجة من الحجج التى تودع صحيفة الذكر والفكر حتى تنشر يوماً من الأيام فى مقامات التجنى على . وقمت وقد كنت إليه بالمكيال الذى اكتلت به مابهو أزيد فى ألمه وأشد وقعاً بوصبه ، ولم ألقه بوجه مسلماً بقية أيام سلامته وبقائه فى وزارته . ولم يمكث إلا قليلاً حتى انقض عليه عقاب الحنة كالليل الدامس ، فأخذه

(١) فى د : مستسل . — (ب) فى ك : بجنبى . — (ج) فى ك : وما على .

(١) أى جلس بجانب اليازورى وبجنب أكتافه .

بمخالبة من عز المجالس إلى ذل المحابس^(١) ، وبقي قاضي القضاة الذي هو الوزير اليوم متحيراً في أمره بين أن يستولى على العمل بنفسه ، فلا يدرى كيف يكون الصدور من بعد وروده ، أو يولى غيره فلا يأمن أن يصلى نار كيده ، فقال يحتاج إلى وزير مأمون الغوائل مرة ، وقال لا حاجة إلى وزير مرة ، إنما ينصب من لا نسميه وزيراً بل واسطة ، فاختار أبا الفضل^(٢) وهو يسير الحال ويخفف ويثقل ويقدم ويحجم . وفي خلال ذلك لا ينقطع عن قراءة المجالس في أيامها والقيام بأحكامها ، فلو علم أن الأيام لا تكاد تخرج له جنة يتجنن بها ، ويكون هو الراعى من خلفها ، فيكون ذلك الاسم وهو الجسم أو اللفظ وهو المعنى دعتة الضرورة إلى أن يلبس حلل الوزارة ويتحلى^(٣) (١) بجلاها^(٣) ، ويركب في فلكها ويقول : « اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها » .

ولما كان معلوماً أن المنصب الذي حصل فيه يقطعه عن حضور الأندية لقراءة مجالس الدعوة ، ظن الناس أنه لا يرى العدول بهذه الخدمة عني ، ولا يقصد بها أحداً دوني ، فبينما هم في ظن من هذا الباب كالتحقيق ، إذ ندب لها ابن النعمان ، فجاء وصعد المنبر وقرأ على الناس فلم تكن له نفس تنهيه عن تقمص العار والذلة بالنيابة فيها وحدها بعد أن كان في القضاء والدعوة أصلاً ، وبعد كون المستنيب له من جملة فروعه فرعاً ، ولم يزو هذه الخدمة عني من زواها إلا كراهية أن يسمع السلطان خلد الله ملكه ومن في جملته من ألفاظي مايسوءه ، ويتطرى في أمري ما أخلق الزمان جدته وكسر حديثه . ولما عاتبته على فعله وقلت له : جعلتني شراباً في قدرك ، فحين طيبتته رميمتي ؛ فكان من جوابه أن السبب في توليته ابن النعمان عجائز قدم في القصر حاكيات وعزيزيات يرين النعمان (ب) أنه بنى هذا الأمر ، وأن أحق الناس بمكانه أبنائوه وذريته ، فتجردن في بابه تجرداً صرت به مغلوباً على أمري ، مصروفاً عن مكان عنايتي وهمتي ، فقلت له : وأين كانت هؤلاء العجائز لما مرقته كل ممزق فلا قضاء (ج) أبقيت عليه ، ولا دعوة ولا لقباً ولا مرتبة ، وأين كانت المرهفات من

(١) في د : يتحلل . — (ب) في د : للنعمان . — (ج) في د : قضاءه .

(١) قبض على الجرجرائي عام ٤٤٢ هـ وزج به في السجن ، ثم نفى إلى الشام (المقريزي : خطط ج ٢ ص ١٧٠) .
(٢) وفي خطط المقريزي أبو الفضل صاعد بن مسعود الذي تولى واسطة لوزير (ج ٢ ص ١٧٠) .
(٣) يقول ابن الأثير إن المستنصر استوزر اليازوري في ذي القعدة سنة ٤٤٢ (ج ٩ ص ٣٧٧) ، ولكن ابن منجب الصيرفي يقول إن ذلك في ٧ محرم سنة ٤٤٢ .

سيوف عصبيتهم في ذلك المقام ، أهذه البحار كلها في نوبتي جاشت ، وعلى رأسى ظهرت واحتاشت ، فما عند الله خير وأبقى .

وكانت أيامى تنقضى معه على تمرث من العيش وتكدير في العمر مدة فكنا إن اتفقنا على بعض الأوقات نتحدث وأقول له بما يملؤه العتب والاستزادة ، فيملؤنى قولاً جميلاً ووعداً حسناً لا يقرن بهما وفاء بل يكونان « كسر اب بقية يحسبه الضمان ماء » ؛ فلما كان في بعض الأيام ولم يبق لى متسع فى خلدى وفى جلدى ، كاتبته برقة أشكو فيها قلة الانصاف وإخلاف الميعاد وأقول إنك فى ثلاث رتب يستحيل المين معها ، ويمنع وجود الافك بوجودها ، فاحداها الوزارة التى هى منتهى درج أرباب الأقلام ، والقضاء الذى سناده صدق اللهجة فى القول وترك الميل فى الأحكام ، والثالثة الدعوة التى معناها عند من ينتحلها تقويم النفوس المعوجة ، والذى يقوم النفوس المعوجة تبين عنه أن يكون كاذباً . ثم سقت القول إلى الغرض الذى كانت المعاتبة والمكاتبة من أجله ، فاستشاط غضباً من قراءة الرقة وراسلنى بجوابها مراسلة على لسان ناشية له وعلى يده وهو فى أول عهده بثوب نظيف لبسه ، ومركوب ركبه ، يذكر أنك بسطت إلى لسانك كنت قديماً تبسطه إلى أبى سعد اليهودى وسقتنى مساقه فيه ، ولست ممن يصبر عنك على مثله ، وما يجرى هذا المجرى من إرعاد (١) وإبراق فأجبت وقلت : إن لسانى لعمرى الله ذلك اللسان بعينه ، ومنى تلك المنة ، ونصبتى فى الاستغناء بالله تعالى عنه وعنك تلك النصبة ، ولم يقدمك على أبى سعد إلا إسلامك ويهوديته ، فأما من حيث البسطة فى الأمر والنهى فصورتك صورته . وعاد الرسول إليه بالجواب وجمعت نفسى عنه سبعة أشهر أو زيادة لا أدنو له بابا ، ولا أتلو فى السلام عليه كتابا ، فلما انقضت المدة المذكورة وجرى من الكسرة (ب) على بنى قرة (١)

(١) فى د : ايعاد . — (ب) فى د : الكسر .

(١) فى سنة ٤٤٢ هـ ثار عرب بنى قرة الذين كانوا بالبحيرة ، ولكن جيوش الدولة استطاعت أن تقمع الثورة سنة ٤٤٣ هـ وأن تخرج بنى قرة من أماكنهم وتقطعها لبنى سبنس (بطن من بطون طيء) (النجوم الزاهرة ج ٥) .

(وفى ابن الأثير ج ٩ ص ٣٩٦) وفى شعبان سنة ٤٤٢ هـ عصى بنو قرة بمصر على المستنصر بالله وكان سبب ذلك أنه أمر عليهم رجلا منهم يقال له المقرب فنفروا من ذلك واستعفوا منه فلم يعزله فكشفوا بالخلاف والعصيان وأقاموا بالجيزة وتظاهروا بالفساد ، فعبه إليهم المستنصر بالله جيشاً يقاتلهم فانهزم الجيش وكثر القتل فيهم ، وانتقل بنو قرة إلى طرف البر وعظم الأمر على المستنصر فجمع العرب من طيء وكلب وسيرهم فى أثر بنى قرة فأدركوهم بالبحيرة فواقعوهم فى ذى القعدة ، واشتد القتال وكثر القتل فى بنى قرة وانهزموا .

ما جرى وأفيضت عليه الخلع السنية موفورة ، وصارت داره كعبة للتهانى مزورة ، اجتمع على أصحابي ومن كان يلم بي ، وحشموني من فرط الشفاعة إلى حتى أتيته وهنيئته ، فمكث غير بعيد فولاني النصفه (ا) من ديوان الانشاء ، وزادني في رزقي زيادة ظهر تأثيرها في حالي . وكانت أيامي تقتضي معه فيما بين الرضا والغضب ، وابن النعمان على رسمه في النيابة والقراءة يحره إليهما حركة من حرصه طبيعية ، وحركة من ينهضه قسرية ، حتى وقف به أعضاؤه ، وخانته جوارحه ، وجعل الناس يقولون لي إن الضرورة تحوج إليك ، ولا يوجد مذهبا عنك ، فقلت إنهم يحرونه إلى هذا المكان ما داموا يجدون فيه مجرا ، فاذا عدسوا ذلك فيه حملوه في الحفة حملا ، وان الرجل ما بين ذا وذلك يسبر(ب) فكوك ولديه وأشداقهما ، فان آنس من أحدهما رشداً ندبه لهذا الأمر فاستغنى (ج) عن البعيد بالقريب ، وعن الأجنبي بالنسيب ، فكان الأمر على ما قلته ، وكان ابن النعمان محولا على السرج مادام يحمله السرج ، فلما قعد به السرج عدل به إلى الحفة ، فلما حف به العجز عن الحفة ندب الرجل ولده ، فاستمر إلى يومنا على ما يؤثر أمره(د) ، وألقى على كرسيه جسداً مما يحبه ويعزه ، وعلم أني يئست من خيره ، وجعل يقطع الزمان معي تقطيع المتجمل ، المعطى بلسانه حلوا ، والمعتقد في سر نفسه مرراً ، من الوضيع جلده في هذه الصناعة المبنية على من كان له فيها قدم صدق ، وله أولاد وضميمة(هـ) وأصحاب يحلون عقدة ركاسه فيها ، ويخرقون ستر ناموسه بها ، من إذا اعترض منهم سبب بقول أو (و)فعل كان له من قلبي وقع الزناد في استخراج مكمن النار من متون الحديد والأحجار وكان داعية إلى إنطاق صامت اللسان بجرارة الجنان ، فعند ذلك تهب ريج الخاصمة ويعقد عجاج المناقرة ، وقد جرى بيني وبينه في عدة دفعات مقارصات(ز) ومحاملات ، فمنها ما كان مشافهة ، ومنها ما كان مراسلة ، وما كان راسلي به وقتاً من الأوقات على لسان قريب له : إنني أخذتك من ثلثائة دينار رزقا إلى ألف وزيادة(١) فلم لا تعرف الحق على نفسك ؟ فقلت له في الجواب : لو علمت فحوى قولك هذا الذي قلته لقيدت لسانك عنه ، فأنت هجوت السلطان خلد الله ملكه به أقبح هجو ، أن جعلت

(ا) في ك : النطفة . - (ب) في د : يشبر . - (ج) في د : فاستغنى عني عن العبيد .

(د) في د : يؤثره أمر . - (هـ) في د هميمه . (و) في د : أم .

(ز) في ك : مفاوضات .

(١) ذكر المقرئ في خطه أن داعي الدعاة وقاضي القضاة كان يتناول كل منهما مائة دينار رزقا بينما يذكر المؤيد هنا أنه كان يتناول ألف دينار وزيادة وهو لم يبلغ بعد مرتبة داعي الدعاة أو قاضي القضاة .

استحقاقى بحضرته ثلثائة دينار ، وفى دولته من لا يوازي ظفراً من أظفارى فى خدمته من جنس المشرقى والمغربى ، وله المال الممدود فى خزانته رزقاً ، وما أنكر أنك أخذتني من قلة إلى كثرة ، ومن عطلة إلى عمل ، ولكنك إذا ذكرت ذلك فاذكر بذكره عن أى مكان قطعتنى ، فلقد قطعتنى عن آفاق (أ) صرت منها فى آفاق من يعطى ويمنع ويخفض ويرفع ، فلا تمن على بما أعطيت ، فالذى منعت أكبر .

✓ وقلت له فى مجلس آخر وقد جرى ذكر كتاب الانشاء فقلت : معلوم ما كان لمتولى هذا الديوان من الجاه الوسيط والرزق السننى الكثير (ب) ، ولئن كانت أشخاصهم مفقودة ، فإن آثارهم فى صناعاتهم حاضرة موجودة ، وأنت كاتب تفرق بين الجيد والردىء ، والضعيف فى الصناعة والقوى ، وأريد أن تعتبر من انتصب هذا المنصب من خمسين سنة إلى اليوم مقايضة إلى ، فإن كنت ممن يجرى فى حلبتهم فرسه ، ويطول نحو أمرهم باعه ، فأنزلى منزلتهم من الجاه والمال ، وإلا فقل لى ما أنت مثلهم ولا فى آفاقهم ، فقد رضيتك حكماً ، وجئت لحكمك مستسلماً . ففتح أبواب الشاء وبسط منه ما قبض فى معنى العطاء . وأعلمنى بعض أهله أنه جرى بينهما حديثي فقال له : أراك مستكرها لهذا الرجل ومتبرما به ، فهل لك أن تجعل حبله على غاربه فيما لا يزال يلتسمسه من عودة إلى بلاده فتكون قد أرحت عليه ، وكفيت أمره . فكان جوابه : إنه لا قبل له باظهار الرغبة فى بعده عن هذه المملكة والحرص عليه ، ولكنه إذا تراكم عليه المرس باليد واللذع باللسان أبت مرارته (ج) حمل الضيم ، وهجمت من (د) التسلل عن صحيح العزم .

بدء النزاع بين الفاطميين والتركانيين

ولما قوى أمر التركمانية — خذلهم الله — وحصلت بالرى^(١) وصار القريب والبعيد من أهل البلدان يتقلبون من الخوف على مثل حسك السعدان ، وكانت الدولة العلوية — حرسها الله تعالى — فى السابق من نغاتها التى بها تتنعم ، وتأخذ فيها مأخذ من أخذته العزة باللائم فحسبه جهنم ، وورد من حيز الروم نسخة كتابها إليها بحملها على التجرد

(أ) فى د : آفاق منها صرت منها . — (ب) فى د : الأكثر . — (ج) فى د : مرته .

(د) فى د : عن .

(١) دخل طغرل بك التركمانى مدينة الرى سنة ٤٤٦ هـ (ابن الأثير ج ٩ ص ٤١١) .

معها لأخذ المملكة العلوية لأولئك الأنجاس الأفذار فيجعلون الشام من جملتها نصيب إخوانهم من شياطين الروم الكفار (١)؛ ففتحت باب المشاورة على هذا القول (١) المهول من الأمر الذى هو على بعد الشئمة يرمى (ب) بشرر كالقصر، وقلت إن ابن المسلمة اللعين مغناطيس هذا الشر فانه استطعم طعم الرياسة بملايسة أمثاله، واستولى منها على غارب آماله، وإن تديره اليوم أمثل من تديره غداً [والتنبه له (ج)] ولا طغى الماء أقرب الأمور رشداً، وقلت إن الوجه أن أكتب الكندرى (د) (٢) الذى هو وزير الطاغية بكتاب بالعجمية، أو أكتب نفرأ من المعارفين فطنت حصولهم فى جملة القوم، واجتهد فى أن أميل إلى الدولة العلوية أدامها الله رعوسهم، وأسقى ماء محبتها بالحكمة والموعظة

(١) فى ك : الهول . — (ب) فى د : ترمى . — (ج) سقطت فى ك .

(د) فى ك و د : الكيدى .

(١) لم يرد فى كتب التاريخ أى إشارة عن مثل هذا الاتفاق الذى ذكره المؤيد بين الروم وطغربك، ولكن المقرئى [الخط ج ٢ ص ١٣١٧] يذكر أنه فى سنة ست وأربعين وأربعمائة هـ ارتفع السعر بمصر وتبع الغلاء وباء، فبعث المستنصر بالله إلى ملك الروم — وهو كونستانتين العاشر الذى كان يحكم مع زوجه زوا Zoé بنت كونستانتين الثامن، وقد حكما من سنة ١٠٤٢ إلى ١٠٥٤ — أن يحمل الغلال إلى مصر، فأطلق أربعمائة ألف أردب وعزم على حملها إلى مصر، ولكن أدرك ملك الروم أجله قبل أن يرسل الغلال، وتولى أمر الروم بعده ثيودورا بنت كونستانتين الثامن التى حكمت من سنة ١٠٥٤ م — سنة ١٠٥٦ م فكتبت إلى المستنصر أن يكون عوناً لها ويمدها بعساكر مصر إذا ثار عليها أحد، فأبى أن يسعفها فعاشت الغلال عن المسير إلى مصر، فحنق المستنصر، وجهاز العساكر عليها مكيين الدولة الحسن بن ملهم وسارت إلى اللاذقية ومنها إلى فاميه، وجال ابن ملهم فى أعمال انطاكية فسبى ونهب، فأخرجت صاحبة الروم الجيوش لمحاربتة فكانت الدائرة على ابن ملهم وأسر هو وجماعة كثيرة، وبعث المستنصر سنة ٤٤٧ هـ أبا عبد الله القضاعى برسالة إلى القسطنطينية فوافى إليها رسول طغربك السلجوقى من العراق بكتاب يأمر متملك الروم بأن يمكن الرسول من الصلاة فى جامع القسطنطينية فأذن له فى ذلك وخطب الرسول فيه للخليفة القائم العباسى، فبعث القضاعى بذلك إلى مصر، فأرسل المستنصر إلى كنيسة قمامة بيت المقدس وقبض على جميع ما فيها، ففسد من حينئذ ما بين الروم والمصريين .

وجاء فى ابن الأثير [ج ٩ ص ٤١٨] أن طغربك لما فرغ من الرى وعاد إلى همدان فى المحرم سنة ٤٤٧ هـ أظهر أنه يريد الحج وإصلاح طريق مكة والمسير إلى الشام ومصر وإزالة المستنصر العلوى صاحبها . ولا ندري شيئاً أكثر من ذلك عن هذا الاتفاق الذى ذكره المؤيد، ومن يدري لعل طغربك عقد اتفاقاً سرياً مع الروم لم يصل علمه إلى المؤرخين بينما عرفه المؤيد لمعاصرتة لهذه الأحداث وبحكم عمله بديوان الانشاء .

(٢) هو عميد الملك أبو نصر منصور بن محمد الكندرى (انظر ابن خلكان ج ٢ ص ٧، ودمية القصر ص ١٤٠، والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٥، وابن الأثير فى مواضع متفرقة) .

الحسنة نفوسهم ، فإن ذلك لا يخلو من أحد قسمين : إما أن يصيب السهم الغرض وهو الغرض ، وإما أن يتسامع العباسي بذكر المكاتبة بيننا وبينهم فلا يدري على أى صفة هى فيتجعد من جهته وينقبض ، فأذن فيه ، وكتبت الكتب على أحسن صيغة فيما يكتب فى مثله ، فكسر المرسل بها لتخلقه حاجة فى الصدور ، وانتظم فى سلك من قال الله تعالى : «أينما يوجهه لا يأت بخير» (١) فدنا القوم ؟ زيادة دنوا ، وزاد الأمر فيما يحدث عنهم من فساد فى الأرض وعتو بسطاً للأيدي فى الأموال والحريم ، واستنانا بسمة من لا يؤمن بالله العظيم ، وحصلت العراق بمجاورتهم مرتجفة ، وصدور أهلها بالروع منهم منخسفة ، ووقع التشاور على مكاتبة أبى الحارث (٢) والعسكر البغدادى وأشعارهم بكوننا لهم سناداً ، ولهم فى الارفاد والانجاد عماداً ، وكتبت الكتب ونفذ بها من تحيف ريشه ريب المنون من قبل وصوله بها وإيصاله لها (١) ، وضاعت الكتب ، وتوجهت بتوجهه إلى الحجاز حاجباً ، ولما أبت استأنفت المكاتبة بما أنفذت به أحمد بن الحسن (ب) فسابق حصوله بنواحي العراق دخول التركمانية بغداد (٣) وتملكهم لها وحصول أبى الحارث والعسكر على نشز من أرضها بحيلة عملها ابن المسلمة فيما يفرق شملهم ويقطع حبلهم ، فما كان كتابي عندهم إلا صحيفة نزلت من السماء ، واهتزوا له اهتزاز الأرض الهامدة لنزول الماء ، وأجابوا يدعون ويشكرون ، ويقولون ما أوتينا عن ذلة ولا عن قلة ، ولكننا عن قوس المكر رمينا ، ولما السحر سقينا ، فإن أخذتم بأيدينا أخذنا لكم البلاد ، وإن قلدتمونا نجاد نصركم وإنجادكم ، فتحنا من جهتم الأغوار والأنجاد ، واتمسوا من المال والخيل والسلاح ما يريش السهم ، ويمضى فى النهضة إلى عدوهم العزم ، ذاكرين أن الدرهم إذا تكلف لهم فيما يمضى من سيف عزمهم غراراً عوضوا عنه ديناراً ، وبأنه لا يرد (ج) ثانياً كتابهم جواباً (د) لهذا الكتاب إلا من الرحبة وقد تدبروها ، يفرعون من حرور خوف البطشة التركمانية إلى ظل أمانة الدولة العلوية ، وينسمون نسيم نعيمها الفائح الريا ، ويلمحون وجه قبولها وإقبال الكريم الحيا ؛ فوقع الاهتمام بأعداد المال والخيل والسلاح لتحمل إليهم .

(١) فى ك : بها . - (ب) فى د : الحسين . - (ج) فى ي : إن لم . - (د) سقطت فى د .

(١) سورة النحل ١٦/٧٦ . - (٢) أبو الحارث أرسلان البساسيرى التركى الملقب بالمظفر كان مقدماً على الأتراك خصيصاً عند القائم بأمر العباس ، لا يقطع القائم أمراً دونه فتجبر وطغى ، فجفاه القائم واستنصر عليه بطغربك السلجوقى (وقد تقدم ذكره فى المقدمة) .
(٣) دخلت جيوش طغربك بغداد ، وخطب له على منابرها سنة ٤٤٧ هـ (ابن الأثير ج ٩ ص ٤١٨ وما بعدها) .

فلما ترتب الأمر ، قال الوزير متداهيا على^٣ — وقد أوجد له الزمان في قلعي حجة ، وأراه إلى حاجة في نفسه قديمة يقضيها به محجة — : يافلان قد ترتب الأمر في المحمول ، فمن يكون الحامل ، والقائم بهذا الخطب العظيم والكافل ، يجب أن يفكر في هذا الباب فإنه المركز الذى يدور عليه الدائر ، وإليه يفضى الأول والآخر . وكنت قد سمعت قبل هذه المكتوبة بنحو شهرين أنه يدبر رأى على أن يقلعنى بمقلاع هذه الحجة ، ويرمىنى من بحر غمراتها في اللجة ، فقلت محجياً من أسمعنى ذلك : ومن الذى يشد على خيل طاعته في ذلك حزاما ، ويحل لقبول إرادته حلالاً ويحرم حراماً . فلما فاتحنى بقوله : من الذى يتوجه لهذا الباب المهم . قلت ، ها هو قد طلع رأسه وجاءت أوائله ، وقلت : الوزير أعرف بخداسه ومن يصلح لهذا الأمر ومن لا يصلح ، وبيان المعرفة بحضرته بالمقصر والمجتهد أوضح ، ولسان نطقه بمدح الممدوح فيهم وذم المذموم أفصح . وجعل يعاودنى فكرر في هذا الباب دفعة وتكرارا ، وأنا لأزيد على الجواب شيئاً ، حتى قال لما امتد الشوط : مالى أكلك من وراء الحجاب ، وأن مولانا خلد الله ملكه قال : ولم لا يكون فلان — يعنيك — المنتدب لهذا الأمر ، والمنتصب له والمتوجه فيه ، وله الوجاهة والخبرة . فقلت : ومولانا خلد الله ملكه عنده خبر منى أو مختبر لأحوال صلاحى وفسادى ، لقد فرحتنى أيها الوزير بهذا القول ، فما ظننتنى قبل هذا اليوم أخطر منه بهال ، ولا أن ذكرى مما يجرى على لسانه في حال ، وما باله إلى اليوم (١) لم يذكرنى في الذاكرين ، ولم ينظر إلى^٤ في الناظرين ، فحين دهم هذا الأمر تنغص لى بعنقود حصرمه الحامض ، ووقع الاهتمام بتأديتى إلى معاناة يومه الرافع الخافض ، ومقاساة قومه الذين طالما رأيت الكفاة من الوزراء الذين يكل حد المشرفيات دون شبا أعلامهم يستقبلون من مقاساتهم ومقاساة أيامهم . فقال : أغرب عنك هذا القول ، فما يركب غيرك صعب هذا الأمر وذلوله ، ولا يذرع سوى ذراعك عرضه وطوله ، فقلت : ليس ذلك مما أعيره طرفا ولا الكلام فيه مما أريعى سمعا ، فما هو من شغلى ولا صناعتى . وتقضت أيام على هذا بين اجتهداه وإبائى ، وشفاعته وردى ، فاتفق يوم ركوب والسقيفة بتزاحم الناس عليها تنشق ، والدواب على الباب بعضها على بعض تندق ، وقد تعلق بذيلى وهو يقول : افتقرنا إليك وافتقرت الدولة والاسلام والمسلمون ، وديانتك تقتضى أن تصرخ صريخهم ، وتحير مستجيرهم . فقلت : سبحانى سبحانى إن كنت بهذه المثابة ومحلا لهذه المخاطبة . فقال : الأمر على ذلك وفوقه ، ولن أبرح الأرض حتى تنعم بلسانك .

(١) فى ك : الآن .

فقلت : أيها الانسان إننى إن قلت نعم بحكم تحشيمك لى مشافهة أردفته بألف لا مكاتبة ، فقال : قل أنت نعم واكتب ما شئت بعسده ، فانك إذا قلت نعم لم يعقبه نقض . فوجدت نفسى فى خناق لا ينفس عنه شئ ، وأخلدت فى تغليظ القول وتخشين اللفظ رجاء أن أفقأ بهما عين التلطف وأخدش معهما جسم التواضع والتخضع ، وأزكى بهما النائرة الغضبية التى تحيل حلو الألفاظ مرًا ، ولين الطبع خشنًا ، وسهل الخلق حزنًا ، وكان سحره (١) الغالب وسهم كيد الصائب ، بقولى نعم ، ودخولى فيما كرهته .

وكتبت إلى السلطان — خلد الله ملكه — رقعة ذكرت فيها أننى إلى ما كرهته من هذه الجهة (ب) مجلوب مجبور (ج) على ضعف منى وقصور حركتى ، وكون الأمر عسيرًا خطيرًا ، وأن على أن أجتهد وأسعى وأكدح ، فما أصبت فيه فيها رحمة من الله وإقبال الدولة أدامها الله تعالى ، وما أخطأت فيه فلا يتوجهن على عتب ولائمة ولا تعرضن (د) لى فيما أحل وأعقد يد معترضة . فوقع على ظهرها بالأمضاء . ولما فرغ هذا دعيت إلى تغيير النصب (هـ) ، وتقمص قميص الوزارة والأخذ بما يشابهها (و) من الرتبة ؛ فقلت : معاذ الله أن أغير من زى شيئًا ، أو أتخذ من غير لبوس أهل العلم والتقوى لبوسا ، ولو كنت فى عنفوان شبابى ممن صفا إلى ذلك قلبه وصبت نحوه نفسه ، لردنى عنه مجى النذير وإيدانه لوشيك (ز) المسير ، فكيف وكلا طرفى شبابى وشيبتى فى التدرع بدرع (ح) التنزه متساو ، وأنا فى خلاهما فى زاوية التصون متزاو . ووقع الاقتصار منى على ملبوس ألبسه وحملا ن أحمل عليه ، فمئنت الاجابة إليه .

ولما كان فى عشية اليوم الذى استقر أمر البروز إلى ظاهر القاهرة فى غدها من بعد توديع مجلس الخلافة المقدس — زاده الله فى مجده — أشعرت بأنه أوقف السلطان — خلد الله ملكه — على أن يأسرنى مشافهة بلبس ما امتنعت عن لبسه ، فورد على من الحيرة ما يأخذ الانسان عن عقله وحسه ، فكتبت إلى الوزير أستغيث من هذه الحالة ، وأقول : إننى إن خوطبت عليه فأجبت فقد فتت فى عضد إعراضى وقلبت لى أمورى ، وإن خالفت خرجت مذموماً مدحوراً ، وانقلبت لا أدعو ثبوراً واحداً ، بل أدعو ثبوراً كثيراً ، وأننى متوجه إلى الخيم وجهاً واحداً من دون دخول القصر . فأجاب يؤمننى مما أحذره فيه ، ويشير على بالمصير

(١) فى د : سهره . — (ب) فى ك : الوجهة . — (ج) فى د : مجنوب .

(د) فى ك : يتعرض . (هـ) فى د : النصبة . — (و) فى ك : يشاكلها .

(ز) فى ك : بوشك . — (ح) فى ك : بدرع .

إليه ، فلما حضرته ، تولى النوبة بنفسه فأطالها ، ولم يبق مقالة في مسح الأعطاف للإجابة إلى ذلك إلا قالها ، إلى أن دعيت وأخذت إلى القصر الشريف ، وألبست فيه ما ألبست من التشريف وأدخلت إلى السلطان — خلد الله ملكه — والوزير وولده حضور ممن شاهده العين دون من حجبتة الستور ، فقبلت الأرض ودعوت وجلست وقلت للوزير : بلغني أن خيامنا ضربت بحيث يبعد المدى بينها وبين البلد ، فبعدت الشقة (١) على غلماننا في قضاء الحاجات ، فقال السلطان خلد الله ملكه : أنا الذي اخترت لك ذلك الخيم وأبيت أن تنزل المنزل الذي نزله أمير الأمراء (٢) حين توجه إلى حلب . فقبلت الأرض ودعوت وقلت : ما وراء هذا الاختيار فأدام الله أيام مولانا ما أظلم ليل وأشرق نهار ، ثم قلت : يامولانا خلد الله ملكك لم تجر عادة آبائك وأجدادك — قدس الله أرواحهم ، وصلى الله عليهم — أن يقطعوا لعبيدهم رسماً ، ولا أن يغيروا لهم حكماً ، فلم تقطع رسم عبدك في الثول بهذا المقام الكريم ، والوقوف في هذا الموقف العظيم ، فهذا باب أول ؛ والباب الثاني أن مثلي مثل أعرابي بلغني أنه كان يدعو ربه سبحانه ويقول : اللهم اغفر لي فإني لا أجد من يغفر لي غيرك ، وأنت تجد من تعذبه غيري ، وهذه الوجهة التي أنا مسئولها طاعة لك على شديد كلفتها عليّ ، وجهة كنت تصادف من ينفذ فيها ويطب داءها مثلي أو فوق أو دوني ، ولن تصادف من يجاور قصرك الشريف فيكون عنده في كل يوم ختمة أو ختمتان للقرآن ، ودعاء لك وتمجيد لبنتك مثلي ، وأنا شيخ هذه الدعوة ويدها ولسانها ومن لا يماثلني أحد فيها ؛ والباب الثالث أن الأمر الذي أتوجه فيه كتاب أنا عنوانه فانظروا كيف تكونون في أمر من هذه سبيله . فكان الجواب على الفصلين الأولين بشاشة ظهرت في أسرة الوجه الكريم ، وتبسما كشف (ب) عن در الشجر النظيم ، من دون أعمال اللسان ، والفصل الثالث فقد كان جوابه : إننا معودون من الله تعالى على أمثال هؤلاء بالنصر وهو بكرمه يجرينا فيهم على جميل عادته ، وأننا لا نألو جهداً في الشد منك والارهاق لحذك ، إلى أن يأتي الله بالنصر من عنده ، وودعت وانصرفت . ونظرت إلى وجوه القائمين على رسم الخدمة من الأستاذين (٢) والخدم فرأيتها تتلأأ بما سمعوا من كلامي ، وشققي فيه عن صحيح المعنى وسوى المقصد والمغزى ، ورأيت فريقاً يبكون ، وآخرين يتباشرون ويضحكون ،

(١) في د : الثقة . — (ب) سقطت في ك .

(١) أمير الأمراء رفيق الخادم الذي مر ذكره .

(٢) كان الفاطميون يجمعون «أستاذ» على «أستاذين» والأستاذ عندهم هو المولى .

وصرت إلى الخيم وجمع لي من المال والخيل المسومة ما كان معدوداً للحمل (١) .

خروج المؤيد لموازرة البساسيري :

وسرت في جلبة عظيمة قد التف (١) فيها من الوحش والركابية المقودين وسفساف الناس من البغالين والحمالين عسكر لو لم يمسنى غير عذابهم عذاباً لكان فيه ما يغنى ويكفى ؛ وكان الناس يتعجبون من أسرى ، وقد كان موضع العجب لعمري كيف أجرد لمثل هذا الوجه الخطير العظيم رقبتى من دون أن يتبعنى من شئ يسمى العسكر اثنان ، ويعول بي على عسكر غريب معلوم الشان ، يستعين بالله من شرهم الثقلان ، عاداتهم في الاستخفاف بملوكهم معروفة ، وأما الوزراء فهم أغنام عندهم للذبح معلوفة ، ويحكمون بأن المال المحمول في صحبتى مال كتب الله عليه الضياع ، فهو من دون وصوله إلى حلب يتخطف ؛ وأن حاسله على شفا جرف هار فهو في أحد تقاسيم وجهته يتلف ، ويستنقصوننى في عقلى بمنصر فى ، وكيف استجبت في هذا الأمر لداعى تلفى ، وأنا على بصيرة بكون المقصود قديماً وحديثاً نفضى عن الموضع ورفضى ، حتى قال بشهادة الله قائل : إنه لا يستغلى قلعك (ب) بتلف هذا المال ، فسبحان ربى الكافى والمسلم برحمته .

فكان فيما مثل لى أننى أستتبع ثلاثة آلاف رجل من العرب الكلبين أطأ بهم بلاد ابن صالح (٢) ، وأبلغ (ج) بهم إلى الرحبة (٣) فكنت طول المسافة ما بين مصر ودمشق أرتأى في هذا الباب ، فحدثتنى نفسى بمنافاته للصواب ، فلما وصلت إلى «صور» واجتمعت (١) في د : الغنى . - (ب) في د : قدرك . - (ج) في د : ابتلع .

(١) الذى وصل إلى البساسيري من المستنصر من المال خمسمائة ألف دينار ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك وخمسمائة فرس وعشرة آلاف قوس ومن السيوف ألوف ، ومن الرماح والنشاب شئ كثير (راجع تاريخ الاسلام للذهبي والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٢ طبعة مصر) .

(٢) هو شمال بن صالح المرداسى تاج الأمراء صاحب حلب ، وكان أبوه صالح بن مرداس يطمع في ملك حلب فاستولى عليها من أمراء الفاطميين ، ثم أعيدت إليهم مرة أخرى ، حتى استولى شمال على حلب سنة ٤٣٣ هـ عقب وفاة أنوشتكين نائب المستنصر بالشام وفي سنة ٤٤٤ هـ حاول المصريون استرداد حلب فلم يوفقوا وأعادوا الكرة سنة ٤٤٤ هـ ففشلوا ولكن المؤيد استطاع بسياسته أن يجذب إليه ابن صالح . فأعاد الدعوة للمستنصر الفاطمى وتنازل عن حلب للفاطميين على نحو ما سيذكره المؤيد فيما بعد وتوفى شمال سنة ٤٥٤ هـ .

(٣) الرحبة مدينة بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات وهى البلدة التى هرب إليها البساسيري بعد دخول طغرل بك بغداد .

مع ابن عقيل^(١) وجرى بيني وبينه الحديث في مثل ذلك ، وجدت عنده من تهجين ذلك الرأي مثل ما عندي (١) ؛ ووجدت قصده في التدبير ، بغير ذلك التدبير ، قصدي وبلغت إلى دمشق وعرضته على والي الموضوع^(٢) أخذا بفضل الاستظهار فلم يكن الرأي واقعاً منه موقع الاختيار ، فحينئذ كتبت ابن صالح أشعره بالنسبة التي أنا مأسور بها ، وذكرت : أنني متوقف عنها تصونا من أن أوطى أقدام خصومه بلاده ، وأمتطى مطية أمر ربما ضمن فساد ، وأقول له هل لك في خدمة سلطانك بما يكشف عن إخلاصك غاشية التهمة والظن ، ويغشى عينك وسن الأمان والأمن ، وذلك أني أسلم نفسي وهذه الخزائن والأموال كلها إليك ، ولا أستظهر إلا بمرورتك وإنسانيتك في حفظي وحفظها عليك ؛ فان حفظت فينا الأمانة ، أسنك الله تعالى من عادية هذه الدولة — أدامها الله — ماعشت ، واستمسكت من جميل رأيها بالعروة الوثقى ، فقامت من مصرع المتهمين وانتعشت . فورد الجواب بما سكنت نفسي إليه ، وعقدت خنصر تحصيلي عليه ، وكتبت إلى الوزير أذكر توجهي إلى ابن صالح غير مستتبع من الكلبيين أحدا ، وأن العدول عن نصبة ما مُثِّل من استصحابهم أقرب إلى الصواب رشدا ، فقامت قيامته في هذا الباب ، وكاتبني يحذرنى من تبديل قوله وتعدى حده ورسمه ، فلم يجد كلامه مني أذنا سميعا ولا نفسا مطيعة ، ثم أنه طغى (ب) عليه طول مقامى بدمشق ، فخيّل إليه أنني أسد رسن المقام لاقامة موجبة لي لكي أستدرها على تطاول الأيام ، وكتب إلى يعنفني على الشاقل ، ويحثني على التسرع فأجبت عنه (ج) بما هذه نسخة بعض فصوله :

خطاب المؤيد إلى الوزير البازورى :

« فلما كان بالأمس ورد كتاب كريم يتضمن ذكر ما ورد به كتاب أمير الجيوش من حديث السرية التركمانية — خذلم الله تعالى — سمع أنها تسرى إليه ، وأن هذه الحالة

(١) في د : مثل الرأي مثل ما عندي . — (ب) في ك : خفى . — (ج) في د : منه .

(١) القاضي الناصح ثقة الثقات عين الدولة أبو الحسن محمد بن عبد الله بن أبي عقيل والي صور (ورد ذكره في مرآة الزمان وفي ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ، طبع بيروت ص ٩٦) .
(٢) جاء في ذيل تاريخ دمشق (ص ٨٥) : الأمير المؤيد عدة الأمام مصطفي الملك معين الدولة ذو الرئاسةين حيدره ابن الأمير غضب الدولة بن حسين بن مفلح وصل إلى دمشق واليا عليها في مستهل رجب سنة ٤٤١ فحمل معه سديد الدولة ذا الكفايتين أبا محمد الحسين بن حسن الماسكي ناظرا في الشام جميعه حربه وخراجه وقرى منشور الولاية والدعاء فتسلم الولاية في سنة ٤٤٢ =

مقتضيه لطى المناهل نحوه ، وتقديم الوفود عليه ، ووجدت الحث على المسارعة في هذا الموضوع ضد ما جرت به العادة ، إذ كان الحث في مثله يقع على الرجال المقاتلة أن يلحقوا النجدة والانالة ، ويسرعوا لتقوية الشوكة وسد الثلثة ، وأما استعجال مثلى بصحبة مال ليشهد معمعة ، ويصير (ا) في فم العدو لقمة فغير معهود ، ولو كان معى (ب) عسكر لاقتضى الحزم عند التقاء الفئتين أن أجمع نفسى بحيث المأمّن ، وأحوط رحلى وأسرع بالعسكر ، إلى أن أتقدم بخيط رقبتى وأترك الرجال ورائى ، فكيف ولم يأتلف (ج) معى إلى اليوم اثنان لمنعتى عن الانفاق فيهم ، وتوقعى مايشير به تاج الأمراء الذى هو ابن صالح صيانة لقلبه ، وتصوننا عن فعل يكون إثمه أكبر من نفعه في إيجاشه ؛ ثم أنه لما كان بالأسير آخر النهار ، أتتني رسالة الأمير المؤيد يذكر ورود الأمر عليه بالاستعجال على في المسير فكان ذلك من المغاظة التى ضربت أحماسى في أسداسى ، ومعلوم أننى إن أخلدت إلى القعود وعصيت أمر الحضرة الساسية بالاسراع فأنا لهذا الأمير أعصى وعليه أحزن ، فما وجه مكاتبته بما لا أسمع منه ولا أطيع ، وكنت شرحت العذر في قعودى وأنه لكذا وكذا . سوى هذا فان الذى يقعد بدمشق يقعد إما متفرجاً في أزهارها وأشجارها ، وإما متكسباً فأما التفرج فأننى إلى اليوم ما رأيت المسجد الجامع المحجوج إليه من كل مكان حق رؤيته ، وأما التكسب فأننى لما ندبت لهذه الخدمة [على الحال التى ندبت إليها وحمل إلى من النفقة ما حمل] (د) من أجلها لم (هـ) أظننى أعبت ولا أن الأمر في مسيرى يتم ، فلم أفض ختم كيسها تعويلاً على رده كهيأته إلى الخزانة ، وأنفقت على مصالح سفرى من غيرها ، وإذ قد خرجت وقضى الله فيه ما قضى ، فذلك وجميع ما يحويه يدى مدخور لأن أرمى به في هذا الهور (و) لا لغيره ولا رأى لى في الادخار والسلام .

خطاب آخر من المؤيد إلى اليازورى :

وورد كتاب [وكتاب وكتاب] (ز) بالصواعق فأجبت بما هذه نسخة بعض فصوله :

(ا) في د : يصيدنى . - (ب) سقطت في ك . - (ج) في د : يتألف . - (د) سقطت في د .
(هـ) في د : ثم . - (و) في د : الجور . - (ز) سقطت في د .

= واستقامت له أمور الولاية على ما يؤثره ويهواه وأحسن السيرة في العسكرية والرعية فخدمت طريقتة وارتضيت إيلته واستمرت عليه الأيام في الولاية إلى سنة ٤٤٨ هـ . وفي النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٥٤ أنه ولى دمشق سنة ٤٤٤ هـ وظل والياً عليها تسع سنوات . وإذن فالوالى بدمشق إذ ذاك هو هذا الأمير المؤيد .

وأما ما رسم من البناء على الأساس الذى أسس لى فى معنى الكلبيين ، والتوجه بهم إلى حلب دون ما أدانى إليه فكرى من الرعى بنفسى إلى ابن صالح فقد عرفته ، وكنت أقطع الطريق إلى دمشق تألفا (١) بالفكر فى هذا الأمر ، وأقلبه ظهراً لبطن ، وبطناً لظهر ، وأقول إن ابن صالح هذا رجل أمين ينافس فى استدامة ولايته وبقائها فى عقبه وذريته ، وليس له عن التفتى بطل الدولة أدامها الله بد ولا له عن ظلمها محيص ، وأن غيره شذوذ لا يعقد عليهم خنصر ، وأنى إذا أخذتهم إلى قرارة داره أرعبته وأوحشته ، ثم أنه إن جرى والعياذ بالله منه سبب غير ما يؤثر به ، كان جانبه معروفاً لا منكورا ، فكاتبته وراسلته بما كاتبت به وراسلته ، فكيف يجوز لى أن أخزى نفسى وأكذب قولى ، وكيف ينعقد بينى وبينه عقد إذا علم من أول يوم أن عقدى معه محلول ، وما استفتحت فيه من قولى منقوض ، ولست بالذى يرجع عما بذل به خطه ولفظه حقا كان أم باطلا ، كما أنى لا أرجع عن هذه الخدمة بما أخذ من اقرارى فيها بحكم التحشم والسلام .

وكانت كتبي تنفذ على هذه القاعدة ، والأجوبة ترد بآيات النكير التى كل واحدة منها أكبر من أختها ، حتى ورد بخط المعروف بالقاضى القضاعى (١) كتاب فيه بخط الوزير مثل ألفاظه بكل عظمة يذكر : أنك خالفتنى فى النصب ، وسرت على ما سولت لك نفسك من القضية ، أتيت على الدولة . أو كلمة جارية فى هذا المضمار . فقلت : عفا الله عنا وعنك ، نحن بعد ما تعاملنا ولا فارقت دمشق شبراً ولا فترا ، فإن صلحت لك هذه الطريقة التى أنا سالكها فالحمود الله ، وإلا فاضمم إليك جناح رجالتك من الرهب ، ونفذها على يد من شئت وأنى شئت من المذهب ، وقصر دونى عنان النكير والغضب والسلام .

خطاب المؤيد الى تاج الامراء :

وكتبت إلى تاج الأمراء بما هذه نسخته : بسم الله الرحمن الرحيم . مولاي ابن صالح

(١) سقطت فى د .

(١) هو أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعى المؤرخ والسكرتير المصرى ، كان يكتب العلامة عن الوزير الجرجرائى ثم تولى القضاء بمصر مع أنه كان شافعى المذهب ، وتوجه رسولا من قبل المستنصر الفاطمى لملك الروم كما تولى ديوان الانشاء ، وكان عالماً فاضلاً له مؤلفات منها خطط مصر ، كتاب مناقب الشافعى وتواريخ الخلفاء والأنباء عن الأنبياء وغيرها وتوفى سنة ٤٥٤ هـ . (راجع ما كتبناه عنه فى كتاب أدب مصر الفاطمية) .

تاج الأمراء يعلم حق العلم أنني لو لم أكن أقوى الناس جنانا ، وأطلقهم بالبراءة من النطق لسانا ، وأعفهم نفسا وأنقاهم جيبا ، وأوفاهم ثقة بكون الدولة أدامها الله لا تهمني في عبوديتها ، وحضرة الوزارة (١) لا ترتاب بي في خدمتها ، ولو أتيت ما أتيت لكان بعض ما أخذني من رشقات سهام الملام في استبدادي برأيي ، ونبذني نصبة غيري من ورأيي يهدني ولو كنت الجبل الراسي ، ويحول بيني وبينه قلبي ، ولكنني متكل على معونة الله التي لا أزال اخترط منها سيفي ، وكفايته التي أعدها موئلي في الشدائد وكهفي ، ومشتمل على الثقة بكرم تاج الأمراء الذي أحاشيه أن يدعني خجلا ، وطيب أصله الذي أعينه برب الناس ملك الناس ، أن يتركني على ملابس الذل مشتملا ، وأزيل (ب) مع ما بلغني من احتشاده للتلقى واللقاء المحجوب المشوق . أن يلتفت إلى تجريد الرجال والاهتمام بالترحال ، حتى إذا نزلت بكريم فنائه لم تمتد أرسان المقام ، ولم تعصف عليّ فيه عاصفات الملام ، وأن يظهر من العصبية في هذه الحالة ما يجمع له بين الحسينيين ، في قربته إلى الله (ج) بخير ما يتقرب إليه المتقربون من المحاماة (د) عن دماء المسلمين وحریمهم والممانعة عن تليدهم من الذخر وطريفهم ، وخدمة للدولة أدامها الله لا تدع لطخة قديمة إلا تغسلها ولا علاقة من سحر من تلقاها بالسحر والتميمة فيه إلا تبطلها ، ولا بعيداً من الأمل في إحسانها إلا تقربه ، ولا ممنوعاً من المرام من جهته إلا توجبه ، والثالثة أن تحقق في أمرى قول المتنبي :

وما شئت إلا أن أدل عواذلي على أن رأيي في هواك صواب
وأعلم قوماً خالفوني فشرقوا وغربت ، أني قد ظفرت وخابوا (١)

وهو أسر نفسا ، وأنجي (هـ) رأسا ، وأطيب أسا ، وأزكي غراساً من أن يوجد على لقائل (و) مقالا ، أو يجعل له في ميدان تمضغي بلسانه مجالا ، أو يحدث في جيبم أسلي بمضامته حزما (ز) ، أو يعقد إلا على النفوذ معى بنفسه وصلية قومه عزما (ح) ، أو أن يخفي عليه أنه إذا وقف عند أحسن ظني به كان بشيراً بين يدي (ط) سعادة دنياه ودينه .

(١) في د : الوزراء . — (ب) في د : أزيد . — (ج) سقطت في د .
(د) في د : المراعاة . — (هـ) في ك : انخى . — (و) في د : القائل .
(ز) في ك : خرما . — (ح) في د : غرما . — (ط) سقطت في ك .

(١) هذان البيتان من قصيدة للمتنبي في مدح كافور الأحمدي .

خطاب المؤيد إلى اليازورى :

ومن جملة ما كتبته إلى الوزير في هذا المعنى وغيره ما هذه نسخته :

« ووصل كتاب الحضرة العالية فاستفدت السرور بمطلعه ، والسكون إلى علم مودعه ، من ذكر شمول السلامة والسعادة ، جعلهما الله متصلتي الأسباب ، منهلتي السحاب ، وفهمته ، فأما ما ذكر جواباً عن قولى حين نهيت أن أرعى تاج الأمراء سمعى ، أن لقينى بوجه التفتير في العزم ، أننى ما شاهدت تاج الأمراء ، ولا علم لى ما يكون منه في ذلك ، فان خاطبنى على شئ منه خاطبنى بلسان كل الناس به ناطقون وعليه متفقون لو كان كلاهم في ناجعاً ، ومنى موقع القبول واقعاً ، إن الحضرة العالية (أ) حرس الله عزها عارفة بمن يلقي ذلك إلى على جهة الاشفاق وهو غل ، والنصيحة وهو غش ، وأنها لو شاءت أن تسميهم لى أو تصدر كتبهم إلى لفعلت ، وذكرت ورود مكاتباتهم يبذلون الخدمة في هذا الوجه لكنها حرس الله عزها تتجنب ما يوزع سرى ، فمن أجل ذلك تكف (ب) فقد عرفته . ومسلم للحضرة العالية حرس الله عزها ثقبوب الرأى والبصيرة والألمعية والمحاسن التى توحدتها الله بها ، فأما علم الغيب فقد انتفى منه النبى صلى الله عليه وسلم ، بدليل الكتاب «ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء» ؛ ولعله نما إليها حرس الله عزها ذكر رجل أو رجلين تكلم بذلك هما (ج) قليل من كثير ناظرونى على ذلك وقبحوا على فعلى كيف استجبت له وأنا بالقاهرة المحروسة يومئذ ثم في عامة الطريق . وأما من بذل الخدمة في هذا الوجه فالحضرة العالية تعلم أنه ما يستوى الراغب في الشئ والزاهد فيه ، والمتسارع إليه والمتشاغل عنه ، وكان يتعين على مكارمها أن تستجيب لذلك فتجمع بين الحسينين في أخذ الطالب إلى ما يؤثره ، وصدى عما أكرهه ، وخصوصاً إن كان الطالب أشب منى نفساً وأصح جسماً وأحمل للشدائد عرضاً وأكثر منى لمعالى الأمور طلباً . فأما أنا فما أشبه نفسى إلا بالجوزة العفنة من مخالفة (د) السقام ونخر العظام ، والتجافى عن لذة الشراب والطعام ، والقانع من دنياه بنصف رغيف وثوب قطن ، فما بالها — حرس الله عزها — اركستنى في العذاب ، وهملتنى على المراكب الصعاب ، وما بالها لم تستخلصنى للخدمة بين يديها في الصناعة التى إن لم أكن عروفاً بها من حيث الكتابة (هـ) ، فلقد كنت طبعاً عروفاً من حيث قضايا الامامة والدعوة ، أليس ذلك خروجاً عن قضية النصفة .

(أ) في د : السامية . — (ب) في د : تكسف . — (ج) في د : بما .

(د) في د : مخالفة . — (هـ) في د : المكنة أو الكنة .

وأما القول أنها — حرس الله عزها — ما تعرف معنى هذه الرقة من الناس والشفقة ، فقد أجلها الله سبحانه عن أن لا تعرف ذلك ، فمعلوم أنى ما دخلت إليها أدام الله سلطانها يوماً من الأيام إلا لحاجات الناس أقضيها وأبواب آخر أقوم بها ، والناس بين رجلين : أحدهما من قضيت له حاجة فيتعين عليه أن يظهر شفقة ، والآخر من سمع بذكرى وأننى لا أؤثر غير مصلحة ولا أدخل فى مساءة ففرض عليه حكم الانسانية أن يتوجع لمن هذه سبيله إذا خاف عليه أمراً . والكلام فى جميع هذه الأبواب فضل ، بعد أن عزلت عن سماعه سمعى ، وألقيت بين عيني عزمى ، ولم أرجع عما رهنت به لسانى ؛ وأما قولها — أعلى الله مقالها — أنها تنزهنى عن القلق والفرق ، وأنا الرجل الذى تمرست فى حين الشبيبة بالآفات ، وتحككت بالفادات المضلات فذلك صحيح ، فها أنا مرتكس فيها وخائض لتيارها ، ولكننى ما فزعت من شرق إلى غرب ، ولا وليت ظهري جور إخوان وصحب ، إلا لبيدلى الله عن الخوف أماناً ، وعن القلق سكونا ، ومن جعل مساورة الخطار ، ومباشرة الأهوال الكبار ، قانوناً للدهر وقرينا ، لا يبار حتى طول مدة العمر . وأما الأمر العالى بأننى لا أعير المتكلمين طرفاً ، ولا أثنى نحوهم عطفاً فقد قلت وأقول إننى لمقابلته بالسمع والطاعة . وأما الرسوم فى معنى تاج الأمراء وترك الخروج عن المثالة المثلة فى بابه ، فقد خدمت فى أمره خدمتين عظيمتين إن عرفت لى إحداها : أنى تصونت عن استصحاب قوم من ذوى بغضة إلى دياره فأتركه ينفر عني ويتجمع منى ولا يدنو لغرضى إن استدنيته وأكون بعد ذلك على فرق منه ، أو يكون أحد الأراذل والأتباع يحدث شؤمة فيلقى بأسهم بينهم فنحصل فى صداع قريب يشغلنا عن البعيد ، والأخرى ألا يذهب المال فيهم ضياعاً طول مقامهم معى بحاجب إلى أن يتقرر أمر تاج الأمراء وابن وثاب^(١) وهذا الباب غير مفسح لتوجه الكلبين على الوجه المأمور به ، ولا يحدث فى الأمر ما يقع الحذر منه ، فهو أمثل من المثالة المذكورة إذا نظرت إليه عين النصفة ؛ وأما وقوع الاستصاابة لما يفعله صاحب الجيش من حشد الحشود وتجنيد الجنود ، فأقول أليست هذه الحشود والجنود إذا اجتمعوا تعلقوا بأطواقى وقالوا هات ، فأعلمهم حينئذ بالوعود ، وأجردهم للسهم والأسنة بالبدول ، أفرايت من توجه للقتال بالمواعيد ، ويقول لهم «امكثوا إني آنست نارا لعل آتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون» وأن المال واصل على إثرى ، أحاشى الحضرة السامية أن تكون بهذا

(١) هو منيع بن شبيب النميرى صاحب حران وكان إذ ذاك فى حروب مع تاج الأمراء شمال بن صالح صاحب حلب على امتلاك الرقة (راجع مرآة الزمان حوادث سنة ٤٤٨ نسخة خطية بدار الكتب المصرية) .

القول الاستبرية لعقلى (١) ، ومستدرجة لما عندي ؛ وأما استتباع من أمر باستتباعهم فقد صدر جواب هذا الفصل ما يغني (ب) عن تكريره ؛ وأما القول في أننى لو كنت في بروج مشيدة لأنفذ الله في محتوم أقضيته ، ولو كنت في عين المتألف لألبسنى إن أراد الله ملبس كفايته ، فقد انتفعت بهذه الموعظة الحسنة ، على أن عندي منها الأحمال ، وإلى في مثلها تشد الرحال ، ونص القرآن يوجب ذلك على رأى قوم ، وينفيه على رأى قوم ، والمكلف مستطيع ، وإن لم يكن مستطيعاً كان التكلف باطلاً والسلام .

وتردد من المكاتبات الكثيرة والمحاطبات الطويلة بينى وبين الوزير نهياً عن المسير إلى ابن صالح على غير المثالة التى مثلها ، وإباء منى له وامتناعاً عنه قولاً إننى لا أنقض ما قدمت فيه قولاً ، ولا آتى غير ما شرطته فعلاً ، وسرت بما صحبنى من الأموال العظيمة والسلاح والخيول ، ولقد شقت العصا بالخلاف عليه ، وأنا على تخوف مما ينتهى الحال إليه أخشى أكل لحمى ونهش عظمى فى سقيفة كلب وكلاب من قبل دخول دار ترك وتركبان ، فلا أدري بأيهما أنا أكثر فرحاً بالسقيفة أم بالدار ، وكلاهما محيط به سراق من نار . وتواعدنا أنا وابن صالح على أن يلقانى إلى موضع يلى حمص يقال له الروستان على جسر نهر العاصى ، فما زلت أسير عن دمشق رحله ، وهو يسير من حلب رحله ، وسعى صليبة عسكر الشام ، ومعه جمهرة بنى كلاب إلى أن التقت الفئتان منا ومنهم فى المكان المذكور ، فضرب عسكرنا مصافهم على شاطئ الوادى من العدو الغريبة ، ووقف عسكرهم من العدو الشرقية ، وكان الموقف موقفاً عجباً حسناً ، والناس يظنون الظنون ، ويحسبون حساب ما كان وما يكون ، فسقت جمال الخزائن والأموال والسلاح أمانى وسرت فى أعقابها على هون وسكينة ووقار وسكون ، وأبيت أن يمشى بين يدى إلا اثنان من الشاكزية لا يحملون بأيديهم حديدة ، حتى التقيت بوجه ابن صالح بوجهى ، وألقيت إليه السلام فى نفسى ، وما يشتمل عليه صحبى ، فما سلم بعضنا على بعض إلا وشبهته بالوحش النافر ، فاقتنصته بشرك اليناس الوافر ، فاتفقت منى ومنه الضائر ، وخلصت بحمد الله منى ومنه السرائر ، فما أشرق وجه نهار إلا زاد وجهه سكونه إشراقاً ، ولسان ثقته انطلاقاً ، وأجرانى الله على جميل صنعه بنجاح المسعى وإصابة المرمى ، وكون التوفيق عذبة للواء عزمى ، والصواب رائداً لمرامى همى ؛ ووفق ابن صالح بحسن خدمته توفيقاً أبان معه عن صالح عمله ، وصافى اعتقاده ، وقطع به الشقة إلى قطع ألسن أعدائه وحساده ،

(١) فى ك : بعقلى . - (ب) فى د : يغمى .

وأتاح الله تعالى لى وله من الخير ما يقصر دون جزء من أجزائه ألسن الشكور ، ولو أنى تدبرت برأى كنت به مدبراً ، وجمعت بين الضدين فى دار ودرت لها متدبراً ، لكنت الصيحة الواحدة إذا وقعت تعقل رجلى دون تجاوز حلب عقلا ، ولا تذر من رحلى عقلا ، ولكن الله تعالى سلم إنه عليم بذات الصدور ، وهو الحمود على نعمه المشكور .

ولما نزلنا بمعرة النعمان لحقنا نخبة وجوه العسكر البغدادى^(١) متوجهين لتلقينا لما امتد بهم من شوط (١) الانتظار لظنهم أن الذى يوعدون به من إراشة سهم تعليل بالغرور ، على ساجرت به عادة ملوكهم ووزرائهم فى تلك الديار ، غير عالمين أن الدولة العلوية أداسها الله تعالى منزهة عن التعليل بالغرور آخذة بالتأدب بأداب الله تعالى وقوله : « واجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور » . ولاحظونا متوجهين إليهم ثقلا بالمال والخيل والسلاح وهم غير مصدقين ، وعاینونا منطلقين نحوهم وهم من ربة الارتياب ليسوا بمطلقين ، ولما نزلنا بباب حلب أفضت ما صحبنى من خلع ابن صالح عليه ، فلم يشتمل قبلها على خلعة حلت من السعادة محلها ، بأن جعلت له ملابس الأمانة والقرار ، ونزعت عنه أطمار الظنة وسوء الاستغفار ، ونقلته من حيز المؤلفة قلوبهم إلى حيز من طهرت بماء الخالصة جيوبهم ، وتمهدت على مضاجعها بعد أن كانت تتجافى عنها جنوبهم ؛ ولما دخلت حلب جدت عليه (ب) من إيمان البيعة فى خدمة الدولة ما كادت تميد الجبال لثقله ، وتتشقق السموات والأرض من حملة ، وأخذنا نعد للانحدار إلى الرحبة عدته ، ونمخض الأمر جداً واجتهاداً لناخذ زبدته ، ففى أثناء ذلك ورد كتاب ابن مروان^(٢) يذكر فيه ، ما بلغه وروى فيه من المهم المتعلق به صلاح العباد والبلاد وطموس آثار ما ظهر فى الأرض من الفساد ، وأنه كان من جملة من أجاب دعوة التركمانية الطاغية درأ لنفسه ومداواة لوقتته ، وظناً أنهم من أجناس البشر الذين يرعون حرمة (ج) ويرقبون

(١) فى د : شرط . - (ب) سقطت فى د . - (ج) فى د : عن خدمة .

(١) يقصد بعثة من جند البساسيرى .

(٢) هونصر الدولة أحمد بن مروان صاحب ميفارقين وديار بكر . تولى سلك هذه الديار سنة ٤٠٢ بعد أن قتل أخوه أبو سعيد منصور ، وكان نصر على الهمة قد حسن فى عمارة الشغور وضبطها أثره ، كما كان مقبلاً على اللذات والترف فاقتنى من الأواني والآلات ما تزيد قيمته على مائتى ألف دينار ، وهو الذى وزر له أبو القاسم الحسين بن على المغربى الذى فر من الحاكم بأمر الله الفاطمى ، ووز له فخر الدولة بن جهير وزير العباسيين المعروف ، وفى سنة ٤٠٣ هـ . سعى بقرواش بن المقلد صاحب الموصل لقطع خطبة الفاطميين ، ولما قدم طغربك إلى العراق أسرع فى اهدائه أموال وهدايا عظيمة . وتوفى نصر الدولة سنة ٤٠٣ هـ .

في مؤمن إلا وذمة ؛ فكشف الزمان له عن شرهم وغدرهم ، وظلمهم وجورهم ، وإطلاقهم الأيدي في الأموال والحريم ، وكونهم أينما حلوا كالريح العقيم ، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالريم ، ما اقتضى التخلي عنهم والبراءة إلى الله سبحانه وتعالى منهم ، وإنه سمع أن الذي وصل معي من المال يقل (١) عن أن يبلغ به غرض ، أو يقضى به لهذا الصمد الكبير مفترض ، وكان ينبغي أن يكون جزره مداً ، وهزل ما جد الأمر به جداً ، إلى غير ذلك من أقوال قالها ، ومكاتبات من حبها ، فأجبتة عنه بما هذه نسخته :

خطاب المؤيد إلى ابن مروان :

وصل كتاب حضرت أدام الله جلالته دالا عن كون وجوه السلامة بها مستهيلة ، وسحب السعادة لها منهلة ، على ما تناوله مني لسان مثن بالشكر لأنعم الله تعالى على ذلك خطيب ، وقلب إليه جل جلاله باخلاص الرغبة في إدامته قريب ، وقرأته وفهمت مضمونه ، وسألت الله جل ثناؤه أن يقوى لها على بلوغ الغرض فيما يرضيه عزماً ، وأن يجعل بينها وبين التعرض لمساخطه ردماً ، وأن يعضد رأيها بالتوفيق ، ويهديها في مناصبها ومسايعها لسواء الطريق ، إنه على ما يشاء قدير والعسير عليه يسير .

فأما ما تصرف عليه من الاعتذار الكريم عما بدر من فعل نافي المعتاد من فعله سداداً ورشداً بالركون إلى الظالمين واتخاذ المصلين عضداً ، وأن ذلك عن مهادة أشهدوا بها حبه (١) ، وملاطفات ملكوا معها قلبه ، وأمور اقتضت أن تدفع السيئة بالتي هي أحسن ، ويسلك بها الطريقة التي هي أسلم من كشف الغطاء وآمن ، وأنه لم يزل يسحب على ظاهر المجاملة معهم ذيلاً ، ويعلق للمداجاة والمخاتلة حبلاً ، حتى فاض على قلبه — أحياء الله — بالمسار ما استفاض من شرهم في الأقطار ، وأحاط من سرادق نارهم بجميع الديار ، فحينئذ أحجمت نفسه أن تلحظه من عيون الله سبحانه عين ، وهو لهم في ظاهر حاله يد وعون وهم شر أمة حملتهم أرض ، واشتمل عليهم من المقاييس طول وعرض ، فرأى الاقتلاع عنهم بريح الثقة بالله تعالى في كون ما هم فيه متبراً ، ووجود من يخوض ظلام ظلمهم

(١) في د يقيل .

(١) يقول ابن خلدون في تاريخه ج ٤ ص ٣١٦ أن نصر الدولة أحمد بن مروان كان يهادي السلطان طغرل بك بالهدايا العظيمة ومنها جبل الياقوت الذي كان لبني بويه اشتراه من أبي منصور ابن جلال الدولة وأرسل معه مائة ألف دينار ففسدت حاله عنده .

من المسلمين صبح الفرج من عند الله سبحانه مسفراً ، فقد عرفته وما ذاك إلا صنع من الله جميل له — أدام الله تمكينه — نزع عنه لباس عار وأشعره من نفى الظنة عن فضله وأدبه أحسن شعار ، وليست ألطافهم وهداياهم مما ينبغي أن يستغزى ذا حنكة ، ومن يأوى من العقل إلى أدنى مسكة ، فانها سهام مسمومة وأسباب القصد في حسن المخاطبة (ا) بها معلومة ، ولو طالت لهم يد — لا أطاها الله أبداً ، ولا فت إلا في عضدهم عضداً — ، لاستنابوا عن الألفاظ والهدايا ما يرسيهم الله به من قوارع البلايا والرزايا ، وذلك أمر أوضح من النهار ، يغنى عن إقامة دليل عليه بفضل الاستظهار . وأما ما ذكره من سكونه إلى ما رآته الحضرة النبوية المقدسة خلد الله ملكها ، ومجلس الوزارة السامى حرس الله عزه ، من صرف العزم الكريم إلى هذه الجهة بما يهوى معه في الثرى نواجمها ، ويقطع ببأس الله تعالى براجمها ، عصبية للدين وغيره على المسلمين ، الذين أصبحت أموالهم طعمة لأهل البغى ، وحريمهم عرضة للانتهاك والسبى ، ووقوع التسيير لى إلى مستقر الأجل المظفر الذى هو لعارض هذا الداء الطب الرفيق ، وله فيه رأى المصيب والفكر الدقيق ، وقوله إن ذلك من الأمور التى تقتضى أن يبذل فيها النفيس من كل دخر ، ويستلان في أثناء بلوغ الايثار فيها كل خشن ووعر ، وأنه انتهى إلى كريم سمعه أن الواصل بصحبتى قاصر دون حد الكفاية ، مقصر بالممتد من أيدي الرغبات عن بلوغ الغاية ، وأنه أدام الله تمكينه حزنه من الأمر ما يحل من جلال هذا الأمر محل الدقاق وما لا مطار له في هذه الآفاق ، فأنفق عليه خمسمائة ألف دينار ، وهو لها مستقل حتى انتقاد له زمام حزنه وهو سهل ، فقد عرفته ، وهو يعلم خاصة والعقلاء عامة أن الذى تتحمله الحضرة المقدسة خلد الله ملكها في كل سنة من مئونة الحرمين المحروسين وحدهما فضلا عن روابط (ب) الصدقات المتصرفه في الأقطار إلى غيرها (ج) ما يقوم بازاء مئونة الملك المدل بنفسه المذل لأبناء جنسه ، فكيف يتعاضدها في هذا الباب الانفاق . ولعل في فضاء ساحة جودها تضيق (د) الآفاق ، وما هذا شئ يحرك النحيظة (هـ) العلوية ، التى في موضوع علمها أن الدنيا أضغاث أحلام ، وأن المكتسب من زبرجها متقشع تقشع ضباب وغمام ، وإن كان فيما صحبنى قل ففيا ورأى بحمد الله كثر ، وإن سال على ما يظن معنى نهر فالذى يلينى بفضل الله ورحمته بحر ، وما هنالك (و) إلا سماء فتحت أبوابها في يد

(ا) في ك : المخالصة . — (ب) في د : روات ، وفي ك : رواية .

(ج) في ك : إلى غيرهما . — (د) في د : تضيق .

(هـ) في د : الحيزة . — (و) في د : هناك .

تجود بالاطلاق ، وأفق لا يضيق أرجاؤه من صدر منشرح بالبذل والانفاق ، وسيف لا ينبو حده عن عزيمته (١) على ما يرضى الله تعالى في مساطعة هؤلاء الكفار ، الذين استحلوا ما حرم الله فما أصبرهم على النار ، وحقيق على الله بعد ذلك أن ينصر عمار مساجده على الهدام ، والمتوجهين نحوه بالطاعة على المتوجهين إلى الأنصاب والأزلام^(١) ، وأن ينجز لحمد صلى الله عليه وسلم ما وعده في أهل بيته ويجعل اليد الطولى والكلمة العليا لبني بنته إنه أهل ذلك ووليه .

وأما رسالته المتبخرطة (ب) في أذيال لطيف عتبه ، الدالة على راسخ ولاية الدولة أدامها الله تعالى وصافي حبه فقد وقفت عليها ، وأنا أتوكل لها في الجواب أخذاً بأدب العبودية أولاً ، وعنه في الانهاء والسؤال في بلوغ الأغراض قياماً بحكم المودة ثانياً ، وأما القول في معنى الولد رضى الله عنه المستشهد^(٢) بالباب الطاهر — خلد الله ملكه — الذى كان الناس على كلمة سواء في حزن عليه وبكاء من الخليفة خلد الله ملكه الذى هو ولي النعمة إلى أدنى من كان (ج) وقعت عينه يوماً عليه من الأمة ، ووقع الظن الذى إن لم يستغفر الله تعالى منه حق الاستغفار كان الظان مثقلاً بعظيم الآصار والأوزار ، إنه سنع رأى في قتله (د) ووقع تجوز في ارتكاب المحذور فيه وفعله ، فأنا استفتى عن المنفوع الذى قصد لنيله باكتساب هذا العار واحتقاب هذا الخزي مجموعاً إلى النار ، أطمعاً فما ملكت يمينه ليجازى في صوب هلكه ؟ أم فزعاً أن يستنفر (هـ) الرجال بصوت ملكه ؟ وبالله أقسم يميناً برة أنه لو اجتمع بالقاهرة (و) المعزية — حرسها الله تعالى — ملوك الأرض الذين لهم القلائس والبرانس لما هجس في صدر بشر باعتقاد الملك في أحدهم هاجس ، ومعلوم أن بنى أبي طاهر^(٣) الذى كان ملك بغداد بالأمس أحق وأولى في مكان هذه الرهبة لو كانت رهبة ، وأجدر أن يكونوا مهلكين لو كانت في هلاك مرهوب منه رغبة ، ولئن طلع من مطلع (ز) الخلافة الأموى والعباسى فلن يكاد

(١) في د : عزيمه . — (ب) في ك : المتخطرة . — (ج) سقطت في ك .

(د) في د : قلبه . — (هـ) في د : يستفز .

(و) في د : المعزية القاهرة . — (ز) في د : طلع .

(١) الأصنام والأزلام في اصطلاح الفاطميين هم الذين اغتصبوا حق على بن أبي طالب وأبنائه في الخلافة فبنو أمية وبنو العباس هم المقصودون دائماً بهذا الاصطلاح .

(٢) لم يرد في كتب التاريخ ذكر هذا الولد المستشهد بالقاهرة ، فلم نستطع تحقيق هذا الحادث الذى يشير إليه المؤيد .

(٣) سبق للمؤيد أن ذكر أن أبا على بن أبي طاهر البويهى كان يعيش في القاهرة مكرماً عزيز الجانب .

يطلع منه الكردي والتركي وهذه والله حجة داحضة ، وألسن الحق بالدفع لها من كل جهة معارضة ، ولقد قام من اهتمام مجلس الوزارة العالى بذلك الشهيد رضى الله عنه فيما يريش سهمه ويصعد نجمه ويوجه كلمه ويقدم قدمه ، ما لو كان أبوه حرس الله مدته لما قام فيه بعض مقامه ، ولاعتزم عشير اعتزاه ، ولكننا خاناه المقدور وجرت بضد التقدير الأمور . فأما القول فيما جرى في شأن من يقوم بالتعزية من دواعي التقصير وأنه ندب لقضاء الحق فيها غير الأثير الخطير ، فلم يندب لها إلا شريفان : اسماعيلي النسب والآخر صوفي المذهب ، فكلاهما ذو قدم في الرشاد ، وحظ في السداد ، ولو نظر إلى الحال بعين الرضا لم يجد معترض عليها تعرضاً ، وقد صادفنا من قلة الاحتفال بهما ما لو عتب عليه العاتب لاتسعته فيه الطرق (١) والمذاهب . وأما القول فيما كان الموليان الامامان الحاكم بأمر الله والظاهر لاعزاز دين الله — قدس الله روحهما وصلى عليهما — يريانه له أدام الله تمكينه من حسن الرأي ويسوقانه إليه بالتحف والألطف من الحسنى وما كان جعل له بتتيسر ودسياط في كل سنة من رسم الاستعمال ، ومصير جميع ذلك منبت الحبال ، منقطع الأوصال ، فقد وقع الاعتراف منه للدولة ثبتها الله تعالى بالخط الوفور من النعمة فهل لا نص على مقام مشهود له في الخدمة كما قال إن الألفاف هي التي أخذته إلى التركمانية فنأدى بشعارهم ، وغالى في رفع سنارهم ، فان كان تهاونه بخدمة هذه الدولة العلوية من حيث أنه لم يرعب منها كما أرعب من الجهة التركمانية ، فليسوا سواء : جار سليم جانبه مأمون ، وجار غدار خئون . وقبل وبعد . فاذا قد وفيت بالاجابة (ب) عن هذه الفصول من حيث لم يسعني السكوت عنها والقعود عن فرض خدمة ولى نعمتي — صلوات الله عليه — فيها فأننى أنهى الحال في جميعها في أحسن المعاريض ، وأتوصل إلى نفي الشوائب منها بالتصريح من القول والتعريض ، وأبلغ في خدمته نهاية المستطاع ، وأنزل على حكمه نزول الأشياع والأتباع ، ثم أرجع إلى ذكر هذه النائرة التي وقعت في الأذيال وكدرت المشارب من العذب والزلال ، فأقول لم تكن نصبة المكاتبه لحضرته مشعراً لها أننى متوجه بين ظهرائى الجمهور ، المؤلفة بينهم حسائل الصدور ، الذين أجمعوا أمرهم على موقعة الحذور ، مستسلمين فاما لهم وإما عليهم للمقدور ، إلا ليحيينى بذكر ما استقر عليه رأيه — أعلاه الله — مساعدة ، والكون مع الجماعة حرسهم الله تعالى يداً واحدة ، ورأيته قد طوى ذلك طى الكتاب ، وقصر الجواب على لطيف العتاب ، وما أعطى المشورة المباركة فما هو عين الصواب ، وجميع ذلك مقبول وعلى الأحداق محمول ، ولكن لابد من أن أستعلم إن هو أدام الله تمكينه في الأنجاد والارفاذ والمساعدة على بلوغ

(١) في د : الطريق . — (ب) في ك : سقطت .

المراد ، ليقع السكون إليه ، ويعقد الخنصر عليه ، فان أنعم بالابانة عن شرح ما يعتمد عليه ، وتفصيل ما يراه ويعتقده ، قويت (١) المنن وزالت الظنن ، وكان كل منا لعدوه يقارع ، وعن حريمه يمانع ، ولنفسه يمهّد ، وفي صلاح شأنه يجهد ، وإن أخلد مخلص إلى إظهار تعزز بهم وتعلق بسببهم كان معلوماً أنه يغالط نفسه بهذا المقال ، وأن مفضي سعيه في مشاركتهم إلى ضلال ، وأنهم إذا أمكنت الفرصة لا يراعون حرمة ، ولا يرقبون في مؤمن إلاّ ولا ذمة . فاذا كان معنا ومن جملتنا فآية ذلك أن يحذف من المنابر اسمهم ، ويغير رسمهم ، وينادي بالشعار العلوي ، ويخلق فوق المنابر بالوسم المستنصرى ، ليأثيه من الخلع والتشريفات والألوية والسمات ما يعتاض معه النور عن الظلمات ، وهذه زبدة الكلام ، وثمرته الخارجة من الأكام ، ولحضرتة السامية الرأي العالى في الوقوف على ما كتبت به والاجابة عنه — بسار أبنائها ومتجدد مراسمها إن شاء الله — كتابي .

خطاب آخر الى ابن مروان على يد وبيط :

ولم أزل أراصد حالة تفتحنى للمواصلة وتهزنى للمخاطبة حتى ورد كتابه إلى مجلس الوزارة (ب) السامى بما ورد ، وأمرت بمكاتبته ومكاتبته مجلس الامارة ، فكأنى نشدت في ذلك ضالة ، وأصبت غنيمة ، وكاتبتهما جميعاً بما ورد جوابه على يدى حاجب (ج) متقرب ، وأنا علم الله مسرور بما وشجه الله بيننا في المواصلة من الحرمة ، وكشفه من رتاج الحشمة ، لما استقر علمه عندى من تعصبه وتدينه بدين الولاء لأهل البيت صلى الله عليه وسلم وحرصه على خدمة الدولة العلوية — أدامها الله تعالى — التى من لبس حالها (د) وتقياً ظلالها فقد اتخذ مع الرسول سبيلاً ، ووجد إلى قصد النجاة دليلاً .

وبعد فاني أريد الأخذ معه في الحقائق التى لا يشوبها شئ من الادهان وذلك أن مجلس الامارة كان حدث له رأى في مهاجرة الحضرة العلوية كمثل رأيه في مواصلة الجهة التركمانية ، وكان التعجب من الاثنين يكثر ، والقلب عن مصدر مشلها عن معدن الفضل والرأى والقيام في الرياسة ينفر ، فلما كان في هذه المدة القريبة ورد كتابه بما هو بمثله أخلق وبفضله أليق ، مظهرًا للعتبي قائلًا للحسنى ، ومشيرًا بما يشير به الألعى والمكين

(١) فى د : قرت . — (ب) فى د : الوزير . — (ج) فى د : الحاجب .

(د) فى د : جمالها .

في مشورته ورأيه القوى ، فعلم أن الذي فاء به إلى الحق بعد أن ثنى عنه عطفه جانباً ، وكساه كسوة الرضا عقيب أن ذهب بلا سبب مغاضباً ، فهو الوسيط (أ) المبارك الأستاذ الجليل الجامع في ذلك بين قضاء حق صحبته وخدمة الدولة العلوية أدامها الله تعالى من لبس جميلها (ب) في صميمته .

ثم أننى كوتبت من مجلس الوزارة بمكاتبتة متشكراً لذلك على حميد الرجعى وله فيه على مشكور المسعى . وأسوق (ج) الكلام إلى ما أنا متوجه فيه من الأمر الذى أستعين بالله تعالى فيه وأتوكل عليه ، وكون ذلك متعلقاً بالصغير والكبير ، والحاضر والبادى ، «ولكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه» في خلوص الضرر إليه إن قعد عن النصرة ، وسلك في وادى الغفلة والغرة ، فورد الكتاب بما نكب فيه عن القصد الذى أردته ، والمعنى الذى قصدته ، وهل له معنا يد تطول إلى مكاشفة القوم ومناجزتهم ، ومساعدة على ما لعل الله يتعس جدهم ، ويفل معه حدهم ، أم لا ؟ وعدل في الجواب إلى معاتبات ومشاورات وأمور قد ضاق الأمر عنها واختنق الزمان فما نحن بصدده دون الاعادة والابداء فيها . ولما كانت الصورة هذه ، ووجدتنى لم أحصل على بيان من جهته مع عجلة حفزتنى ومسير لزنى وأمر يكاد ينكشف عنه الغطاء ، من دون شهر عظم الله للإسلام والمسلمين عائدته ، وصرف إلى المفسدين في الأرض عاديته ، أجبت عن كتاب حضرته بما هو واصل بوصول هذه المخاطبة ، فتقدم الأستاذ الجليل بشرح مضمونه له ، والذي أقول له في هذا الجواب إن مجلس الامارة إن قبض (د) عن مملأة الجماعة في هذا الوقت يد نصرته ، وهم قوم حركتهم القرائح والنحائر للابسة هذا الخطر (هـ) وممارسته ، وبعيد أن يجمع الزمان أمثالهم ويؤلف بين المتفرقين منهم ، كان على عين الغلط .

ثم أقول في هذا الفصل قولاً يجلو به برهان العقل ، هب أن التركانية لكم على ما يظهرون سلم ، والتواصل بينكم وبينهم حق وصدق ، فما هنالك عدو يقصد غيرنا ولا مملكة تطلب سوى مملكتنا ، ألستم في مدرجة طريقهم إلينا ، وعبورهم عليكم إذا أرادوا قصدنا ، وأنتم بين أمرين : إما أن تلقوهم تلقى الخادم لخدمته والصدى لصديقه ، وتمكنوهم أن يجوسوا خلالكم ، أو لا تأمنوهم فتعتصموا بحصونكم عنهم وتمنعوا منهم ، فان كانت العزيمة الخدمة والتلقى فقد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين ، ومعلوم

(أ) في د : الوسط . - (ب) في د : جملها . - (ج) في د : وأن . - (د) في د : قصر .
(هـ) في د : الخطير .

ما جرى بالأمس على ابن الملك أبي كاليبجار الملقب بالرحيم^(١) عند تلقيه لهم واحفائه بهم وقصده لخدمتهم ، من بعد توثق مدعى (١) الخلافة^(٢) له بالايمن المغلظة والمواثيق المؤكدة فحين دخل مخيمهم نشب في الشبكة من فوره ، فما رعى فيه دين ولا يمين ، ولا عرف لل خليفة الذي توسط الحال قدرا ، مع المعلوم من حال الرحيم — المرحوم اليوم — خلصه الله في كونه لا يأوى إلى سبد ولا لبد ، وإنما له قوت (ب) لا يميته ولا يحببه ، فكيف من يؤذن بالأموال والخزائن ووراءه الحصون التي هي من أسهات الحصون والبلاد المعمورة المأهولة ؛ فهذا باب ؛ وإن كانت العزيمة الباب الثاني في الاعتصام منه فقد دمر الله تعالى إذن على المهادة والمشاكلة تدميراً ، وصارت كما قال الله تعالى «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً»^(٣) وإذا كان مفضى الحال إلى ذلك فمالكم لا تستقبلون من الأمر ما توجب الضرورة أن تستدبروه فتكونوا كما قال القائل :

رأى الأمر يفضى إلى آخر فسير آخره أولاً

ولم لا تستغنمون هذا الوقت والأيدى معكم مجتمعة ، ولكم في الأرض من أهل الموافقة والمراقة مراغم كثيرة وسعة ، ووراءكم من الدولة العلوية — أدامها الله تعالى — رداء عظيم وقد قيل :

انتهر الفرصة اما مرت فر بما طلبتها فأعيت.

وهذا مما لا خفاء به على عاقل ووجه العقل الذي لا يحجبه حجاب باطل والسلام . وأما نحن فنعتقد أننا إلى أن نرت ديار الظالمين أقرب منهم إلى أن يرثوا ديارنا ، بحجة من قوله «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون»^(٤) وما أرى

(١) فى د : يدعى . — (ب) فى د : موت .

(١) بعد أن دخل طغرل بك بغداد قامت فتنة فى المدينة بين العامة وبين عسكره فقبض طغرل بك على الملك الرحيم ورجاله ، وأمر باقى عسكره بالسعى فى أرزاقهم بعد أن كان الملك الرحيم ممن شايح طغرل بك ورحب بدخوله بغداد (راجع ابن الأثير ج ٩ ص ٤٢٥ و مرآة الزمان حوادث سنة ٤٤٧) .
(٢) لا يعترف الاسماعيلية بخلافة أبى بكر وعمر وعثمان ولا بخلافة الأمويين ولا العباسيين ويقولون إن هؤلاء جميعاً كانوا مدعى الخلافة ، والذي يقصده المؤيد هنا هو الخليفة العباسى القائم بأمر الله .

(٣) سورة الفرقان آية ٢٣ .

(٤) سورة الأنبياء آية ١٠٥ .

وسم الصالحين أليق (١) بأحد ممن جده محمد صلى الله عليه وسلم ، وأبوه على عليه السلام ، ودياره روضة العدل والأمن والحرمان متمسكات به ، وصدقاته فائضة على الكبير والصغير ، فإذا كانت النصبية هذه فلا خلاف لوعده الله سبحانه ، فهذا باب من حيث الثقة بالله والتصديق لقوله وتجنب الشك في وعده ووعيده ، فأما من حيث الرأي : فإن الذي أقدره الله سبحانه وله الحمد على أن يلبي دعوة الأجل أبي الحارث ومن صحبه لقبض المال والعدد والخيال بلا حساب ولا كتاب ، أقدر إن ضغطه والعياذ بالله أمر ، ودنا من تلقائه شر ، أن يفتح من خزائنه وخزائن آبائه عليهم السلام خلعجان الأسوال ويستجربها من الخيل والرجال ما يذر فضاء البرارى بالقنا مشجراً ، وينشئ سحاب السيوف للدماء ممطراً ؛ وأسأل الأستاذ تأمل ما ذكرته بعين بصيرته وتصور الأمر فيه بصورته ، فإن علم تزييداً مني فيما أوردته أو عدولا عن حد نصفه فيما سردته فمئدني فيه ، وإن تكن الأخرى أشار فيه بالواجب الذي يتقرب إلى الله تعالى بصلاح المسلمين فيه أولاً (ب) وصلاح صاحبه ثانياً والاستحسان (ج) إلى الدولة أدامها الله ثالثاً والانتداب في ذلك لاعلاء بنيان ما أسسه ، واستثمار ما غرسه إن شاء الله تعالى .

خطاب المؤيد إلى جماعة الأتراك الذين مع البساسيري :

وخوطف الواردون من العسكر البغدادي على العودة إلى الرحبة ليلبغ شاهدتهم الغائب باكتشاف ستور الشك عن وجه ما يرتقبون ، واقترب حصولنا بين ظهرانيهم ، فعادوا بعد أن جعلنا بينهم وبينهم موعداً في الحاق بهم محصوراً ، وقدراً من الأيام مقدوراً ، وكاتبتم جماعة الأتراك بما نفذ صحبتهم وهذه نسختة :

كتبت أطل الله بقاء الإخوان الاصفهلاوية (د) والحجاب وما يزيدني دنو الدار منهم إلا شوقاً إلى لقاءهم ومشاهدتهم ، وصباية إلى محادثتهم ومفاكهتهم ، والله تعالى يبسر (هـ) من الاجتماع أجمعه لخير الدارين والفوز العظيم بحظ الحسينيين إنه على ما يشاء قدير ، وغير خاف عنهم ما كان من إنعام مولانا الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين بالاحفاء (و) بهم والتلفت بوجه المراعاة إليهم رغبة

(١) في د : أليق بأحد وأليق بمن جده محمد . - (ب) في د : سقطت . - (ج) في د : الاستحسان .
(د) في د ، ك : الاطفهلازيه . - (هـ) في د : يسير . - (و) في د : بالاحفاء .

فما يردهم إلى إهلهم وديارهم أولاً ، وحرصاً على أن يدخر منهم خير ذخيرة من الأنجاب والأنجاد الذين هم من أرباب (أ) الملوك ثانياً ، وتعرضاً لما عند الله الذي هو خير وأبقى في انتزاع دماء المسلمين وحريمهم من نشب الهلكة والهلكة ثالثاً وهو أهم الأبواب ، ولتجرد (ب) عزيمته قرنها الله بالسعادة أقوى الأسباب ، وما قام له وزيره من العصبية فيما يرد كهام سيوفهم محدداً ، وملبس عزهم بعد الاخلاق مجدداً ، وأن ما هناك بحمد الله ومنه ضرورة تجعل المسنون في هذا الفعل مفروضاً ، ومجهوله معروفاً ، إذ كانت الطاغية التركمانية من حيث أخذت عصا التسيار ، وإلى حيث انتهت من الديار لم تنازل ملكاً ممولاً ولا سلطاناً معماً بعز الانتساع في العساكر والجيش مخولاً ، ولم تنزل من غير منازل الغدر والخديعة منزلاً ، وها هي بغداد لم يذهب ريحها إلا بأن فشلت وتنازعت في الأمر ، فدب فيما بينكم في (ج) تفريق الشمل ديب المكر ، وكثلها تسلطهم على ما تسلطوا عليه من مملكة ملك أبي كاليبج فانه نتيجة (د) الخلف بين أولاده والشجار ، وقد هموا خذلهم الله بشيراز غير دفعة أن يأخذوها (هـ) فبلوا من عامتها بكسر النواجد والأنياب^(١) ، وأفرشوا في القاع طعمة

(أ) في ك : ارب . - (ب) في د : وأتجرد . - (ج) سقطت في د . - (د) في د : يتجه .
(هـ) في هامش ك : أن يأخذوها وكلما همو أن يأخذوها .

(١) بعد وفاة الملك أبي كاليبج البويهى انقسمت مملكته بين أبنائه فقد تولى الملك الرحيم أبو نصر خرة (وقيل خسره) ملك العراق واستولى أبو منصور فلاستون على إقليم فارس وكانت البصرة من نصيب أبي علي ، ولكن طمع الملك الرحيم في أملاك إخوته ، فسير أخاه أبا سعد لانتزاع فارس من أبي منصور فانهزم أبو منصور والتجأ إلى اصطخر وجمع جيشاً هاجم به قوات الملك الرحيم في الأهواز وذلك في ذي القعدة من سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ، فانهزم الملك الرحيم وسار مع أخويه أبي سعد وأبي طالب إلى واسط ، واستولى عسكر فارس على الأهواز ، وفي سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة عادت عساكر فارس التي مع أبي منصور عن الأهواز فدخلها الملك الرحيم ثم سار أخوه أبو سعد فملك فارس في شهر رمضان ، فاستعان أبو منصور بطغربك فأرسل إليه مدداً هزم به الملك الرحيم في الأهواز ، وفي سنة أربع وأربعين وأربعمائة وصل أصحاب السلطان طغربك إلى فارس وبلغوا إلى شیراز ولكن أبا سعد ابن أبي كاليبج هزمهم كما استرد الشيرازيون مدينة بسا وأعاد الدعوة إلى الملك الرحيم ، وفي هذه السنة سار الملك الرحيم إلى البصرة وانتزعها من يد أخيه أبي علي الذي التجأ إلى طغربك بأصبهان ، كما استولى الملك الرحيم على ارجان وتستر ، وفي السنة التالية استطاع أن ينتزع أبو منصور شیراز من يد أخيه أبي سعد وخطب لطغربك ، وفي سنة سبع وأربعين وأربعمائة سار فولاذ الديلمي صاحب قلعة اصطخر إلى شیراز وأعاد الدعوة إلى الملك الرحيم ولكن خشيه أبو سعد فاتفق مع أخيه أبي منصور على انتزاع شیراز منه باسم الملك الرحيم ، وظل الأخوة في شقاق إلى أن تم أمر البلاد كلها لطغربك وقضى على الدولة البويهية [راجع ابن الأثير ومرآة الزمان وابن خلدون في مواضع مختلفة] فالمؤيد يشير هنا إلى هذه الاختلافات التي كانت بين أبناء أبي كاليبج والتي سببت زوال ملكهم .

للدئاب والكلاب ، وإذا كانت البلاد المصاوبة لخط رحالهم ومعترك خيلهم ورجالهم باقية في وجوههم كهيئاتهم اقلالا ، وإذا وردوها خفافاً صدروا بالقتل والانتخان ثقلاً ، فأنى لهم بالبلد البعيد الذى دونه مجرى العوالى ، ومجرى السوابق ومقط السيوف بكل قاطع للهام فالق ، فهذا أمر جلى برهانه عقلى ، وسوى هذا فممتنع فى عدل الله سبحانه أن يورث الظالمين الأرض بأسرها ولا تخلص زاوية يأوى إليها مظلوم ويأمن فيها مذعور ، وما يكاد يعرف ما هذه سبيله غير هذه المملكة المحروسة ثبتها الله تعالى لمالكها ، ويمتنع أيضاً فى عدله أن تكون زاوية من الأرض هى جزاء (أ) النبى صلى الله عليه وسلم من ملكها ومكان التسمية لعلى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام على منابرها تبتزها والعياذ بالله أيدي الظالمين ، ويغلب عليها شرار العالمين ، ويمتنع أيضاً أن تكون مملكة عمارة الحرمين الشريفين من أموالها وحياة أهلها والمجاورين فيهما متمسكة بصلاتها وميراثها ، وفريضة الحج مؤداة تحت حمى مالها وسيفها ، يفضى الله بها إلى قوم هم من أبناء الشياطين ، لا أقول من العشائر ، يعتاضون عن التكبير بالكبائر ، إن الله سبحانه أغير على بيته وأشفق على حرمه من أن يمكن معاولهم بالنقض ، ويبسط أيديهم فيه بالنسف والنقض ، وإذا كانت هذه الأسباب ثابتة الأصول داخلية فى حكم المعقول علم أن قصد الحضرة المقدسة فيما فعلته ما تحمى به الاسلام والمسلمين ، وترد عنهم ببأس الله تعالى بأس القوم المجرمين ، وما ينهض السادة حرسهم الله تعالى من صرعة البطوح فى التربة (ب) ، ويقر عيوناً تطمح إلى جهتهم بالأوبة ، فيرجعون وقد أيدهم الله سبحانه بنصره ، وجعل لهم معقبات من بين أيديهم ومن خلفهم يحفظونهم (ج) من أمره .

ومعلوم أن ممالك مولانا أمير المؤمنين عليه السلام إنما شرفت على الممالك بأشراق نور العدل فيها ، وامتداد ظله على حواضر الرعية وبواديها ، وأن غرضه فيما يرجو أن الله يفتحه على أيديهم أن يكون داخلاً فى حيازه ، مطرزاً بطرازه ، مغسولة من درن الظلم أثوابه ، مقطوعة من سببه أسبابه ، وهذا باب يتعلق بالسادة — حرسهم الله — أمره ، ومنسوب إليهم خيره وشره ، أنهم إذا بسطوا أيدي الاشتطاط التى لم يزالوا باسطيها عند طلبة الأقساط ، ولم يأخذوا فيها سبيل القصد وسنن الرشيد ، حملوا النظر فى التحميل (د) على المركب الصعب ، واضطروا من ظلم الرعية إلى فادح الخطب ، ثم لم ينتج ذلك إلا زلة أقدام النظر وشمول خراب الديار ، فحينئذ والعياذ بالله نكون قد ضللنا سعيًا وغيرنا

(أ) د : جنب . — (ب) فى ك : القرية . — (ج) فى ك : يحفظون . — (د) فى د : التخيل .

من حال الرعية شيئاً فلا يقع فرقان بين المملكة الغزية والدولة العلوية ، وينبغي لهم حرسهم الله تعالى أن يندروا لله سبحانه نذرا ، ويعهدوا له ولوليه عليه السلام في أرضه عهداً ، إنهم إذا ردهم الله إلى ديارهم جانبوا طريق الاسراف ، وسلكوا في طلب واجباتهم مسلك الانصاف ، لتثبت قدم الناظر في أمرهم إذا طاب منه ما يمكن عليه الثبات ، ولم يستمض لظلم الرعية فيملك شملهم الشتات ، ويعرض لحبل العماراة بتفرقهم البتات ، وأن يكتبوا بذلك مواضعة يضعون خطوطهم فيها ليلقاني أبو الفوارس الحسن بن عبد الرحمن في الطريق بها فاجعلها تحفة لحضرة الامامة (١) — خلد الله ملكها — من جهتهم وفاتحة لكتاب خدمتهم ، ولتفرح حرس الله مجدها بذلك حين تعلم وصول طرف الحبل من معدلتها إلى ديار العراق من بعد (ب) ما تجافت المعدلة عنها ونبت ، وأنه ستهتز أرضها كما قال الله سبحانه «وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت» (١) ويتصوروا أنهم إذا عقدوا على ذلك ضمائرهم ، وصفوا فيه سرائرهم ، كان حقيقاً على الله أن يكون لهم في متوجههم معيناً ولنصرهم على عدوهم ضميناً إن شاء الله تعالى .

المؤيد وابن وثاب (٢) :

وتوجهت بعد ذلك إلى ابن وثاب لأخذه إلى مساعدة الجماعة على ما هم فيه وإفاضة الخلع عليه وطويت إليه ثلاث رحالات ، وطوى هو مثلها من بلده ليكون الملتقى على شاطئ الفرات ، فلما حصلت على شاطئ الفرات مغرباً وهو على مثله مشرقاً ، وقعت الماسكة في حال عبور أحدنا إلى الآخر ، فرمت منه العبور إلى بحجة خدمة السلطان — خلد الله ملكه — وأن خلفاءه محل القصد ومكان الورد ، وعلى أن يكون التقرير والتحرير معه في مضربه ، والخروج يكون منه ، وهو مشتمل على خلعه ؛ وتوقف توقفاً خشيت أن داعيته الفرق من خيل من كان يصحبني من جهة ابن صالح ، فراسلته أقول له :

(١) في د : الأئمة . — (ب) في د : ومن بعد .

- (١) سورة الحج آية ه .
 (٢) شبيب بن وثاب النيمري صاحب حران وكان يدعو للفساطميين هو وقرواش بن المقلد صاحب الموصل ولكنهما قطعاً خطبة المستنصر سنة ٤٣٠ هـ وخطبا للقائم العباسي ولكنهما أعادا الخطبة للمستنصر في ذي الحجة من هذه السنة ، وقد ذكرنا أنه كان في حروب مع شمال بن صالح على الرقة ولعل هذا هو سبب تخاذل ابن وثاب عن مساعدة المؤيد في أول الأمر .

«إن توقفتك هذا إن كان أنفة من أن تطأ بساط السلطان — خلد الله ملكه — فهو غلط إذ لم ينزل بساطه (أ) لأقدام الملوك موقفاً ، ولأفواههم مترشفاً ، وإن كان خيفة من الخيل الذين هم معى لكونهم خيل من بينك وبينه عداوة ، فاعبر إلى مستظهماً بثلاثة من خيلك تأخذهم معك مكان كل واحد من خيل غيرك» .

فامتنع عن ذلك بسوء رأى منه ومن أهل مشورته خطبه ، وكره الله انبعائه لخير ما دعى إليه فثبطه ، ونسكت عن العبور بحكم تجهزى فى الأمر العظيم الذى أنا مندوب له ، والحذر من مكيدة تتم على فيه لا اعتصاماً بعصم السلطنة ولا احتجازاً بحاجز (ب) الاعجاب والنخوة .

وكانت الوزير بما جرى منه فكان جوابه التنفيذ لى (ج) فى رأى القعود عنه ، والتذكير بمدافعتى فى معنى ابن صالح مشورة تخفض الجناح له ، والقول إنك دخلت فيما كنت لغيرك عليه لوأما ، والتمثيل فيه بقول الله تعالى : «يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً» (١) ولم يأو من النصفة إلى ركن شديد يميز (د) له بين ابن صالح وابن وثاب ، وأن ابن صالح بأذيال الدولة متذيل ، وبسربال الرهبة منها بحكم صقب المجاورة متسربل ، لكونه بالعدوة الدنيا ، وابن وثاب بالعدوة القصوى ، وأن هنالك أسباباً كثيرة من العقل والغبطة والأبهة والأنفة مجموعة إلى الحدة والمكنة تقبض عن موضع الخيانة (هـ) عنانه ، وتضم دونه أطرافه ، وأنى ما استرسلت إليه بعد هذه الأحوال كلها إلا بمقدمات من الكتب وتوثقات وتقريرات حصل الجأش منها على سوطى قدم من السكينة وموطن من الأمن والطمأنينة ، وأن ابن وثاب بالضد من جميع هذه الوجوه لكونه فى سكرة الغرة وغمرة الشيبية واشتاله على لباس تكبر الصعلكة ، وكونه وثاباً كاسم جده ، لا يفكر بما يأتى ويذر فى طلب وجده ، وأن العقل لا يقتضى استنامتى إليه بالبدية دون خبر لأحواله ولا سبر لأفعاله ، وأن لا أهدي نفسى لشركه صيداً ، أو أصلح لرجلى من تمسكه بي قيداً ، فلا آمن أن يتحف التركمانى خذله الله منى بأجل التحف ، ويأتيه بأسنى الطرف ، ويضرب من الرحى التى (و) نهضت لادارتها على القطب ، ويرسل سهمه فى جسم ما توجهت لصلاحه نحو القلب ، إذ لم تزل عين البغضاء تريك الحسن بصورة القبيح ، وعين الرضا تريك المكسور فى زى الصحيح .

(أ) فى د : بساط . — (ب) فى ك : بحجاز . — (ج) سقطت فى د . — (د) فى د : بمنزلة .

(هـ) فى د : الحياة . — (و) فى ك : إلتى .

(١) سورة التوبة آية ٣٧ .

المؤيد في الرحبة :

ولما رجعت عن ابن وثاب على الصفة التي أوردتها سرت إلى الرحبة وابن صالح وبنو كلاب جمعاً معي في الصحبة ، وهو يخدم الخدمة التي لا مستزاد عليها ولا مستضاف إليها ، في حفظ الخزائن والأموال ، وتيسيرها مسوراً عليها مخندقاً بأبطال الرجال ، إلى أن لقينا أبو الحارث والعسكر البغدادي على مرحلتين من «الرحبة» وإذا هم قد ضربوا مصافهم ، وضرب خيلنا مصافهم ، فرأيت العسكر تلاحق سيمته نحو الجبل ويمسرتة طرف الفرات ، وسمعت الأبواق تخرق الحجب بالأصوات ، ورأيت أقطار الهواء كأنها صبغت حمراً وصفراً من أصباغ خوافق الرايات ، ودخلنا الرحبة دخولا عليه من آثار السعادة وسم ، ولله تعالى في ضمنه مشيئة يمجسها في صلاح عباده حكم ، وتجاوزناها إلى شاطئ الفرات فنصبنا الخيام ، وحللنا عنده من خيلنا الحزام ، ووسطت جمعاً جمع كل قاطع زقاق ، وكل جلال من الناس ودقاق ، تراموا إلى تلك البقعة من كل آفاق ، كردياً وتركياً وعجمياً على اختلاف الجنس ، وعربياً من كل طامع ذي ناب من الطمع حديد ، ومقامع في الطلب من جديد ، فأخذت أخلع على أمراء الأعراب والأكراد الخلعة التي تبهر عيون نظارها ، من حيث لم يسبق لهم عهد بمشاهدة نظائرها وأمثالها ، إذ كانت الخلع العراقية لا تتجاوز أطماراً لا تجرى في مضمارها ، فكلمنا تجلي للأبصار شئ منها تجلي العروس من خدرها ، ارتفعت فجة الوحش من الركابية والسائية (أ) والحواشي العراقية بالدعاء للدولة العلوية ، والفحشاء من الشتيمة للجنابة (ب) العباسية . ونصبت في خلال ذلك ديوان التفرقة على الأتراك ، وجعلت ما لهم في الصرر مصرراً (ج) ولصناديق بين يدي مودعا ، وفتحت صحيفة الاستحلاف لهم بايمان البيعة جوقة على أن كل طائفة إذا استوفت عليها يمينها ، وفي حقها من المال ؛ وكان منهم من يحلف ويأخذ الذي يأخذه بالشكر ويضعه على الرأس والعين على ما جرت به عادة أخيار الناس ، ومنهم من يستقل القدر الذي يعطاه ويرده ، ظاناً أن الذي يصير إليه من بعد استحلافه فهو كالجزء عن يمينه التي أقسم بها وهو محقوق بأضعاف ما عرض عليه معها ، فلم تزل عادة السوء في هذا الباب تدب من قليل في كثير وتنتشر من صغير في كبير ، حتى قويت شوكة هذه الضلالة ، وتفرعت أصول هذه المقالة ، فحينئذ نصبت في القوم خطابة أصاب سهمي

(أ) في د : الساسة . — (ب) في د : للزنازة . — (ج) في د : في الصدر مصوراً .

فيها (١) إصابة ، وقلت : عفى الله عنكم ، اعلموا أنه ما قبضت الأكف منكم قط على مال هو أجل من هذا المال الذى تأخذونه ، لأنكم ما استغدت ديناراً من دياركم إلا ما طرقت مطارق كسر الكعاب ، وضرب الفكوك وقلع الأنياب ، وهذا المال مال ابن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ووصيه عليه السلام ، وجبايته من أجل الوجوه والأراضى ، فالدينار منها عوذة يشفى بها المرضى ، وهذا باب ينبغى أن تعلموه أولاً ، والباب الثانى أن فريقاً منكم قد خيل إليهم أن هذه الميرة التى أنعم بها السلطان خلد الله ملكه عليهم متى قابلوها بتقليد بيعته ، والدخول فى زمرة أوليائه وشيعته ، فقد وفوا بحكم مجازاته عنها ، وخلعوا عن رقابهم ربة المنة له فيها ، والسلطان خلد الله ملكه يريد أن يؤثر فى حالكم بحسن النظر تأثيراً لا يريد منكم جزاء ولا شكوراً ، وقد رأيت من رأى مسامحتكم باليمين ليكون طوق منة السلطان — خلد الله ملكه — فى رقابكم باقياً ، ولتمسكوا عليكم فعلكم الذى يقوم لفعله مكافياً .

ثم أنى أغربت عن تحليفهم جملة فسقط ما فى أيديهم وعادوا للشفاعة والضراعة فى استحلافهم ، وكان قد قام فى نفوسهم أنهم قد وجدوا على مضر با بقولهم إن المبدول لهم (ب) من رسم البيعة يقل عما يستوفى عليهم من أجله إيمان البيعة ، وأنهم يأخذوننى به إلى أن أنتهى معهم إلى آخر سوسهم خيفة من وقوف الأمر فى المبايعة ، فأكون بصورة من ضيع مالا ولم يصطنع رجالاً ، وما ظنننى أسلك فى شعب المسامحة باليمين وأبسط إلى جسم الممنون علينا به من يمينهم بمن (ج) تقطع الوتين ، ولما فرغت من شغل ذلك خلعت (د) على أبى الحارث أرسلان فى يوم مشهود وقرأت عهده على الناس وهذه نسخته :

عهد البساسيرى :

من عبد الله ووليه معد أبى تميم الامام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى صاحب الجيش : سلام عليك ، فان أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأل أن يصلى على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين وسلم تسليماً (أما بعد) فالحمد لله الذى حببنا ذوى قربي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قوم يبتغون بمحبتنا إليه القربى ، ويؤتون بها أجر رسالته ليوفيههم الله أجورهم ويزيدهم من فضله فى العقبى ، منهتين إلى أمره سبحانه إذ قال : «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى»^(١) فهم الواصلون بسبب

(١) فى د : بها . — (ب) سقطت فى ك . — (ج) فى ك : يميناً . — (د) فى د : خليت .

ونسب لا ينقطعان أسبابا وأنسابا ، المتخذون جناب المتقين في جنات عدن جناباً « إن للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا » يحمد به أمير المؤمنين أن جعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ، ونفذ في أقاصى البلاد مجردة بولائها عليهم (١) ويسأله أن يصلى على محمد جده خير علم للنجاة أقامه الله تعالى لهداية المهتدين ، وقطع بسيفه دابر الظالمين المعتدين ، وعلى وصيه على بن أبى طالب وزيره فى مغيبه ومحضره ، ونكاس الفوارس فى بدره وخيبره ، الناطق بالحكم على منبره ، وعلى الأئمة من ذريته العالمين العابدين ذرية المناجى (ب) بقوله : « وتوكل على العزيز الرحيم ، الذى يراك حين تقوم ، وتقلبك فى الساجدين » (١) .

ولما وجدك أمير المؤمنين من السابقين إلى النداء بشعاره فى ديار العراق ، والمبرزين بفضيلة السبق على أوليائه فى فضاء الآفاق ، المشمرين عن ساق الجد فيما يجعل عرصاتها بفيض عدله مشرقة بأنجم السعود ، ويعيد أعواد منابرها بذكر آل الرسول صلى الله عليه وسلم ناضرة العود ، مغسولة درجها من وطىء أقدام الأنجاس بماء الايمان ، مقصورة فروقها على الشاء منها على أهل العدل والاحسان ، رأى أمير المؤمنين — وبالله توفيقه — أن يطوقك طوق ولاية رجالها ، ويقيم على رأسك لمزية التقدم راية جمالها ، وينوط بك أسورها كلها ، ويكل إليك عقدتها وحلها ، وهو يوصيك بتقوى الله التى بها يفوز المرء فى مآبه ، وبجنتها يحتفى من أليم عذابه ، والنظر إلى الدنيا بالعين التى بها نظر أولياء الله الذين هم فى جناته يتنافسون ، تشبها لها بالحيفة المؤذية روائحها والكلاب عليها يتسكابسون ، فاجمع نفسك تحفظاً من ضررها ، وشمر ثوبك تصوناً من ضررها ، واتخذ من شريعة جدنا محمد صلى الله عليه وسلم عوذة تعيذك من شرها ، وفلكا تمتنع بركوبها من الغرق فى بحرها . والصلاة الصلاة فكن فى إقامة فرائضها وسننها جاهداً ، وللشيطان فى الوفاء بحقوقها مجاهداً ، قال النبي صلى الله عليه وسلم « أقرب ما يكون العبد من الله إذا كان ساجداً » واعلم أن شريعة الاسلام هى سلم إلى دار السلام ، مراقبها أركانها فالزم المراقى ، تنج من هول المطلع إذا بلغت النفوس التراقي ، واجتنب ضلة المحارم ، وعقلة المظالم ، وانظر إلى أبناء الجنس الذين تسوسهم وتروسمهم (ج) ، المضمومة إليك جسوسهم ونفوسهم ، أن تشلم بغير ما كسبوا مالا منهم أو عرضاً ، أو تحدث فى ما ضمنك الله تعالى من عهدتهم نقضاً ؛ إن المؤمن فى دنياه لفى نومة محصوها باليقظة ، فليخش من سوء صنيع تحفظ

(١) فى ك : وتغرى من أقاصى البلاد بحرة بولائها . — (ب) فى د : المناجى .

(ج) فى د : تسوسهم توقتهم المضمونة .

عليه الحفظة ، والله تعالى يسددك لخير ما يحفظه الحافظون على عباده العاملين (١) الخير
 لخير ما يؤملون ، المتوجه إليهم فحوى قوله سبحانه : «وإن عليكم لحافظين ، كراماً كاتبين ،
 يعلمون ما تفعلون» (١) . هذا عهد أمير المؤمنين إليك بولاية الرجال بشيراً بين يدي ما يتلوه
 عند ما يأذن الله سبحانه به من فتح الأعمال ، ودليلاً على (ب) نصر من الله جل جلاله تجرداً
 لحسامه ، وعنواناً لكتاب من يد اصطناع وليه تفض ختامه ، تأذن (ج) به إليك عاجلاً ،
 وأرسله طلاً من سماء إنعامه يتبعه وابلاً (د) إلى أن يأتيك من تقليده ما تلقى به إليك المساعد
 تقليدها وتصدق معه لك الأمانى مواعيدها ، فالمدرج به إلى ذروة المجد أمكن مكاناً ، وأثبت
 أركاناً ، وأقوى أساساً ، وأزكى غرساً ؛ فاعلم جمل وصايا أمير المؤمنين إليك وإقامة حجة
 الله تعالى عليك ، واعمل بها عمل الموفقين في المقال والفعال ، والمشفقين من خشية ربهم
 مالك عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وكتب
 في صفر سنة ثمان وأربعين وأربعمائة .

المؤيد ودييس بن مزير :

وكان ابن مزير (٢) وقريش بن بدران (٣) انحدرا إلى باب بغداد لاصلاح شأنهما مع

(١) في ك : العالمين . — (ب) في د : على نصرا . — (ج) في د : فادن . — (د) في د : دليل .

(١) سورة الانقطار آية ١٠ و ١١ و ١٢ .

(٢) نور الدولة ديبس بن مزير الأسدي صاحبة الحملة (حلة بني مزير) وهي مدينة كبيرة بين
 الكوفة وبغداد وكانت تسمى الجامعين ، وعاش نور الدولة ثمانين سنة ، كان فيها أميراً نيفاً وستين
 سنة ، تولى الإمارة في ذى القعدة سنة ثمان وأربعمائة عقب وفاة والده أبي الحسن بن مزير ، ولكن
 اختلفت العشيرة على ديبس وطلب أخوه المقلد بن أبي الحسن على الإمارة وسار إلى بغداد وبذل
 للأتراك ليعاضدوه فساروا معه وهاجموا ديبساً بالنعمانية ونهبوا حلته فانهمزم إلى نواحي واسط ، ثم عاد
 إلى حلته وثبت قدمه في إمارته ، وفي سنة ٤١٤ ع أقطعه الملك الرحيم حماية نهر الصلة ونهر الفضل وهي
 من اقطاع جند واسط فسخطوا لذلك وبعثوا إليه بالتهديد فقصدهم وهزمهم فاستنجدوا بالبساسيري
 وبذلوا له أن يأخذ نهر الصلة على أن يدفع عنهم نور الدولة ، واشترك نور الدولة مع الملك الرحيم في
 حروبه في فارس ، وصاهر البساسيري ، ولما دخل طغرل بك بغداد هرب البساسيري إلى حلة بن مزير ،
 فأرسل طغرل بك إلى ابن مزير بأبعاد البساسيري من بلده فاضطر البساسيري إلى الالتجاء إلى الرحبة ،
 ودعا ابن مزير لطغرل بك في ممتلكاته ، وكان ابن مزير يعد من حماة الشيعة ، ومن أكبر امراء العرب
 في عصره .

(٣) علم الدين أبو المعالي قريش بن بدران العقيلي صاحب الموصل ، أجمع أصحابه على تأميره بعد =

التركاني ، فوجداه خشن الملمس منهما ، صعب الذرى ممتنع الأركان فيما قصده من أجله ، يلتبس منهما أولادهما رهينة ، ويسومهما نقدة من المال ثقيلة ، فحين استقرى القرار «بالرحبة» كانت ابن مزيد اهجن عليه قصده حيث قصد ، واعتماده ما اعتمد ، وأحشه على الحاق بنا والسكون معنا ، فورد عليه الكتاب وهو فيما هو أشد من ضغطة القبر ، ويتجرع مما لا يكاد يسيغه من المتجرع المر ، فسرى عنه بوصول كتابي إليه ولمح أنوار الفرج به بين يديه ، فركب متن الطريق مواصلاً ليله بنهاره في الورد راكضاً على خيل الاعجال في القصد بموافقة من قریش على فعله ، وموافقة على أن يكون كل منهما في جانب يلي مكانه ويحفظ مشواه منه ومكانه ، فأى كفة من كفتي الميزان رجحت كان الذى هو منهما في الزاج رداءً لمن هو في الناقص ، يحفظ الأعز منهما الأذل والأكثر منهما الأقل ، فلما ورد تلقيته حذية (١) من الطريق ولقيته بالأهل والمرحب ، واعتمدت من قضاء حقه ما يجب ، فما هو إلا أن استقر به القرار ، حتى أحاط بما لم يحط به قبل من أمر أبى الحارث وتفصيل أحواله في تقديمه وتشريفه ، وأن المعد له أعنى ابن مزيد من التكريمات والتشريفات هو مما لا يخفى أثره في تضايقه ، فلبس لبوس الحسد ومد على الكافة بعد تحررها غشاء التفحيج والتبرد .

وأول من لقينى به أصحابه السؤال في تكليف ابن صالح عبور الفرات إليه ولقائه والسلام عليه ، فأشرت عليه بالاجابة إلى السؤال فلم يردنى (ب) فيها ، سوى أنه اجتمعت عليه وجوه عشيرته وضربوا أشد الالباء في وجهه وقالوا : نحن لا نمكنك من ذلك ولا نرى لك أن تفعله ، فهض إلى مستقرى معتصمى من كلامهم ، محتجزاً باجازتى لفعله عن ملاسهم ، فكانوا يدخلون إلى فوجاً فوجاً ، ويخاطبوننى على أنهم يقومون في وجهه ، ويردون اليد في وجه عبوره ، فأخذت اضج عليهم ، وأهجن قولهم إليهم ، وأقول إن النصيح له والودود من يجتهد

(١) فى د : جذبة . — (ب) فى د : يرددنى .

= وفاة زعيم الدولة بركة بن المقلد سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ، وفى السنة التالية سار إلى العراق فاستولى على الصالحية والحظيرة وحل بلال بن غريب وكانت تحت إمارته ووهبها الملك الرحيم إلى غيره فقوى قریش بذلك ولما علم بقرب وصول طغرلبيك إلى بغداد أسرع بالخطبة له وفتح الأنبار ونهب ما كان فيها للبساسيرى وفتح بشوقه فغضب البساسيرى وقصد الأنبار بجموعه فاستعادها ، ولما دخل طغرلبيك بغداد سنة ٤٤٧ هـ وثار الناس وقبض على الملك الرحيم ونهب دوابه ، امتدت الأيدى إلى مخيم قریش ومن معه من العرب وعلم طغرلبيك بذلك فأرسل إليه يعتذر وخلع عليه وأمره بالعودة إلى أصحابه وحاله .

في أن يحكم بينه وبين الناس الوداد ، لامن ينشئ الأحقاد ، ويمشى فيما يتضمن الفساد ، وفكرت في الأمر فرأيت أن عبوره لا يتم إلا بصلتي لجناحه وعبورى معه مساعدة له وممانعة لمن ينهاه عنه ، فأخذت بيده إلى المعبر فعبرنا ، وحين حصلنا في ذلك وفكرت في كثرة كلام الناس في المنع عن عبوره ، وأننى أهجم به في قل من أصحاب غيره ، وهم حساد نعم ، منفردون بأخلاق لهم وشيم ، داربى رأسى وضائق على أنفاسى ، ومنعت أن يقرن لفظين اثنين كلم بهما ابن مزيد بثالث دون أن يرجع في أمان الله ، فرجع وكانت هذه الوقفة صنيعة فبفضل الله لى بما هو أهله من الكفاية .

ثم أنه أعنى ابن مزيد أتانى بقصته (أ) وخرج على في زينته ، وكان أول ما لفظ به من لسانه ما سجل به على نفسه في الخور وضعف المنة بقوله : إن هذا الأمر الذى نحن بصددده أمر عظيم ، تقصر قوانا وقوى أضعافنا عن النهوض له . يقول ذلك على رؤوس الأشهاد ، وقد ألقى الناس من كل فج عميق يسمعون ما نناجى فيه ويبصرون . فناهتبه الكلام مناهبة وقلت : « بل العدو أضعف ناصراً وأقل عدداً من أن يكون له هذا الذكر ويعترض بشأنه هذا الفكر ؛ ومعلوم أنه ما مد باعاً بشدته (ب) وقتاله وما اتخذ سلاحاً غير مكره واحتياله اللذين هما رأس ماله . فدخلت أحماسه في أسداسه كيف رددت الكلام في فيه ، ولم أستوفه سماعاً حتى كذبت به فيه ، فأردت أن أجهز إليه عذراً يأسوكم الكلام الذى تمعر معه وجهه ، واحتد به طبعه ، فأسررت إليه وقلت : أيها الأمير إن الأمر لعلى ما قلت ولكن إفصاحك به في هذا النادى يقع موقع الاسجال ، ويضعف المشتد من منن الرجال ، وما الضرورة الداعية اليوم إلى أن نعتاض عن لسن القوة والافتدار لكن الضعف وسوء الاستشعار » .

ثم أنه فتح باب الطلب ، فأطال لسانه ووسع ميدانه ، وسلك بي (ج) مسلك من يحاول تعلقة (د) للمفاسخة ، ويبتغى سبيلا إلى المناقضة ، ولم أصبح يوماً من الأيام إلا على قوم من كبراء (هـ) أصحابه وكتابه قد بيتوا في أنفسهم مسألة كلامية وضمروا في قول الحال حجة معتزلية يصدموننى بها ، فكنت بمعونة الله أطمس أعلامها وأجعل جذاذاً أصنامها، وجعلوا يمينون بأمر لم تنكشف عنه أستار الغيوب ، ولم تقف على سر الله فيه المحجوب ، انهم إذا ملكوا بغداد يقيمون الدعوة بها لنا ، ويبتغون بما هو واقع في ميزان هذا الأمر العظيم أجراً وثمناً ، فقلت : يا قوم إن الذى يصل إليكم من إنعام الدولة أدامها الله تعالى فهو نقد ، والذى يصل إليها من

(أ) في د : بقصته وقصيصه . - (ب) في د : شرقه . - (ج) في ك : به .

(د) في د : بعلقة . - (هـ) في د : براء .

جهتكم فهو وعد ، وهذا الوعد الذى أحد طرفى حبله بأيديكم والآخر بأيدي المقادير غير مقتضى (أ) هذه المنافسة منكم فى النقيير والقطمير ، وإذا كنتم تبيعون السمك فى لج البحار بالغالى من السعر فخذوا خطى بأنتى أعفيتكم عن إقامة الدعوة لنا ببغداد إذا ملكتموها لتكون خالصة المنة فى رقابكم ، ولتكون المساحة بها ناسخة لآيات كتاب شرطكم (ب) وطلابكم . وكنت أقع معهم وأقوم على هذه النصبة مدة من الزمان وهم يتخطرون فى أذيال الترعن ، قولا أنى ألبس التشريف مرة ولا ألبس مرة ، وأننى أحلف كرة ولا أحلف كرة ، حتى إذا نشب فى المال الجزيل ظفره ، ولم تطوع له نفسه أن يوليه ظهره ، واستجاب للحضور والاستيثاق (ج) منه بالتحليف والاشتمال على ما خرج باسمه من التشريف ، حضر ومعه أصحابه المتكلمون عنه وسألوا فى نسخة اليمين أن تعرض عليهم ، فعفونوا فيها كل التعفين سؤالا فى كلمة منها أن تبدل (د) وأخرى أن تحذف منها وتعزل ، وكنت فى هذا العفن من صدر النهار إلى قرب من آخره ، فقلت : إني أسامح الرجل باليمين جملتها وتفصيلها ، وأكفيكم مؤنة هذه المقالات وتطويلها ، فأبى الله تعالى إلا أن يحكم عليه معاهدها وأن يعقد فى جيده قلائدها ، فاستحلف وشرف وخرج وهو غير طيب النفس ولا مغمور الجأش بالأنس . وكتب له من العهد ما هذه نسخته :

عمر ابن مزيبر :

(أما بعد) فالحمد لله ولى الحمد وأهله ، الناصر لدين الهدى والجامع لشمله ، والقائل وهو الصادق فى قوله «هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله» (١) يحمده أمير المؤمنين حمد المعتصم بحبله ، المتكلم على حول الله وقوته ، دون قوته وحوله ، المنتجز لميعاد نصره ، الموعود به فى أهل بيت خاتم رسله ، ويسأله أن يصلى على جده محمد أشرف الأجداد ، وعلى أبيه «على» العالى بفخره على السبع الشداد ، وعلى الأئمة من ذريتهما آبائه الطاهرى الميلاد ، الأجواد الأمجاد ، الركع السجاد ، شفعاء شيعتهم فى يوم المعاد . ولما استقر بحضرة أمير المؤمنين عليه السلام ما حباك الله من كرم الاعراق ، وكونك

(١) فى د : مقتص . — (ب) فى د : تشرطكم . — (ج) فى د : واستثنى .
(د) فى د : تبدل .

(١) سورة التوبة آية ٣٣ — الفتح آية ٢٨ — الصف آية ٩ .

بالولاء لأهل البيت عليهم السلام لمعة في أديم العراق ، وكون فم التدين به ناطقاً بلسانك ، وجسمه ممانعاً دونه بيدي سيفك وسنانك ، وتوطئتك بلادك لخائف تنزع عنه لباس المخافة ، وتقرب بينه وبين سهاد الأمانة بعيد المسافة ، ومظلوم يفرع من خريف الظلم إلى ربيع العدل، ومحل يقلع إلى مكان الخصب بها من محل المحل ، وشفعت هذه السيرة المرضية التي أوجبت لك الذم المرعية باجابتك من أمير المؤمنين منادى الايمان إذ سمعته منادياً ، واستضاءت بك بضوء فجره لما رأيته بادياً ، واهتدأوك بثاقب نجمه إذ رأيته شارقاً ، وتسرعك تحت لوائه لما رأيته خافقاً ، رأى أمير المؤمنين وبالله توفيقه أن يفيض عليك من خاص ملابسه ما تفيض به السعادة (أ) عليك ملابسها (ب) ، وتطيب لك منابتها ومغارسها ، ويحملك من خاص مراكبه على ما تتخذ به قمم الأفلاك مركباً ، وتجعل معه بيت مجدك إلى السماك مطنباً ، وأن يقلد من سيفه ما هو شعلة من سيف أبيه على بن أبي طالب عليه السلام المسمى ذا الفقار ، الذي صقله الله بماء تأييده ولوغاً في دماء المنافقين والكفار ، وأن يلقبك «بالأمير سلطان ملوك العرب ، سيف الخلافة ، صفى أمير المؤمنين» رفعاً بك إلى أعلا درج الاصطفاء ، وإنافة بمكانتك على مكانات الأشياء والأكفاء ، وأن يقلدك الزعامة على عرب العراق ممن يقتضى أن تكون أنت عليه زعيماً ، والوساطة لمن يبتغى أن يكون تبعاً لأولياء الدولة صمياً ، وأن يجعل إليك النظر في ذلك من حد شرقي الفرات إلى أقصى ما يفتح الله تعالى لأمر المؤمنين من البلاد ، وأن تنقلب إلى مشاورتك فيما يتعلق بالاصدار واليراد ، فأحمد الله الذي ولاك من عناية أمير المؤمنين بك قبلة ترضاها ، واشكر له على حاجة في نفسك من حسن ملاحظته قضائها ، وتغنم الدولة الطالبية التي لم تزل طالباً لأياسها ، ومتمنياً أن تتجلى شمسها من غمام التقية تجلى الشمس من غمامها ، وكن بسيفها ضارباً ، وبرمحها طاعناً ، واستنزل قطاع النصر بها مقياً وظاعناً ، ودم على أحسن ما أنت عليه من نشر أعلام المعدلة في بلادك ، والنظر لمعاشك ، نظراً لا يحرم من أمر معادك ، واجعل التقوى خير زادك ، ولا تغتر بالدنيا فان وعددها مكذوب ، وخيرها مسلوب ، واكدح لدار الإقامة لا يمسك فيها نصب ، ولا يمسك فيها لغوب ، فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين ورسمه واعمل عليه وبحكمه ، وطالع حضرته بما تتوكله من أنبائك وتتشوفه (ج) من تلقائك إن شاء الله تعالى .

ثم أن ابن مزيد شخص ببصره إلى الخابور وديار ابن وثاب على أن يعدل إليها ويشتو

(أ) في د : العبادة . - (ب) سقطت في د . - (ج) في د : تشوفه .

بها ويقطع الزمان متوقعاً ما يكون من أحداثه وتغييراته ، ولا يتمرس لمخاطرة اللقاء والحرب ، وأودع رحله وخزائنه ابن وثاب والمعتكفين عليه ، وقام من ركاب العصبية له على ابن صالح في النزول عن (ا) الرقة وأعانه عليه قوم آخرون من بني ورام (ب) والجماعة الذين مالوا عليه بميله ، وقالوا بقوله وحركتهم محركات الحسد لمضاغنة ابن صالح ومراغمته ، وقالوا إن الأمر الذي نحن بصدده من لقاء التركمانية لا ينكشف وجهه ولا يأتلف أمره إلا بتسليم هذه البلدة إلى ابن وثاب ليكون معنا ، ويده مضمومة (ج) إلى أيدينا ، وإلا وقف عن الاسعاد بما نريده المقدار ، وعن دورانه الفلك الدوار ، وكلفوني أن أنتزع من يد ابن صالح باليد السلطانية ، وإلا فسخوا الجمع وانتشروا في الأرض ، ونسخوا آية إبراسهم بآية النقض ، فكنت أسعى بينهم وبين ابن صالح في دعائه إلى ما يريدون وإبائه سعى امرئ بين سباع تتهارش ، وذئاب تتجارج وتتخادش ، واعلم أن المطلب علاقة حجة بها يتعلقون ، فيأخذ كل واحد منهم طريقاً ويتفرقون ، من بعد أموال جزيلة فرق فيهم جمعها ، وقنوان دانية من النعم والخيرات أسبق (د) عنها لهم طلعها ، وكنت أصبح وأمسى في أثواب من انقطعت به الحبال ، وضاعت على يده الأموال ، وضاعت به من الهن السهول والجبال ، غير أنني أظهر في خلال ما أقاسيه جلدًا ، ولا أشعر بحزازات قلبي أحدًا ، وأصرف (هـ) الأمر فيما يتعلق بالتيسير (و) ، وأنكر دواعي التوهين لأمره (ز) والتفتير .

ولما أراد الأمر في سير العسكر أن يستدف ، وركبهم فيه أن يخف ، وقد عبروا إلى شرق الفرات وردت النجدة الدمشقية من أسراء بني كلب (ح) الذين كان شاب سواد ناظري من انتظارهم ، فلقيتهم وأحفيت بهم ، وما نزلوا حتى تنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى ولم أدر بيان ما هم فيه ، حتى قام ضجيجهم بالشكوى قولاً أنهم جردوا على أن يشهدوا جمع الكلابي والعقيلي والنميري (ط) خارجاً عن الجمع التركي والكردي وباتفاق هذه الجموع كلها يشقون خيط الفرات ، وأنهم لا يفتحون الآن عيناً على جنس من هذه الأجناس ويرون بيان الأمر في تجريدهم موضوعاً على غير ثابت من الأساس ، وإذا كانت الصورة هذه فهم لا يبلون من ماء الفرات في معنى العبور قدماً ، ولا يتخطون إلى دار عدوهم فيهدرون لأنفسهم دماً ؛ فرأيت أسراً منكراً ، وشيئاً يدع المستبصر متحيراً ، وأنهم إن توقفوا عن العبور ، قضوا بوقوف الأمور ، وكسر الحاجات في الصدور ،

(ا) في د : على . - (ب) في د : بني آدم . - (ج) في ك : مضمونة . - (د) في د : انشق .
(هـ) في د : احرز . - (و) في د : التيسير . - (ز) في د : لأمر . - (ح) في د : بني كلاب .
(ط) في د : النهوى .

وكان شماتة الأعداء من (أ) العسكر العراقي بهم ، وهم خاصة عسكرنا إذا رأوهم في مضمار المخالفة والتخلف ، وإظهار الخوف والتخوف ، أشد من كل شيء ، فمد لى معهم من الصداق ما لو كنت بليت به وحده لكان كافياً ، وكان جديد ملبس الثياب (ب) ببعضه بالياً ، وقلت : فضحتمونا (ج) بورودكم فليت الله ما أوردكم ، ولم يزل عنان الخصومة بيني وبينهم يتجاذب والغرض المقصود منهم تارة يتباعد وتارة يتقارب ، حتى أذعنوا للعبور وركنوا إلى السير من بعد أن سألوا في نفقة شهر حملت بصحبته أن يحسب بها عليهم لعشرين يوماً فأجبت إليه ، وساروا هم والعسكر أجمعون ، وهم في أذيال الفترة والونية يتعثرون ، وكان سبيلهم سبيل من كنى الله عنهم بقوله في شأن البقرة «فذبوها وما كادوا يفعلون» (١).

(٢) المؤيد وقريش بن بدران :

وكان قريش بن بدران في حيز التركمانية على ما تقدم ذكره وقد عقد معهم عقده ، وعهد في طاعتهم عهده ، ولما استهدف مسير عسكرنا نحو داره من الموصول كاتبته بكتاب أذكر فيه إنعام الدولة عليه وعلى أسلافه من قبله ، وأذكر أنه إن كان الله تعالى قضى لهذه الدولة العلوية بما وعد باظفار وإظهار فلا ترضى لنفسك أن تكون شجى في حلقها ونغصاً في صدرها ، والمقادير أقوى منك يداً [وأبسط من] (د) قدرتك قدرة ، فلا تكن لسهام اللوائم هدفاً ، ولا في وجه نهار الهدى من ظلام الضلال كلفاً . فأجاب عنه جواباً ما شفى ولا كفى .

وسار العسكر إليه المسير الذي على عينه من الونية سنة ، وفي رجله من التقاعد والتقاعد عقله ، وبعضهم يموج في بعض فمهم من في القتال همه ، ومنهم من في التزاور (هـ) عنه إلى الخابور عزمه ، وكان الأرجاف بورود التركمانية نجدة لقريش متصلاً غير منفصل ، فلما قضى الله تعالى ما قضى به من التحام ، فقام مؤذناً [بتقطيع الأرزاق والآجال (و)] كان إرجاف المرجفين بالقللة من دون الكثرة ، والضعف من دون القوة ، كما لا يصيب القلوب نخب

(١) في د : والعسكر العراقي . — (ب) في ك : الثبات . (ج) في د : فضحتموني .
(د) في د : سقطت . — (هـ) في د : التزاود . — (و) في د : بتقطع أرزاق وآجال .

وليصدق في الطالبين لأعدائهم طلب ، فلم يزل المقدار يحرك إحدى الفئتين للأخرى حتى التقتا ، فسالت على التركمانية سيول الطعن والضرب حتى قذفتهم في بحر الحين ، فكانوا كما قال الله تعالى : «قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين» (١) وأفاء الله برحمته عسكرنا مغنا من حيث اتقوا مغرباً وطوقهم مجداً كانوا متشاقلين عنه جداً (٢) ، وكتبت إلى مجلس الوزارة في معنى الفتح بما هذه نسخته .

كتاب المؤيد بالانتصار في سنجار :

كتابي وعوايد الله تعالى للدولة النبوية أدامها الله تعالى في النصر والظفر ، المرصعة تيجانها من حسن نظر الحضرة السامية الوزيرية بنفائس الدرر ، تذلل لها الرقاب ، وتسمل الصعاب ، ولما كان قريش بن بدران الخائن مع المتعارف من إنعام الدولة أدامها الله تعالى عليه وعلى سلفه من قبله الانعام الذي سارت بذكره الركبان ، وأنشد قلائد فخره الزمان

(١) سورة آل عمران آية ١٣ .

(٢) هذه الموقعة هي التي تعرف بموقعة سنجار والتي كانت في آخر رمضان سنة ٤٤٨ هـ (راجع الاشارة إلى من نال الوزارة ص ٤٤ ومראה الزمان حوادث سنة ٤٤٨) .
وفي ابن الأثير ج ٩ ص ٤٣٠ ان ذلك في أول شوال سنة ٤٤٨ هـ ، ويفهم من خطاب المؤيد بالتهمة بالعيد أن الأصح رأى ابن الأثير . والذي ورد في ابن الأثير [ج ٨ ص ٤٣٠] عن هذه الموقعة أنه في سلخ شوال كانت وقعة بين البساسيري ومعه نور الدولة ديبس بن مزيد وبين قريش بن بدران صاحب الموصل ، ومعه قتلмыш وهم ابن عم السلطان طغرل بك ومعه أيضاً سهم الدولة أبو الفتح ابن عمرو وكانت الحرب بسنجار فاقتتلوا بأشد القتال بينهم ، فانهزم قريش وقتلмыш وقتل من أصحابهما الكثير ، ولقى قتلмыш من أهل سنجار العنت وبالغوا في أذاه وأذى أصحابه وخرج قريش بن بدران وأتى إلى نور الدولة جريحاً ، فأعطاه خلعة كانت قد نفذت من مصر فلبسها وصار في جملتهم وساروا إلى الموصل ، وخطبوا لخليفة مصر بها وهو المستنصر بالله وكانوا قد كاتبوا الخليفة المصري بطاعتهم فأرسل إليهم الخلع من مصر للبساسيري ولنور الدولة ديبس بن مزيد ولجابر بن ناشب وللقبل بن بدران أخى قريش ولأبي الفتح بن ورام ونصير بن عمر وأبي الحسن بن عبد الرحيم ومحمد بن حماد وانضاف إليهم قريش بن بدران . وهذه الموقعة هي التي أشار إليها الشاعر ابن حيوس بقوله :

عجبت لمدعى الآفاق ملكا وغايته ببغداد الركود
ومن مستخلف بالهون يرضى يذاد عن الحياض ولا يذود
وأعجب منهما سيف بمصر تقام به بسنجار الحدود

وجاء في مرآة الزمان أنه أرسل إلى مصر ألفي رأس ومائتين .

من بدل نعمة الله كفراً وعرفه نكراً ، وولى ولى نعمته ظهراً ، وصبا إلى التركمانية أبادهم الله الذين هم شياطين الانس بالحقيقة ، ولا يكاد يصبو إليهم ولا يرضى بفعلهم إلا شر الخليقة ، لأنهم سفك الدماء وهتك الأستار ، وآفة البلاد وعاهة الديار ، وكانت الحضرة السامية لا تؤثر أن تكون غاشية الظلام لعين بصيرته تغشى ، ولا ترى إلا ما يرى الله سبحانه في فرعون حين قال وقوله الحق : «فقلوا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى» (١) ، وكانت مكاتباتها تردني بتأليفه واستعطافه ، والاحتواء بالمواعظ الحسنة عليه من جميع أطرافه ، وكنت قد قبضت يدي عن (١) مكاتباته بالجملة فرقاً من أن يكون بكتبي عند التركمانية ينفق وبها لديهم يتسوق (ب) ، وإشفاقاً من كون أخيه رضى الدولة (٢) ومختصها وغيره من عشيرته المسرعين إلى الطاعة المتمسكين بعروة التباعة إذا شعروا بكوني أحرص على خيره وأسرع في صلاح أمره لبسوا ملابس النفور ، واعتاضوا من صدق في الخطاب (ج) بزور ، فلما رأيت للحضرة الوزيرية وجهها عن التلفت إليه لا يعرض ، ويداً عن المكاتبة بتأليفه (د) لا تقتبض ، كاتبت سرّاً من الجماعة مكاتبة الحذب البار ، أجمع عليه بين الاعذار والانذار وأنه لمواقع الغلط الذى يؤلف له بين العار والنار في مضاهاة هؤلاء الكفار الأشرار وأقول له إن كان الله قضى لدولة الحق أدامها الله تعالى بالظهور وعلى أعدائها بالثبور فحاشاك أن تكون في صدرها غصصاً ، وفي عينها قذى وفي عيشها نغصاً ، فأجاب جواب المغالط في كلامه الخابط في ظلامه ، فحين رأيت الأمر من جهته مبتهماً واليأس من صلاحه مستحكماً اقتضت الصورة أن نفوق إليه سهام الطلب ، وأن نسكت بلسان السيف لسان الخطب فعبرت العساكر المنصورة الفرات نحو صوب داره ، وصرفت وجهها إليه متبعة لآثاره ، فكتب إلى الغز خذلم الله تعالى يطلب النجدة وأخذ يعد للقاء العدة ، فلم يمكث إلا قليلاً حتى أتته من الغز صليبتها (هـ) في أربعة آلاف تتخطر في أذيال البغى ، ولحقته جهرتها تمتطى غارب الغى فما هو إلا أن أقبل بحر الجيوش المنصورة تتدفق ، ونشرت الرايات المستنصرية فهى في الهواء تخفق ، ونادت العساكر المنصورة بالشعار المستنصرية نداء كاد به يخرق الحجاب وعوت التركمانية الخاذيل كما يعوى الكلاب ، حتى سيقوا في حلبة الوغى سوق الغنم ، ونهلت السيوف من دماهم كما ينهل العطشان من الماء البشم ، وقتل منهم الخلق الذى لا يحصى

(١) سقطت في د . - (ب) في د : يتسوق . - (ج) في د : الخليفة - (د) في د : بتعالفه .

(هـ) في د : عليتها .

(١) سورة طه ٤٣/٢ . - (٢) رضى الدولة مقبل بن ندران .

عدداً ولم يسلم إلا بقية يسيرة أصبحوا شعاعاً بدداً ، ولولا هجوم الليل لأحاط بصغيرهم وكبيرهم سرادق الويل ، فالحمد لله الذى فتح لأمير المؤمنين فتحاً مبیناً ، وأيد بسيفه دين الاسلام الذى أكمله ورضيه للمسلمين ديناً إن شاء الله تعالى .

خطاب آخر يذكر الانتصار :

وورد سجل معظم بذكر العيد فكتبت جوابه بما أوردت فيه ذكر الفتح وهذه نسخته :

كتب عبد مولانا صلوات الله عليه وعناية الله سبحانه لوليه ابن نبيه لا تزال تظهر لاعتلاقه بجبل التأييد برهاناً ، وتشق له من أعطاف عظم سلطانه سلطاناً ، وتركب فى قنا عزماته من جانب حسن التوفيق سناناً ، وتبسط لعبيده فى مقامات القائلين الفاعلين يداً ولساناً ، ووصل ما شرف به العبد مقصوراً على ذكر العيد الذى جعل الله مولانا تحقيق مجازه ، وأحله من فاخر لبسه محل طرازه ، وتجلي شمس الخلافة من برجها إلى المصلى ، تجلها جلال البهاء ، وتجدد العهد بجلال مقام جدها خاتم الأنبياء ، وأبيها سيد الأوصياء ، صلى الله عليهما وعلى الأئمة من ذريتهما البررة الأتقياء ، يزف فى حلل الامامة وحلاها زفاً ، ويذكر بنزول الحفظة الكرام لحفظها قوله : «وجاء ربك والملك صفافاً» (١) يحتاشها من عسكر الاسلام وأهل دار السلام الخلق الذى يضيق بكثرتهم لجسم الدنيا على سعتها المخافق ، وتتشعر الأرض خوفاً إذا مشوا عليها وترتج الجبال الشواهد ، وتخفق على رأسها من الأعلام التى عليها أعلام نصر الله الخوافق ، حتى إذا قضى مولانا - والله يخلد ملكه - وطراً من إقامة مناسك عيده ، والقيام عن ربه سبحانه بابلاغ (١) وعده ووعيدة ، ونثر درراً من ذكر توحيد جل جلاله وتمجيده ، رجع إلى قصره المشمول بالاقبال المأهول بالانعام والافضال ، والنفوس بسبوغ السلامة جذلة ، ووجوه السعادة بحمد الله ومنه متهلة ، ووقف العبد عليه وقوف الحامد لله تعالى على أسنى نعمه فى تأييده نصر مولانا وإعلاء كلمته ، الراغب إليه جل ثناؤه وفى تبليغه أقصى مرامى همته ، ومما قام منه الاعجاز فى وقوع إجابة مولانا خلد الله ملكه إذ هو يدعو بالنصر لأوليائه وعسكره ، وافتتاحهم قتال

(١) فى د : بلاغ .

الغز في اليوم بعينه ، وهو خلد الله ملكه بالحدس (١) قائم على منبره ، فما كان إلا صوتاً من دعائه أجابه صوت من حسن الاجابة ، فنهبت أرواحهم بأطراف السيوف النهاية ، فما نزع النهار عنهم رداءه المصقول ، إلا وقد أجرى الله تعالى من دم أوداجهم السيول ، فاشتملت عدة القتلى على ألفين وسبعائة نسمة ، ممن لو كانوا بهذه العدة غنا لكان الاتيان عليها في بياض يوم واحد مستعظماً ، وما أصيب من العسكر المنصور إلا دون العشرين ، على بسالة الغز الملاعين ، وكونهم مطرين مطر المنايا من سحب القسي سوى (ب) ان الله تعالى أوهن كيد الكافرين ببأسه الشديد القوى كياهانه من (ج) الحبال والعصا مؤلف كيد الحبال والعصا ، فالحمد لله الذي جعل أعداء الدولة حصائد حسامها ومصائد انتقامها وهو جل جلاله المسئول أن يصفى لها مشارب النعم ويجمع على طاعتها كلمة العرب والعجم وأن يصلى على محمد وآله والسلام .

دفول الموصل :

وحكى الناس أنه لما كان يوم الحرب فرق ابن مزيد هوادج طعائنه ونسائه في قبائل العرب من السكبي والعقيلي والنميري وهن منكشفت الوجوه ينادين : يا للعرب!! يا للعرب!! ملهبات نار العصبية ومذكيات جمرات الأنفة والحمية ، فكان هذا الفعل من وجوه الرأى التي أدارت رحي الضرب والطعن ، وقضت على أجساد التركمانية في مطاحنها بالطحن . فلما أتاح الله سبحانه الظفر ضاحكة مباسمه ظاهرة معاملة ، طرح ابن مزيد من زمامه على حلل قريش وحريمه درقته ، وأظهر لحسن مراعاته شفقتة ، ذلك ليزيل من حسن عهده عوارض الريب (د) ، وليعلمه أنه لم يخنه بظهر الغيب ، فجعل يد أبي الحارث مغلولة إلى عنقه ومسدوداً دون التعرض لشيء مما تعلق به جميع طرقه ، فدخل الموصل قاهراً وكأنه المقهور ، وغالباً وكأنه المغلوب ، لا يملأ عينه من حلل (ه) قريش وماله ، ولا يخطر التمسح بمد اليد إليها بباله ، فشجره الانقياد لابن مزيد في هذا المجال إبقاء على صهره الذي هو ابن مزيد (١) واتقاه مساخط الحرم اللواتي يطيعهن الأتراك طاعتهم لرب الحل

(١) في د : الحدس وفي ك : الجدس . - (ب) في د : ثم . - (ج) في ك : كياهانه حبال .

(د) في د : الذئب . - (ه) في د : رجال .

(١) في سنة ٤٤٤ هـ زوج ديس ابنه بهاء الدولة بابنة أبي البركات بن البساسيري (راجع ابن الأثير ، حوادث سنة ٤٤٤ هـ) .

الحرم ، ولولاهن لما ذهب مع ابن مزيد في هذا المذهب ، بل بارزه دونه بالسيف فخاص البطون من الطوى خاوى عروش القوى (١) من الجوى ، يملك بلداً بالسيف ، فيملكه غيره صابراً على الحيف ، ويكون هو فيه بمثابة غير المكرم من الضيف ، واجتمع ابن مزيد وابن ورام (١) بأبى الحارث بعد مديدة يسألونه في مصالحة قريش ويحتجون بأن المسير من الموصل لا يمكن شد الحزام فيه إلا بمصالحته ولا يستوثق (ب) إلا بمصاحبته وموافقته ، ولو أنهم لم يقبضوا يد أبى الحارث عنه في الأول [في الاحتواء عليه] (ج) لكان عظمه بيد الزمان كسيراً ، ولكان إلى أقل نظرة من نظراته فقيراً ، لكنهم ثبتوا سهيض جناحه ، وأوقدوا منطفي مصباحه ، واجتمعوا وتصالحو وجددوا (د) بينهم من الحلف ما طال ما لعبت به يد النكث والخلف ، ووصلهم من المال ما توزعوه بينهم ، وساروا منحدرين إلى القيارة (هـ) وكان التركمان أيضاً خذله الله سار من بغداد مصعداً إليهم في ظاهر أمره ، إن استلان منهم جانباً ، ومجنباً عنهم نحو بلاده في باطنه إن استخشن مسلمهم ومجانباً ، فكان سيره سيرة المتوانى تقيداً بقاء العجز والتوانى لروعه من الوقعة «بسنجار» ، فائضاً خوفها على أنفاسه ، مفرقا بين جفنه ونعاسه .

خطاب المؤيد بفتح الكوفة :

وبينما هم في ذلك إذ ورد كتاب محمود بن الأخرم (٢) بفتح الكوفة على ساكنها السلام فكتبت إلى مجلس الوزارة بما هذه نسخته :

✓ كتب عبد سيدنا وما تطلع شمس يوم مجدد ، إلا ويقضى الله سبحانه فيه للدولة النبوية أدامها الله وله الحمد بفتح مجدد ، وما يسفر عن وجه سعد إلا ويكون بشيراً بين يدي ما يتلوه من السعد بعد السعد ، وكل ذلك باقبال سيدنا ويمن تدييره ، وكتاب عبد سيدنا وقد وصله في ساعته هذه كتاب الأمير شهاب الدولة مبشراً بفتح الكوفة على ساكن مشهدها السلام أمير المؤمنين على بن أبى طالب صلوات الله عليه وبركاته وتحياته ،

(١) في د : القرى . — (ب) في د : يسعف . — (ج) سقطت في د . — (د) في د : جدد .

(هـ) في النسختين : القيازة والتصحيح عن معجم البلدان لياقوت وهى بليدة بجوار واسط .

(١) هو أبو الفتح بن ورام ولم نستطع تحقيق شخصيته لعدم وضوحها في كتب المؤرخين ، ولعله كان أحد أمراء إحدى المقاطعات العديدة التى امتاز بها العراق في القرن الخامس للهجرة .
(٢) ولكن في مرآة الزمان أن الذى أرسل بذلك هو بدر بن على الأسدى أخو ديس .

ومصير فوق منبرها بالدعاء لمولانا أمير المؤمنين خلد الله ملكه متوجاً ، وصبح سعادة أيامه في عرصاتها متبلجاً ، واستبشار الخاصة والعامة بما من الله تعالى به عليهم من محو آية ليل الظلم (١) بآية نهار العدل ، والأفضاء بهم من محل المحل ، إلى ربيع الانعام والفصل ، والحمد لله الذي [جعل شمس سعادة مولانا أمير المؤمنين من سماءها بازغة] (ب) وحيمة الله في إيراثه الأرض كما وعده بالغة ، وأسأله أن يصلي على محمد وآله وأن يجعل ما مده عليه في ظل تأييده ساكناً وحرماً في عين الكمال آمناً ، وأن يبقى سيدنا لأغلاق الممالك مفتاحاً ، وفي ظلم الأمور وكشفها مصباحاً ، وهو ولي الاجابة والاستجابة برحمته ، وقد طويت هذه الخدمة على ماورد من الأمير شهاب الدولة ليرى في الوقوف عليه على الرأي ، وفي الأمر باجابتى عن هذه الخدمة وتصريفى على أمثلته المطاعة وقد تتابعت خدمى بالاستعانة والاستمداد ، والتماس ما ينهض من الموصل لبلوغ تمام المراد ، مادام العدو في نار ذل أحاط بهم سرادقها ، ومدرجة صعوبة ضغطته من جميع الجوانب مضائقها ، فالله الله فان الأيام في هذا الوقت فرص تنتمز وعدة تستنجز والله تعالى يعقب خيراً ويجعل بعد عسر يسراً برحمته .

خطاب المؤيد بإقامة الدعوة في واسط :

وبعد مديدة يسيرة ورد كتاب ابن قائد بن رحمة^(١) بإقامة الدعوة بواسط وضرب السكة بها ، فكتبت فيه إلى مجلس الوزارة بما هذه نسخته :

كتب عبد سيدنا ونعم الله تعالى للدولة أدامها الله تعالى منهل السحاب ، وجنة سعادتها بحسن نظر سيدنا مفتحة الأبواب ، والحمد لله حمد الشاكرين ، وقد كان في خبيثات المقادير ، المكون علمها عند اللطيف الخبير ، سبحانه وتعالى عن الشبيه والنظير ، من الفتوح التي يلحق تاليها السابق ، وينظم الله تعالى في سلكها مغارب الأرض والمشارك ، ما ركض

(١) في د : الليل المظلم . - (ب) سقطت في د .

(١) ابن قائد بن رحمة أمير واسط وذكر في ابن الأثير ومراة الزمان أن ذلك كان في ذى القعدة سنة ٤٤٨ هـ وأن الذي قام بالدعوة بواسطة ابن فسانجس وكان معه عدد من الديلم والترك وانه نهب قرية الخليفة وبيض حائط جامع واسط ومحا ما كان على قبلته من ألقاب بنى العباس ونصب على المنبر لواءين أبيضين وخطب لصاحب مصر وضرب النقود باسمه .

سوالينا الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين نحوه بخيل الاجتهاد ركضاً [وهجروا وراءهم بآيات ذكر في صحيفة مجدهم غمضاً] (أ) فوقف بهم دونه الزمان ، وقصر عن العروج في معارج فضله من جميعهم الاسكان ، وألقى الله تعالى وله الحمد إلى مولانا أمير المؤمنين صلوات الله تعالى وعلى آبائه الطاهرين سهلاً (ب) مقاليد ، وذخر لسيدنا بثقوب الرأى في حل عقوده أحاديثه وأسانيده ، فلا زال ملبس سعدهما ما اختلف الجديدان جديداً ، وظل إقبالهما ما امتد الظل مديداً باذن الله تعالى ، ومما يجب المطالعة به ذكر مستجد نعم الله سبحانه بقيام الدعوة الميمونة على منابر واسط وأعمالها وعموم المسرة به لمن تحويه تلك الأصقاع من نساءها ورجالها أن يدهم الله تعالى عن دولة الجور دولة العدل ، وأوى بهم إلى حرم الفضل وجعلهم في مملكة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فألبسهم الله بهذه الأكرومة (ج) أفخر اللباس ، وألحقهم بمن توجه إليهم فحوى قوله سبحانه «كنتم خير أمة أخرجت للناس» (١) إن شاء الله تعالى .

موقف ابن مروان بعد موقفه - سنجار :

وكان ابن مروان أول من استجاب دولة التركمانية في الديار ، وشرع في سطوع دخان هذه النار ، فشخصوا بأبصارهم إلى معاقله وحصونه ينصبون عليها في حيلة التملك الأرصاد وسلم المكر والفساد ، وطار كرى الطمأنينة (د) لما أحس ذلك عن عينه ، وعلم أنهم يحسنون المغافصة (هـ) فيما يؤدي إلى حينه ، فنفض عن الرصد أمر (و) مزابطها من الأعاجم (ز) قدسهم والأحداث ، ولم يدع بها إلا من لا تطول إليه يد الشبهة ، ولا يقع في كفة ميزان الظنة ؛ وحين رآنا مجردين لسيوف العزائم في لقاءهم وشادين لأزر الغلمان البغدادية الذين أخرجوهم من ديارهم وأبنائهم ، انبعثت نفسه لأن يقوم معنا في إيهان كيدهم وهد ركنهم ، قياما يكون عليه غاشية من اللبس ، ولا ينقسم جسمه إلى صفتي اللين والخشن لدى اللمس ، فلما تكاثفت (ح) الجيوش من الأعراب والأكراد والأتراك

(١) في ك : وهجر وزرائهم باثبات ذكرهم في صحيفة مجدهم غمضا . وفي د : مجده .
(ب) في د : نهلا . - (ج) في ك : السكرامة . - (د) في د : الطاغية . - (هـ) في د : المخاصمة .
(و) سقطت في : د . - (ز) سقطت في د . - (ح) في د : تكاثفت .

بالجزيرة جرد النجدة من رجاله ، وتكلف عليهم الكلف من أمواله ، وهو مع فعله هذا لا يقطع خطبة التركمانية عن منابر دياره ، وقد قطعت بالموصل التي هي أدنى جوار من جواره ، وبواسطة الكوفة كمثل ذلك ، ويجعل الحجة فيه رسولا أرسله إلى مصر لأمر يبرمه ، وتقدير يقرره ، وأنه لا قبل له بأن يتعرض بغير نصبة حاله حتى يعود رسوله ، وإضماره في ذلك أن يكون معه امهال (١) حتى تخرج الأرض أثقالها في أمر الفريقين ، فإن كان لنا : كان وقوفه على انتظار الرسول عذره في شأن الخطبة ، وإن كان علينا : أمتن على التركمانية بتفرده من دون الناس كلهم بحفظ النصبة ، واعتذر أن النجدة التي أنفذها لم ينفذها إلا رداءً عن نفسه ، ومنافاة للجموع الكبيرة التي لو لم يفتح لهم باب المساعدة لأخذوا عليه باب بيته ، فكأنه أعد لكل من المقامين مقالا ، ورتب سؤالا وجوابا ، ولما كان ذلك مما لا يخفى مثله على ذوى الرأي والحنكة كاتبتة في فصل من كتاب بما هذه نسخته .

خطاب المؤيد إلى ابن مروان يدعو لتأييده :

وأما اعتذاره عند التوقف في معنى الدولة الشريفة وإقامتها ، ووقوع التربص بها إلى حين عودة (ب) الشيخ أبي الحسن بن بشر^(١) بالتقارير التي تطمئن بها القلوب ، وتنشرح معها الصدور ، فعذره في هذا الوجه يحتاج إلى عذر ، وذلك أنه قام في غيره من الأمور التي هي أشد وطأ وأثقل محملا [وانكا نكاه القيام] (ج) المشهور ، وسعى السعى المشكور ، وارجاء هذا الوجه فطواه في مطاوى الفتور ، فإن كان التربص به توقع ما يحدثه الزمان فإن كان لنا فتح من الله قالوا «ألم نكن معكم» وإن كان للكافرين نصيب قالوا «ألم نستحوذ عليكم ومنعكم من المؤمنين»^(٢) الذي هو نص قول الله تعالى ، ومثل الخبر فكذلك إن كان لنا فليس يفوتهم إذ ذلك إقامة الخطبة ، وإن كان علينا والعياذ بالله كانوا قد استبقوا مع العدو خذله الله في الأمر بقية ، وجعلوا ترك الأمر على جملته لديهم مائة (د)

(١) في د : مهمل . — (ب) في د : دعوة . — (ج) سقطت في د .

(د) في د : مائة ومائة بمعنى اتقاء .

(١) هذا هو الرسول الذي أوفده ابن مروان إلى القاهرة ، ودولنا أن نعرف شيئا عن هذا الرسول ولكن بدون جدوى .

(٢) سورة النساء آية ١٤١ .

فهذا رأى ينافى الصواب ، وطريق يباين الاستقامة ، فهو يعلم يقينا أن إقامة الدعوة لنا ونداءه لشعارنا لا يعظم عن موقعهما إلا مع إشراف (أ) العدو ، واستوائه على مركب العتو ، فأما إذا تفضل الله بفك أنيابه ، وقطع أسبابه ، واستجابة الديار ، وأسعد على تذليل الصعب المقدار ، فأى طعم (ب) يبقى لخطبته إذا خطب ، وقد غار ماء رونقه ونضب ، وأما ما يخرج حاسب التوهم الذى لا يثبت مثله العقل ، ويمحوه لطف الله وجميل صنعه من أنه ربما وقف الأمر والعياذ بالله فكان عنده مرموقاً بعين من اقتصد فى الفعل ، ولم يمل معنا كل الميل ، فذلك أيضاً قصد غير صحيح لكون ذلك متعلقاً بامتداد باع العدو — خذله الله تعالى إليهم والله يعيدهم منه — أو قصرها ، فان قصرت باعه كان الفكر باقامة الدعوة شفعاً للفكر بالانجاء ، وتجريد العسكر الذى ليس بخاف أمره ، وإذا لم يخلص ضرر من ذلك لم يخلص من هذا أيضاً ، وإن طالت باعه — لا أطاها الله — فهم الذين قال الله فيهم «لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة» (١) كان هذان الأمران ، أم لم يكونا ، ومع هذا كله فمعلوم أنه إن تفضل الله بالدفع فى وجه هذا العدو المضل المبين ، فما هو إلا جرثومته التى قطعت وأنيا به التى قلعت ، لكون ذلك أمراً هو بنفسه حاضره ، وبخيطة رقبته مباشرة ، وإن — والعياذ بالله — كان على أصحابنا — نصرهم الله — فان صاحب الأمر ولى النعمة — خلد الله ملكه — على مسيرة خمسمائة فرسخ لا يحل به كثرة وهن على تكاثر عدده ووفور عدده واتساع نطاق قدرته — بحمد الله ومنه — لأن يردف جيشاً بجيش ، ومالا بمال ، فليس الحرب مما تضع أوزارها بوقفه تجرى وَكَلاَّ (٢) ، بل هناك لزمت ملازمها وتعين على الناس عامة والمجلس الأميرى خاصة أن يتعلقوا بأذيال الدولة العلوية أدامها الله كل التعلق ، ويتحققوا بخدمتها كل التحقق ، عالمين علم اليقين أن الناس إذا عدسوا والعياذ بالله منها سنداً ، ومن ظلمها (ج) ملتحدوا ، صاروا ملكة لهؤلاء الأشرار وصلوا فى ظلمهم وعدوانهم أحر ما يكون من النار ، والسلام .

(١) فى ك : انشرف . — (ب) د : طمع . — (ج) فى د : طلبها .

(١) سورة التوبة آية ١٠ . — (٢) الوكل : الاستسلام .

تفرد جمع المؤنر :

وتكاثفت الجموع بالمحل بالقيارة (أ) والتركاني منهم في سراييل الخيفة تغشى وجهه نار الذلة ، والانفاق مبسوبة يده ينفق في الناس فمنهم الراضى ومنهم الساخط المستريد ، وأكثرهم للباطل طالبون ، ولركب الاشتطاط راكبون ، وبنو عقيل تبتغى على المانعة عن دارها وحريمها أجراً ، ولم تنزل أعنة طلبه المحال تتجاذب حتى أجفل قوم من بني عقيل عن ذلك المناخ ، فتبعهم الباقون ومدوا الشوط حتى جاوزوا الموصل إلى قرب سنجار (ب) مهزومين بجند الخلاف والخذلان ، ولو وقف عسكرنا المشتعلة عدتهم على ثمانية (ج) آلاف فارس — على ما كان كتب به أبو الحارث — للثبات بمكانهم لما انكسر ناموسهم ، ولا فل حدهم ولكننا انجروا بمجرهم ، وانتقادوا بمقادهم ، والتركاني لا يؤمن بكون ذلك إلا غدرًا به ، واستدراجًا له ، حتى كشف له التأمل عن حقيقة الأمر فيما نفضهم عن مكانهم نفضًا ، فطمع فيهم طمعًا لم يكن ينبض فيه قبل عرق في جسمه ، وحصل من اشتداد (د) القلب على أوفر قسمه ، فقطع إليهم الزابين أولاً ودجلة ثانيًا بعد أن كان لوح ثنايا الحتوف من لموع الأسنة والسيوف يحرم عليه أن ينال من مائها نهلاً ؛ أو تصادف قدمه من مائها (هـ) بللاً ، فرأيت الأرض تقشعر خوفاً ، وأهلها قد استشعروا هلاكاً يواقعونه وحتفاً (و) ، وأهل الرحبة المسكينة موتى يترددون في زى الأحياء ، قعود في مدرجة البلاء ، يتوقعون سفك دماءهم وهتك حريمهم في الصباح والمساء ، لكونهم بحيث يغشى عيونهم دخان النار من قرب الجوار ، وإذا كانت هذه صورتهم وهم إلى ضميمة وعلى حملى (ز) علاوة ، فكيف يكون حالى والسهام نحو أفئدة قوم من كنانتي طائرة ، وعليهم من جهتي طائرة ، غير أن قعودى كان قعود المستسلم الذى لا يحدث نفسه بالنجاة من غيابة الجب ، ولا يقع الكلام فيها موقع القبول من أعشار القلب ، المميز بين الأمرين في إظهار خور وعجز لا يحدثان نفعاً ولا يدفعان ضرراً بل يكسران قلوب الرعية ، ويستعجلان لهم بالأذية ، وإظهار جلد يوسع له الجلد ، ويرهف لسيف (ح) العزم فيه الحد ، وعاجل نفعه أن يربط الله تعالى على القلوب ويثبت به الأقدام ويحفظ من الانخراق والانحلاع خاص تلك البلدة والعام ، القاصد أقصد الطريقين

(أ) في النسختين القيازة والتصحيح عن معجم البلدان . — (ب) سقطت في د .

(ج) سقطت في د . — (د) في د : استدار . — (هـ) في د : حوضها . — (و) في د : واحتفلوا .

(ز) في د : وهم إلى حملة وعلى حملى عداوة . — (ح) في د : وترهف عين .

المنتهج أوضح السبيلين ، فكنت أظهر للناس ظهور من جاءه بالفتح البشير ، ومن لا بنان
بفزع (أ) ولا جزع نحوه تشير ، وأنا في باطن أمرى (ب) متكفن متحنط انتظر تخطف الأيدي
لى من مكاني ، وأجمع أمرى على أنه إن دهمنى ما أحذره رسمت بنفسى في جانب البر فلا أزال
أضرب (ج) فيه إلى أن يحضرنى (د) حاضر الجوع والتعب والعطش فأهلك ، وإن أدركنى
طالب من جهة العدو أبيت أن أعطيه قيادى دون أن أقطع قطعة قطعة تفادياً من أن أقاد
إليهم حيا ، فكنت أوصى أكثر من صحبتى أن يأخذوا لنفوسهم ، ويتفرقوا عني من قبل
أن تحل بهم قارعة بسببى ، وكاتبته الجماعة المجفلين من القيارة بما هذه نسخته فمهما نسخة
كتاب إلى أبى الحارث مضمونها .

خطاب المؤيد الى أبى الحارث البساسيرى فى ترجيح النكوص :

وكان كتابه المشتمل على ذكر النكوص على الأعقاب ، المقطع الأسباب ، وصل ، فأسكرنى
سكرة الخيرة ، وألبسنى فى بدنى ملابس الفترة ، وأجبت عنه فى الوقت والحال جواب
الخيران ، واختببت فيه اختباط السكران ، وأنا على الجملة المذكورة متبرم بعيشى ،
ومأخوذ عن رأي وعقلى ، وأعلم مع اختباطى واختلاطى أن سيدنا ما برح من ذلك الموضع
إلا وهو مزموم بزمام الضرورة ، ممنوع (هـ) بقلّة المساعدة والموافقة ، وأنه أحس من بعض
الجهات بغدرة أوجبت أن يستظهر لنفسه ويأخذ بقضايا حزمه ، ووالله لقد أخشوا (و) وقبحوا
بانهزامهم من خريز الماء ودوى الريح بعد تجمع التركانى منهم وإحسانه الظن بهم ، وتجميده
فى طريق سبعة أيام سبعين يوماً وزيادة وهو فى تلك العدوّة ، ظناً بهم جيلاً وأن فيهم
شيئاً ، وأسجلوا على نفوسهم أنهم نهزة الطامع وطعمة الآكل ، وهدسوا ما بناه (ز) يوم
سنجار فى قلوبهم من بنيان الرعب ، وعطلوا نفوسهم من الفضيلة بلا سبب ، فانا لله وإنا
إليه راجعون ، والآن فلو كانوا من ذوى النحائز لكانوا قادرين على تلافى الحال ، فان
التركانى بعد أن شعر بتوليّتهم الأدبار مجفلين عنه ومنهزمين منه ، لا يرد وجهه عن الموصل
شئ ، فلو أنهم أقاموا الأرصاد عليه وتربصوا به العبور فكانوا يميلون عليه ميلاً واحدة
فى خلال عبوره ، إذ فريق منهم عبروا وفريق لم يعبروا ، فيوقعون بمن عبروا ويحيطون
بمن لم يعبروا ، ولكان ذلك مكيدة من مكائد الرجال ، وواقعاً أحسن موقع المرضى من

(أ) فى د : لابنان يفزع . (ب) فى د : حالى . - (ج) فى د : أجرى . - (د) فى د : يحضر من .
(هـ) فى ك : ويمنو . - (و) فى د : افصحوا . - (ز) فى د : وهذه وما بناه .

الأعمال . فأما إن تمكن والعياذ بالله من الموصل ليدخلها ويجعل عاليها سافلها ففيه انكسار الناموس كله ، وبطلان فرعه وأصله ، وما عندى أن هذا الفعل يصدر عنهم ، وهذه المساعدة توجد فيهم ، فإن من كان خير الماء يهزمه فصرير العوالى وبريق السيوف لاشك تهديمه وتقصمه ، ووالله العظيم اننى أردت مكتبة المجلس الوزيرى فى هذا المعنى فلم أدر ما الذى يخطه (أ) قلمى ، وأى عذر يخرج به كلى ، بينما كنا نكتب إليه ألف كتاب أن التركمان ذليل مكسور مغلول حتى تبعه الآن ثانياً ، وكنا ما لحناه من شرق دجلة حتى انهزمنا من غربيها ، مخافة أن يطير إلينا . وأما اتفاق الآراء على ضد الصواب فى التحصن بالبلاد الآمدية إلى أن يستظهر أفضل الاستظهار ، فالجمع الذى معنا يتعطل ، وأمر الواسطية التى هى العين المنظور بها يضمحل ويبطل ، فهذا عاجل الاستظهار ، ولاندرى ما يكون آجله ؛ وسوى هذا فان حديث الاستظهار صحيح ولكنه ليس لنا إلا أنه للتركمان وهن بقدر ما به ينكشف الطريق فتصل (ب) حديثه ويزول ضعفه ومسكنته ، وهو أولى من ترك ذلك كله جانباً وأخذ فى الحقائق والذى يذهب إليه وهمى من وجه الصواب ، والله أعلم أن لا يجرب المحرب ولا يستعين بمن لا يعينه وقت الحاجة إليه ولا يستتبع عسكره ، ومن يرغب فى مصاحبته من غير الجنس ويعود إلى شاطئ الفرات على الرحبة ويقبض الشوى (ج) الحاصل له بها ويمضى لصوبه إلى واسط لمشاركة (د) الأتراك الذين هم أبناء الجنس ، والديلم الذين إذا طلبهم وجدهم ، ويعمل بعد ذلك بما يريد الله سبحانه ويفتح له فيه مستعيناً به ومتوكلاً عليه . فأما غير هذا فلا يحيط به علمى ، ولا يذهب إليه وهمى ، مع انتقاص النصب التى كان يلمها (هـ) وإن كان بحضرته شئ هو أجدى مما قلته وأدنى إلى الصلاح أشعرنى به لأسكن إليه وأتبع مثالته فيه والسلام .

كتاب المؤيد الى ديبس بن مزير:

نسخة كتاب إلى ابى الأغر ديبس بن على بن مزير : كتابى هذا وقد بلغنى من إجمال الناس عن المحل الذى كانوا فيه بالقيارة ما صدع فى قلبى صدعاً لا أقول ضيق لى ذرعا ، لأنى رأيت أعمالى قد أصبحت هباء منثورا ، وسعى ضل وكنت أعده مشكورا ، فمعلوم أننى حركت ساكن هذا الأمر حتى فاض فيض ماله ، واجتمع شمل رجاله ، وقد جمعت بين شيئين

(أ) فى د : يخطب . - (ب) فى د : فتضل . - (ج) فى د : السوى .

(د) فى د : لمسابكة . - (هـ) سقطت فى د .

أحدهما إضاعة مال السلطان — خلد الله ملكه — والآخر صرف وجه عداوة التركمانية إليه ، ولقد كان يشغلها القريب عن البعيد والحاضر عن الغائب ، ولئن كان (أ) يتبغم بذكرنا في الأوقات لقد كان تطبعاً لا طبعا (ب) ، وإغراء من الجهة العباسية التي ضلت سعيها وقبحت صنعها ، والآن فقد استحکم الأمر واستحصد الشر ، وإن كان في حق كفاية الله سبحانه للمحققين ما يدفع باطل المبطلين ، وأما أصحابنا الذين ارتدوا على أدبارهم فمعلوم أن التركاني ما عدل عن صوبهم إلا وهو يحسن بهم ظناً في شدة اليأس ، ويشتمل من أن تنالهم يده أو ينفذ فيهم كيده على لباس اليأس ، فاسجلوا على نفوسهم بفرارهم أن حسن ظنه بهم باطل ، والفكر بشدتهم وقوتهم زائل ، ويدلوه من خوفه أمناً ، وسهلوا له من طريق تتبعهم وطلبهم ما كان يظنه حزنًا (ج) ، وطرقوا له في عاجل الحال إلى الموصل وكأني به وقد جعل عاليها سافلها ، ونال كل نيل منها ، فانا لله وإنا إليه راجعون . لقد جاءوا شيئاً إذا ، وهدوا ما كانوا بنوه بسيوفهم بسنجر مجدا ، ولست أدري ما أقول وهو حاضر يسمع ويرى فلا يأمر (د) فيه بما يقتضيه الحجي والنهي ، ولا يضرب وجه المنكر في هذا الفعل بسيف الانكار ولا يضرب دون فساد الأمر بعد صلاحه بالحجب والاستتار ، اللهم إلا أن يكون أمر (هـ) فما أطيع ، فلا رأى لمن لا يطاع إذن . وإذ قد جرى من هذا الأمر ما دمر الأصول والفروع ، وأضر بالتابع والمتبوع ، فقد بلغني اتفاق العزائم على التحصن ببعض الحصون الآمدية إلى أجل معلوم ليستظفروا أفضل استظهار فوجدت القصة فيه تزيد قبحا على ما سبق وهجنة ، فإن التركاني أضعف ما يكون اليوم وهو في عقل ، قل وذل وكسر وفل ، وبينه وبين قوة شوكته ووصول نجدته هو القدر الذي أزعج أصحابنا التفسخ (و) عنه ، فما هو إلا حاجة له تقضى ومنة إليه تسدى لا غير . وأما صمدهم ليستظفروا (ز) أفضل استظهار فمن أين يقع لهم من ديار بكر استظهار يقوم يوازن ما يفوتهم بالعسكر الواسطي والعسكر الخفاجي من الاستظهار وأين تقع تلك المنفعة المأمولة في عاجل هذا الحساب ، وسيدنا يميز ما أوردته بعقله الشخين^(١) ورأيه الرصين يجد عليه مسحة من الحق ونوراً من الصديق ، ويجتهد فيما يمنع الشمل من الشتات ، والحبل من البتات ، ويبعث على انتهاز الفرصة عند الامكان ، من قبل ضيق القدرة والزمان ، وهذه قصيرة عن طويلة والسلام .

(١) سقطت في د . — (ب) في د : تطبقاً . — (ج) في ك : حزفا . — (د) في د : بأسن .

(هـ) في د : آمرا . — (و) في د : التفسخ . — (ز) في د : لثلا يستظفروا .

(١) الشخين : الحليم .

كتاب المؤيد إلى ابن ورام :

نسخة كتاب (١) إلى أبي الفتح بن ورام : كتابي هذا والله يعلم كنه اشتياقي إلى طلعتة المباركة ، وقرى إلى مباسمته ومحادثته ، والله تعالى يسعد حله ومرتحله ، ويبلغه من كل منزل ينزله وكل محل يحله أمله ، بمنه وعطفه ، وقد بلغني من ذكر فضيحة الاجفال عن المحل بالقيارة والنكوص على الأعقاب ما ملأني قلقاً وأسفاً على ضياع سعي سعيتيه ، وما لعظيم للسلطان خلد الله ملكه أتلفته ، لو كف لساني عن الفضول فيه لم يبرح من كفه ، ولم يكن عليه سبيل في تلفه ، ولم تقم معه داعية تثني وجه الحرب والخصومة إلى أنفسنا بعد أن كنا بعداء عنها وإنما كان يترنم بنا ترنماً ، ويتبغم في وقت بعد وقت تبغماً ، لا عن جد وتصميم (ب) وشد حيازيم ، فغرمنا عليه الأسوال والخلع حتى رددنا الهزل فيه جداً والمجاز تحقيقاً ، والله المستعان وعليه التكلان . ثم أنى والله العظيم مالك يوم الدين أنفت لكم واستحييت من هزيمتكم ، فلقد هدمتم مجداً بنته سيوفكم يوم الوقعة بسنجر بهذه الهزيمة الفضيحة ولما لقي وجه لوجه ، ولا وقعت عين على عين ، ولا أدري ما الذي شردكم وبينكم وبين عدوكم حاجز من بحر لحي ، اللهم إلا أن تكونوا رعبتم من خرير الماء ، فيكون ذلك عذرکم ، وجملة تغني عن التفصيل ، إنكم ملأتم أفئدة عدوكم بعد أن كانت هواء (ج) ، وأعدتم يومه صباحاً بانفساح الأمل ولقد كان مساء ، وقدمتم إلى ما عملتموه من عمل فجعلتموه هباء ، وإنا لله وإنا إليه راجعون وبلغني استقرار العزائم المباركة الآن على قصد بعض الحصون الآمدية ، والتحصن بها ريثما يتفرق الجمع الذين هم معكم اليوم فتزدادون ضعفاً ، وتصل نجدة عدوكم فيتضاعف قوة ، فوجدت ذلك من الآراء الفاسدة (د) التي ثمرتها في عاجل الحال تكريب الموصل أن يجعل عاليها سافلها ، وسماع العسكر الواسطي وغيرهم به ويذكر هزيمتكم (هـ) فتقطع بهم الأسباب ، وتسد في وجوههم الأبواب ، فآله الله يا سيدنا ، فانك أكثر الناس بهذه الأمور خبرة ، ولها ممارسة وبها بصيرة ، تجرد للمنع عن هذا كل التجرد ، وعيب على قائل الرأي فيه . وقد كتب إلى الأجل بوقوع الاحصاء على من تظمه الصحبة واشتالها على نحو ثمانية آلاف رجل ، فعسكر تكون بهذه العدة ما الذي يضطره أن يتخذ من الجبال بيوتاً ، ولم لا يزحف (و) إن لم يكن فيه اللقاء إلى بغداد ،

(١) في ك : كتابي . (ب) في ك : تصميم . - (ج) في د : هؤلاء . - (د) في د : السديدة .

(هـ) في د : هزيمتهم . - (و) في د : يرحف .

فيجمع بالواسطية شمالاً ، ويشتد بها أزراً ، ويبرم معها في دفع العدو أمراً ، وهذه قصيرة عن طويلة ، وإن أفضت معه في مثل هذا القول فكأنى أقرأ سورة يوسف على يوسف ولكنه نفثة مصدر يتحسر على ضلال سعيه والسلام .

كتاب المؤيد الى قريش بن بدران :

نسخة كتاب الى ابي المعالي قريش بن بدران : قد كان نفذ كتابي ذاكرًا ما بلغته في خدمة مكاتبة على يد فلان في خاصتي بما ينجح باذن الله مسعاه ، ويؤذن ببلوغ الغرض في مقصده ومنحاه ، وسعاتها على قبضته يد المكاتبة عنى على تشوق لها ، وتوقعي لتلوح السعادة في فحواها ومضمونها ، وشاكرًا على ما تواصل من شكره له وثنائه عليه ، وحامداً لله تعالى على نسخته آية الجفاء بالبر والشكوى بالشكر ، وأرجو أن يصل إليه ويقف عليه ويرد من جوابه ما يحقق الظن بمكرمته ، والخيلة في كرم طبعه ومروته ، وبلغني بعد نفوذ ما نفذ من إجفال الناس عن المحل بالقيارة ونكوصهم على أعقابهم ما غشيني منه غاشية من الحيرة ، وأحاط بمنى سرادق من الفترة ، وتعجبت من قوم يشاهدون البلاء مطلا عليهم ، والعدو (ا) نازلاً بهم وسائراً إليهم ، وهو مع ذلك على تخوف (ب) منهم واستراق نفسه من التهميم عليهم ، والاحتجاز بالبحر حائلاً بينه وبينهم لجسوم من عسكره بسيوفهم في القاع صرعى ، وكوم هي الى الآن تدمى ، كيف طوعت لهم أنفسهم أن يولوه الأدبار منهزمين فيردوا إلى صدره قلباً طائراً ، ويجردوا من دلوفاً إليهم عزماً فاتراً ، ويجعلوا في كفه من الاقتدار عليهم لفشلهم سيفاً باتراً ، إنا لله وإنا إليه راجعون . أين المفر أين المفر (ج) ، وإلى أين تذهبون ، وهل تجدون كالعسكر العراقي رداء ، وكالدولة العلوية أدامها الله تعالى وزرا وكهفاً ، تبذل جسيم الأموال فيما صان ديارهم وحريمهم بذلاً . ياسيدنا أنت الرأس وأنت لما بيني (د) من خير أو شر — والعياذ بالله — الأساس . فراقب الله جل جلاله الذي إليه إياك وعليه حسابك ، وأصلح فاسد هذا الأمر وكن أكد سبب من الأسباب للخير ، واعلم علم اليقين أن الذي في أحكام المقادير من ثمراتها خارجة إلى الوجود ، ثم أنها تنقسم إلى أحد القسمين : من سبب مذموم أو سبب محمود ، فكن من خير الأسباب وأوجف على طلب المصلحة للدولة العلوية ومصالح المسلمين خير خيل وخير ركاب ، ولا تزرع في مزارع البر الجفاء ولا تبغ من مكان الغدر

(ا) في د : والعدوة . — (ب) في ك : الخوف . — (ج) في د : أين المفر ترا ابني أين المفر .

(د) في د : بيني .

الوفاء . وما أقول هذا — علم الله — وأنا أسىء (ا) بسيدنا ظنا ، واعتقد من جهته خلفا ، بعد ما تقرر وتحرر من الاستظهار عليه بالمواثيق والايمان التي قول من يجرى مجراه ويطير في آفاقه يمين بلا يمين ، وكيف إذا استظهر عليه يمين ، والذي أقول له لو لقي (ب) القوم بصادق الزجر (ج) والنكير والتخويف والتجشيم والقول انكم باجفالكم هذا تمكنون من بيوتكم ودياركم وتملكون العلوج نواصي نساءكم وولدانكم ، لعقلتم (د) من الأنفة عقلا وشكلتم (هـ) من الحياء والحشمة شكلا ، فان الناس بزعمائها وسراتها ، والرعية مذ لم تزل برعاتها ، والآن فحقيق على كرمه أن يفعل في هذا الباب ما يقضى بسعادة الأولى والعقبى ، ويثبتته في صحيفة المحسنين الذين لهم الحسنى وزيادة على الحسنى ، ولا أزيد على هذا من القول والسلام .

رد المؤيد على خطاب ابن ورام :

ولما أنفذت كتيبي إلى القوم بما صدع بالحق ، وقمع بمقامع الصدق ، دخلت (و) أخماسهم في أسداسهم ، وكتبوا من الأجوبة بما جرشوا ألفاظهم فيه ، وخشّنوا (ز) ودسوا ابن ورام على أن يكون كتابه أغلظ ألفاظا ، وأكثر لمستصعبات الكلام جمعا ، فاتفق على من ورد بهذه الكتب من الوقوع في الماء عند عبور الفرات (ح) ما بلّ كتبه جميعا ، وصير كتاب ابن ورام خاصة الجامع نفثة صدور جماعتهم عجينا (ط) ، حتى لم يمكن استخلاص الكلمة إلا بشق الأنفس وكتبت أجوبتها بما هذه نسخته :

جواب ابن ورام : ووصل كتابه الحاكى حامله على ما بلغني عنه أنه وقع في الفرات فوجدته بالحقيقة قد لعبت به يد أسواجه ، فقطعت أوراقه ، ومحت معالمه ، واجتهدت في أن أصل أسبابه وأولف بين أسطره فأعيتني الحيلة فيه إلا أن أعرب عن ذكر سلامته التي هي نهاية المحبوب وغاية المطلوب ، فحمدت الله تعالى عليه حمد أمثالي من المغرقين في محبته ، المعلقين بحبل مشايعته (ي) ، اللاقين ضده ما هو عليه من حسن الاعتقاد بطول لسان ثبوته [ولم أفكر بعد ذلك بما محي من السطور وذلك أنه أثبت] (ك) من آية التجنى في غير

- (ا) في د : المسىء . — (ب) في ك : القى . — (ج) في د : الزخر . — (د) في ك : لعقلتهم .
 (هـ) في ك : شكلتهم . — (و) في د : وادخلت . — (ز) في د : وجشّنوا .
 (ح) في د : القوم . — (ط) في د : عجيباً . — (ي) في د : مسائعتهم . — (ك) سقطت في د .

حقه وواجهه ما الله محاه ، ورضى من بسط اللسان وتغليظ القول ما أنكره سبحانه وأباه ،
وكننت بشهادة الله وعلمه ليلة أتانى كتابه من غد أقطع الزمان بذكره وتشوق حسن
أخلاقه ووصف لياقته فى نفسه وجزالته فى عقله وكل أدواته ؛ فلما كان من غد أتانى هذا
الكتاب الذى صار عجيبنا (ا) بالتحقيق فما زلت أثقب فيه نظرا ، وأسلط عليه فكرا ، حتى ظهرت
من مضمونه على ضيق صدر منه وغيظ (ب) أنشئ عنه ، كيف عاتبت الجماعة على تراجعهم
ونكوصهم على أعقابهم وتسليطهم الموصول [إلى العدو] (ج) لولا أن الله تعالى غل يده أولا ،
وتغيرهم فى وجه اليوم الأغر المحجل بسنجار ثانيا ، فقلت : سبحانه الله هذا حظى من حيث
صرفت إليه وجه الشفاء ، وبسطت فيه لسان المدح والاطراء ، وقلت : يانفسى صبرا جميلا !
وكان استقر فى نفسى أننى بهذه السفارة قد زرعت فى نفوس الجماعة محبة ، وأوجبت عليهم
ذمة ، وأنه خاصة من حيث جمع بينى وبينه المخيم تلك اليويمات ، وكشف قناع الحشمة بيننا
وكننا نتجارى (د) أيضا فى الأمور الدينية والأسباب الإلهية وسمع من لفظى ما سمع ، وقد عرفنى
أكثر مما عرف الغير ممن ليس بينى وبينه أنس ، وعلم أن لى يدا فى العلم بالقياس إلى غيرى
طولى ، وأننى ممن أنعم الله تعالى عليه وألبسه لباس التقوى ، وعرف لى على نفسه من الحق
ما لا يعرفه غيره ، والتزم من التوقير ما لا يلتزمه سواه ، فاذا هو قد حمل بجميع سلاحه على
وحشد حشود احتجاجه على وجه التثريب والملام إلى ، ونسى أننى لو أردت الإجابة عن جميع
ما قاله لعملت بالجواب سيرة ، ووجدت فى أرضه مراغما كثيرا وسعة ، ولكننى أصونه عما لم
يصنى عنه ، وأرعى له ما لم يرعه فى رضيعه ، وأقول إن كان صوابا الرجوع عن ذلك المنهل
وتسليم الموصول وغير الموصول ، ورمى الديار برجفة ووقفت الهمم من أهل هذه الرحبة التى أنا
أسيرها (هـ) على تحصيل المحابر والمحامل للهرب بنفوسهم وأهاليهم وهم سوتى من الخوف
لا ينامون ولا يقيمون (و) ولا يستريحون (ز) ، وقد كذبت بقولى وأفكت وقبحت بعذلى
وأفشت ، وأنا أعتذر إلى سيدنا وإلى الجماعة منه ، وإن كان غير صواب فما استوجب
ذلك كله ؛ وقبل وبعد ؛ فأنا أحمل ما كرهته منه على الحديق ، وأسلك فى تحسين (ح) الأمر
أمثل الطرق ، وأمنع مشربى من وده أن يتكدر ، ووجه مقتى له وثقتى به أن يتغير ،
بإذن الله والسلام .

(ا) فى د : عجيباً . - (ب) فى د : غليظ . - (ج) سقطت فى د . - (د) فى د : نتجاوز .
(هـ) فى د : أشيرها . - (و) فى د : يقيمون . - (ز) سقطت فى د . - (ح) فى د : تحسين .

رد المؤيد على ديبس بن مزير :

جواب كتاب ديبس بن مزير : ووصل كتاب حضرته ، أحضرها الله السعادة وملكها
 لأمانها المقادة ، ناطقاً بشمول سلامتها ، دام وجهه بها ناعماً ، وعموم سعادتها لازال برهانها له
 قائماً ، وقرأته وأحطت (أ) علماً بمضمونه ، وحمدت الله تعالى على سوابغ نعمه في ذلك
 حمداً يكون لحسن المزيد مستجلباً ، ولخيامه بجبل الدوام مطبياً ، وفهمته . وأما ما ذكره
 من توزع سره الكريم لما جرى به قلم الشكوى إليه من حديث الانتزاع عن المناخ الذي
 كانت الجماعة به مخيمين ، وما اتفق من اتفاق التأخر بعد أن ظنهم متقدمين ، فلو شهدت
 عين سيدنا ما كان الناس عليه من هذه البلدة التي أنا حبيس فيها كيف يموج بعضهم في
 بعض ، وكيف يرتجفون من خوف على مال وعرض ، وكيف يتحيلون للهرب بعيالهم وحرِيمهم
 في ذلك الليل ، وكيف يتناجون فيما بينهم بالخزي (ب) والويل ، لرأى من ثباتي (ج)
 في حملة هذه سبيلها عجبا ، ولم يوجه عتبا على ما كتبت به ولا تعتبا ، فأما حديث العشيرة
 العقيلية والقول إن التنازع بينها حسد من لم يأخذ لمن أخذ ، وهو الذي قلع الخيام وأفسد
 النظام ، فقد عرفت ذلك ، إلا أن الناس أجمعوا على أنه لو ثبتت هذه الجماعة الذين هم
 أصحاب القرية مكانهم ، ولم يقوضوا بالرحيل بنيانهم ، على كونهم آمنين من بغتات العدو
 لحاجز الماء بينهم ، لما كانت الأرض بالحقيقة تقشعر من الخوف ، ولما حصلت المن والقلوب
 في ملكة الضعف ، فان كانوا صادقين في قولهم فلا تثريب عليهم ، وإن كانوا كاذبين فأنا (د)
 استغفر الله مما كتبت ، ولا أملك إلا نفسي ؛ وأما قولي في ضياع مال السلطان خلد الله
 ملكه فما عنيت (هـ) به إلا المال الذي فرق في الناس بالموصل لا ما وقع التثريب به على
 من وقعة سنجار المشهور مقامها ، المرفوعة بالفخر أعلامها ، وبين ما قلته وما نسبت إليه
 بون ، ولا ينكر موقع قصدي فيه إن لحظتني من النصفة عين ، فأما قوله في معنى التركمانيين
 خذلهم الله وأنهم كانوا يتبغمون بالشام يومئذ وهم بأصفهان ، وأنه لولا الواقعة لكانت
 عساكرهم إلى الآن أصعدت ، فقد عرفته ؛ وسيدنا في قوله صادق ، وعلم هذا الخبر إلى
 أسماعنا من قبل ذكره سابق ، ولكن عسى أن ظن القوم — بل ظنهم بلا عسى بحول الله
 وقوته — كاذب ، والعقل والدين لا يوجبان أن يكون لهم إلى سماء (و) ما منتهم أنفسهم من

(أ) أحصلت . — (ب) في د : الحزن . — (ج) في د : يتأتى . — (د) في د : فلما .

(هـ) في د : عتبت . — (و) في د : اسماع .

ذلك معرج ، ولا في سبيله مدرج ، وصاحبنا خلد الله ملكه بكونه سلالة العترة الطاهرة عليهم السلام وعمدة الحرمين وعصرة أهل العصر ، وقرارة العدل والفضل ، أقرب إلى أن يملك ما في أيدي الناس منهم أن يملكوا ما في يده ، والأرض ميراث عباد الله الصالحين عدة منه سبحانه لا تطول الأيدي التركمانية لاختلافها ، فهذا باب ؛ والباب الثاني أننى بالعدوة القصوى ، وجاعل الخيفة (١) على من هم بالعدوة الدنيا ، ولو كلف السلطان خلد الله ملكه عن إغاثة المستغيثين وإصراخ المصطرخين لكان إلى أن ينتهى دخان هذه النار إليه بعيداً ، وهو والله يديم ملكه لن يعدم في الحالات كلها ركناً من معونة الله شديداً ، وأما المذكور من حديث المال وتراخيه ووروده مقطوعاً قاصراً عما يفيض على الكفاية ويعم الجماعة ، فسيدينا يعلم أن على نفسى تعجى وصبرى واجتهادى ومكاتبى واستدعائى وهو غاية ما تشتمل عليه قدرتى ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، على أنه ورد إلى الغاية الشئ الكثير إذا اجتمع بعضه إلى بعض ؛ ثم أنه إن جرى الأمر على ما يتم الله به فضله ورحمته على العالمين فهو المأمول من جميل صنعه ، وإن تكن الأخرى فمبلغ نفسى عذرها مثل منجح ، ونفسى واثقة بالله تعالى باسراق صبح الفرج ويانكشاف قتام هذا الرهيج ، مادام القصد فيما نحن بصدده مرضاة رب العالمين سبحانه وصلاح الاسلام والمسلمين باذن الله .

رد المؤيد على قريش بن بدران :

جواب كتاب قريش بن بدران : وصل كتاب حضرتہ ناطقاً بذكر شمول السلامة والسعادة بها فاهتز لمعرفته عطف مسارى ، واخضر روض جذلى واستبشارى ، وقرأته وأحطت علماً بمودعه ، وحمدت الله تعالى على سلامة جلله جلالها ، ومدد عليه ظلالها ، وسألته جل اسمه أن لا يخليه من متجدد سرور في صفة مهجة ، وأن يبوأه من حسن توفيقه حدائق ذات بهجة ، إنه ولى الاجابة بمنه ورحمته ، فأما اعتذاره الكريم عن تأخر المكاتبة فمقبول بالشكر محمول على أحسن ما يكون من الأمر ، غير أن المحبوب منه أن يوعز بالمواصلة وترك الاعتاب بالمكاتبة ، وألا يخلينى من تحفة بها بعد تحفة ، ومسرة يشفعها بمسرة ، وأما تقبضه مما كنت خاطبته عليه في معنى الانتزاع عن الموضع الذى كان للجماعة مجمعا ، وإلى لقاء العدو مهيعا ، فأننى ملئت من هذه الحالة رعباً ، وبت لها في برودة الهم والفكر

(١) في د : الخيفة .

مستقبلاً ، وسؤالى لسيدنا أن يداوى هذا الداء بلطيف طبه ، ويجلى فيه ليل الهم الذى يكاد يحول بين المرء وقلبه ، وأما (ا) تعيينه على السبب الذى أنشأ هذه الحالة التى اتفقت ، وكونه من وراء ما يأسو السكلم ، ويسد الثلم ، تأليفاً للسكلم ، وحشداً لأفانين (ب) الأمم ، إلى كسر نواجز العدو ، وإنزاله عن صياصى البغى والعتو ، ودخولا تحت أثقال السكلف فيما يسر باذن الله تعالى مراماً ، ويبرم بسبب الابرام إبراماً ، فقد عرفت جميع ذلك وماحدثانى على مكاتبة حضرته بما كتبتة إلا قيامه فى هذه البلدة التى أنا ساكنها قامت ، ونفوس فى لجج الحيرة من أهلها عامت ، وأراجيف بكل عظيمة اتصلت ، وقلوب على كل رجفة وخيفة من أهلها اشتملت ، وسيدنا أعلم الناس بموقع (ج) ضرر الرجوع بعد الاقدام ، وكونه مؤذناً بتزلزل الأقدام ، وأما تألمه لما وقع له من اتهامى إياه من حدوث ما حدث ، فكلاً وحاشا ، فإن الله تعالى رفع عن ذلك قدره ، وأجل عن أن يتسم بسمة أهل التهم ذكره ، وهو الموضوع فى مهد الرياسة ، والمربى فى حجر المجد والنفاسة ، والنايت من أكرم نبات العرب الطاهر من الخنا والريب ، وقد كنت أودعت كتابى إلى حضرته أننى ما أوردت الذى أوردت (د) ويتخالجنى ريب فى نيته ، أو تعرض لى شبهة فى صفاء طويته ، وأن كلامه عندى بلا يمين ، ومكان قوله ووعدته من الوفاء مكين ، وإذا رجع سيدنا إلى الكتاب الذى ذكرته لم يجد على مغمزاً (هـ) فيما جعلنى إليه منسوباً ، واتخذ حساباً من سوء ظنى محسوباً ، وجملة تغنى عن التفصيل ، فلم تزل الشيعة التى هو وأسلافه من أرفع بيتها وأزكى نبتها يتمنون مثل هذه الأيام التى قد أتيحت له ، وحقيق على الله تعالى أن يجمع بفخارها شمله ، وقد جاءت صفواً عفواً فأى عذر له إن لم ينهض لها نهوضاً يؤرخ به مجده إلى الأبد ، ويشد ساعد المقادير معه شد العضد ، ولا سيما وعين الخلافة العلوية إلى فعله ناظرة ، ووجوه الثقة بنصر الله سبحانه بعد ذلك ناضرة ، والله تعالى يوقفه فى ذلك لسعادة الدارين وشرف المنزلتين برحمته : وأما قوله إننى لونزلت المنزل الذى نزلوه من مصابقة العدو وملازقته ، وحيث تهب سمام بأسه وسطواته لعذرت من ولاه دبره لا سيما مُنحرفاً لقتاله أو متحيزاً إلى فئته ، فقد عرفت فلو كنت حاضراً الموضع معهم وأنا أعلم أننى فى دارى وهم فى الغربة ، ومعى الكثرة وهم فى القلة ، وأنا الذى أرجفت قلوبهم يوم سنجار بعظيم الفتكة ، وأننى أدفع عن حريم الاسلام والمسلمين وأنهم قاسطوه بالهتكة ، وأننى من أصحاب العدل (و) وأنهم أهل البغى [لثبت أحسن الثبات] (ز) متكللاً على الله سبحانه رب الأرض والسموات وأريد أن يرمقنى سيدنا بهذه العين فأننى

(ا) سقطت فى د . - (ب) فى د : أذانين . - (ج) فى د : بموقع . - (د) سقطت فى د .

(هـ) فى د : غمزاً . - (و) سقطت فى د . (ز) فى د : ليست أحسن الثياب .

وإن كنت ضعيف القوى في الجسم فقوى النفس ، وإذا انتهت هذه النبوة فعيني شاخصة إلى ما يكون من سيدنا من الفعل الفائح رباه ، والجميل حياه ، الذي يحله في الدنيا فوق الفرقد ، ويقضى له في الآخرة بنعم الأبد إن شاء الله تعالى .

كتاب المؤيد إلى أبي الحارث :

فصل من كتاب الأجل أبي الحارث أرسلان المستنصرى : وأما وقوع ما كاتبت به الجهات الجليلة من حديث الرجوع بالكرهة فليس يخلو فعلهم من أحد القسمين : إما محموداً أو مذموماً ، فإن كان محموداً ما وقع في الناس بعودهم من الرجفة حتى أقبلت الخاصة والعامة يعدونهم الحامل والمحارب (أ) للهرب بنفوسهم وحريمهم ، فذاك أمر يجب تقريره مع الناس هل حمدوه أو ذموه ؟ وأنا واحد منهم ، واستغفر الله من جزء خطيتي من بينهم ، وإن كان مذموماً فيتجنى (ب) على بالقول ولا يتجنى عليهم بالفعل ، وقد كاتبت كل منهم بما بسط فيه لسان المقال والملال ، ولوم الأخذ بآداب الحلم والملاطفة وكظم الغيظ لسكنت في الجواب أمد باعاً وأبسط ذراعاً وأطول نفساً ، وقد عرضوا بل صرحوا بكون قصد التركمانية إليكم وإلى دياركم وجعلوا المان ممنوناً عليه ، والمحسن محسناً إليه ، فصبرت وسكت واحتسبت لا سكوت عى بل سكوت حلم وكتبت واعتذرت وتنصلت والسلام .

الفتنة بسبب المال :

ثم أن أصحابنا تجمدوا بمكانهم وتعقدوا ، وبقيد المقام تقيدوا ، وكانت الأموال واصله إلى مستقرى بالرحبة ، وأنا أسوقها إليهم تواليا ؛ فوصل شيء منها في بعض النبوة فحملته على السنة الجارية في مثله وهم يستقلون كثير ما يصل ، ويستقصرون دون ما يریش فينهض ، فأوحى إليهم بعض الشياطين المفسدين أن المحمول في هذه النبوة لم يحمل بكامله ، واقتطع (ج) منه شيء في الرحبة ، فأذكت هذه البلاغة من نار الخرق والطيش ما كاد يكون له حظاً ، فما راعنى إلا دخول من أذن بوصول أبي الحارث قرب الرحبة ، فأحسست في قلبي رجيفاً كاد يقضى على (د) نائرتة بالهمود ، ويقضى به إلى حيز العدم بعد الوجود ،

(أ) في د : المحارب . - (ب) في د : قبحنى . - (ج) في د : واقطع . - (د) في ك : عليه .

فقلت إن الأمر الذى حشه هذا الحث وسامه هذا الورود لأمر نستعيد بالله من شره ، فتكشفت له إلى شاطئ الفرات ، فاذا هو قد استتبع من كل فرقة رسولا ، وعبأ كلاما معسولا يعدل به عن القصد الذى قصده فى كون الارتياح لقطع شىء من جملة المحمول هو السبب الذى أورده ؛ فقال : إنه قد جرى من هذا الأمر ما يضعف القوى ويفصم العرى ، وجئتك سائلا أن تزيدنا بما يحصل لنا مخرجا من الأمر فأنا خليفة السلطان ، وسعى من كل جهة تلحظ ما يتقرر ، ولسان يؤدى خبر ما يتحرر(أ) ، فكن إما رجلا يعطينا مائتى ألف دينار لا أقل منها تنسد بها فوهة هذا السبيل ، أو لا ، فنلقى حبلنا على غاربنا ليسعى كل منا فى شغله ويدير تدبير أمره . فسمعت كلام المسرف المشتط الذى يؤثر أن يدحضنى مداحض التخطيط ويسد(ب) فى وجهى مذاهب الرأى والبصيرة ويجعل لسانى فى عقلة بين عهدتى لا ونعم ، فأجبتة إجابة بديهة لا روية فقلت : كلامكم هذا كلام من يبتغى حجة ، ويحاول تعلقة ، وتظنون أنكم أخذتمونى فى مضيق لا مخلص منه ، وليس الأمر على ما تظنون ، فان نفسى بلطف الله قوية ، وأبواب الخلاص بين يدى مفتحة ، ومائتا ألف دينار التى تطلبونها فلم أطلع على معرفة الكيمياء فأخرج ما تلتمسونه إليكم ، فان على كل يد رد ما أخذت ، والمحمول إلى يقترن به كتاب يدل على مبلغه ، فاذا أخرجت الكتاب وعرضته عليكم لن تبقى على حجة بعده ، فاما إلقاء الحبال على غاربكم «فول» حارها من تولى قارها» كذلك يلقى حبله على غاربه من صارت أموال السلطان خلد الله ملكه إليه ، وجرى الأمر فى صلاحها وفسادها على يديه ، فهو أحق وأولى أن يلى تدبير أمره من غيره ، وليس على المسالك والمنافذ من جهتى أقفال ولا دروب(ج) فتحاول منى أن أفسح لهم فى المذاهب وأتخلى عن المسارب والمسارب .

فلما رأوا جنة الحجة عندى حصينة ، والفكرة بما ألقوه من حبالهم وعصيمهم قليلة ، رجعوا على أدراجهم ، ونكصوا على أعقابهم ، ولم يحصلوا من ربح التجارة من صدورهم وورودهم على غير وقوع الشناعة بهرب أبى الحارث من عسكره ليلا ، وازدياد التركلى به قوة وحولا ، بعد أن كان يمارس قلا وذلا ، فجعل يضايقهم منزلا منزلا . ويدنو منهم يوما فيوما ، تجره من ناحيته أفانين من الخديعة والمكر ، ومن صوب عسكرنا أرسان الخيانة والغدر ، وكانوا بالنسبة إلى القوم الذين هم فى حيزنا الفائضة عليهم سجال أموالنا كالجزء

(أ) فى د : خير ما يتحور . — (ب) فى د : يسر .

(ج) فى ك : والمنافذ اقبال من جهتى ولا دروب .

الذى لا يتجزأ قلة ، وكانوا هم بعدد الدّبي كثرة ، لولا أنهم ييوت من الجسوم خاوية ومن النّحيزة (١) خالية ، يأخذون على الدّفاع عن حريمهم وأسواهم أجرا ، ويعطون مكان الوفاء غدرا ، ويسكنون في مساكن الذين بدلوا نعمة الله كفرا ، فلم تزل كل فرقة من أصحابنا ومن التركمانية تضايق أختها حتى دنا أن يتواخذوا باللّحي والحلاقيم .

وكانت العيون شاخصة إلى مال محمول من الباب الطاهر إلى حلب على أن يصل إليهم ويتوزعونه فيما بينهم ، فيجعلونه مركبا للمناجزة ويعبون معه صفوف المنابرة والمقارعة، فلما وصل إلى ابن صالح المال سلمه إلى أخيه المسمى عطية^(١) ليوصله منى إلى حيث ينساق إليهم ، ويستطلق مغلول يد أبى الحارث بحصوله لديهم ، فغدر عطية به وزواه إلى بعض حصونه ، وقطع اللقمة فيه عن حلقوسهم ، ولو وصل إليهم لكانت التركمانية في أفواههم لقمة ، ولكن يكشف الله تعالى في أسرهم غمة عن الخلق أجمعين وظلمة ، فحين أتانى الخبر بذلك رأيت وجهه نهارى أغبر أقتم ، ولسان فكري وبصيرتى وتديير حالى أخرس أعجم ، بحصولى في «ظل ذى ثلاث شعب لظليل ولا يغنى من الذهب»^(٢) من مجاورة التركمانى على علمى بانبساط يده إذا سمع بانقباض يد المال ، وارتتاج باب حلب فى وجهى وكانت وجهتى إذا جرى ما يؤدى إلى الاجفال ، وكون السلوك فى برية دمشق مع حر الهجير وعدم الماء ومنبت الحبال إن أردت إيمان فى واديهما على تصارد (ب) الأحوال وآثرت المنية فى معاطشها على مودة بأيدي التركمانية محفوفة بالانكال ، ثم أننى مددت فى الصبر والتماسك نفسا وقيدت نفسى تعليلها لها بلعل وعسى ، فصادفت وجوه الصبر ناضرة ، وعين التوفيق بتعلقى بعلاقته ناظرة ؛ وطال أمد مقام الفريقين من عسكرنا وعسكر التركمانية أحدهما [لا يلقى] (ج) الآخر ، والمسافة بينهما [دون يوم كأنهما بحران جعل الله بينهما] (د) حاجزا من الذل ، فهذا جامد مع الكثر وذلك جامد على القل ، ولما رأيت بواعث النحائز بينهما لا تنبعث والغصة فى الحلق من الدست لا تبتلع ، كتبت إلى وزير التركمانى المعروف بالسكندرى ما هذه نسخته :

(١) فى د : الخير . - (ب) فى د : تصارييف . - (ج) فى د : يلقى . - (د) سقطت فى د .

(١) أبو ذؤابة عطية بن صالح بن مرداس وهو الذى أوصى إليه أخوه شمال بن صالح بحلب فى ذى القعدة سنة ٤٥٤ هـ . ولكن انتزعها منه ابن أخيه محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح وسار عطية إلى الرقة فملكها ولم يزل بها حتى أخذها منه شرف الدولة مسلم بن قريش سنة ٤٦٣ هـ وغزا عطية الروم فمات بالقسطنطينية سنة ٤٦٥ هـ .

(٢) سورة المرسلات آية ٣٠ ، ٣١ .

كتاب المؤيد الى الكندري :

يعلم (١) سيدي الأجل عميد الملك أننى كنت خاطبت حضرته بكتاب وهو يومئذ مقيم بالرى خاطباً لمودته ، وطالباً لاتشاج الحال بينى وبينه لما كان يبلغنى من محاسن أوصافه ، وجميل خلاله وخصاله ، ولأن يكون التعارف بيننا سلباً إلى التعارف بين سلاطيننا خلد الله ملكهم وتأن كد سبب المودة بينهم انتهاء منا إلى ما قال الله سبحانه «لا خير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس» (١). واتفق من الأمر سبق ابن المسلمة إلى باطله حتى عمل سحره ونفذ كيده وحصل الركاب العالى ببغداد وانبثت الكتب يميناً وشمالاً بكون قصده لقضاء حق الخليفة والسلام عليه والتبليغ بعده إلى مصر ، فحين استمر جرى هذا الكلام فى مسمع سلطاننا خلد الله ملكه ووزيرنا أدام الله أيامه ضاقت صدورهما من سماع هذا القول الجافى من غير داعية إليه ، وكثر العجب من السيد على ما قرأه من السير وعرفه من أنباء الأمر أن يكون العباسى عنده خليفة الله ، فان أباه الذى أجلسه من أجلسه خليفة الله كان الذى بوأه هذا المكان ومهد له هو تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً . ومتى كان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه خليفة حتى يكون أولاده خلفاء ، وإن صلح أن يكون أحد خليفة صلح أن يكون من استخلف النبي صلى الله عليه وسلم أباه عليه السلام [وأنزله منزلة هرون من موسى] (ب) بقوله «على منى بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لانبى بعدى» هو الخليفة ، وهذا اجماع من المسلمين كلهم يؤكده قول الله تعالى فى كتابه «وإذ قال موسى لأخيه هرون اخلفنى فى قومي وأصلح» (٢) ولم تعتقد فرقة من فرق الاسلام أن العباس خليفة أصلاً ، وسوى هذا فانه على عدم الخلافة عادم لصدق القول وصدق اليمين وحسن الوفاء إذ كان فى رقابهم لمحمود بن سبكتكين من العهود والايمان ما ضيعوه فى أولاده ولم يفوا به ، ومالوا عليه وعليهم (٣) وبالأمر تقضوا العهود

(١) فى د : اعلم يا سيدي . — (ب) سقطت فى د .

(١) سورة النساء آية ١١٤ . — (٢) سورة الأعراف آية ١٤٢ .

(٣) السلطان يمين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين ابن الأمير ناصر الدولة أبى منصور صاحب خراسان وغزنة ، وفاتح عدة بلاد من الهند وغيرها واتسعت مملكته وكثر ماله ، توفى سنة ٤٢٢ وتولى بعده ابنه مسعود بن محمود الذى سار نهج أبيه فى الفتوحات فى الهند وتوفى سنة ٤٣٣ . والذى يقصده المؤيد هنا أن محمود بن سبكتكين لما غزا ما وراء النهر وجد زعيم السلاجوقيين ذا شوكة وعدة يتصرف فى أمره على المخادعة والمراوغة فاستجاب له بعض السلاجوقيين وفر منه آخرون وما زال =

والإيمان مع بني بويه الذين كانوا نزلاء دارهم ومتقلبين على إحسانهم^(١) فالأمانة معدومة عندهم كعدم الخلافة ؛ فأما الذي يتبرج بزينة العصبية لهم فانما يكتسى كسوة العار ، وهو كما قال الله سبحانه حكاية عن قول إبراهيم عليه السلام لأبيه «يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً»^(٢) ومعلوم للسيد أن ورودهم بغداد اغتراراً بقول ابن المسلمة كان إثمهم أكبر من نفعه ، ومفسدته أوفر من مصلحته ، من حيث أن السلطان ملك من شط جيحون إلى العراق موضعاً فلم يوكس جاهه ولم يدخل عليه معرة إلا في هذا الأمر ، فانه بطل ناموس ملكه من الدرهم ثلثاه : فالثلث بوقوع الفتك على خيار عسكره بسنجار والثلث في توجه مثله بنفسه على عظم قدره طالباً الموصل واستينائه (١) من مسافة سبعة أيام أربعة أشهر وزيادة لا يجد متقدماً ولا متأخراً ، وبقي في الأمر الثلث وهو أن يصدم بنفسه على من هم (ب) بلقائه من خصومه ، فيكون مثله مثل الذي يتناول السم بالتجربة ، وقد قالت الحكماء التجربة خطر ، ولا يليق بمثل ذلك الملك العظيم أن يغرر بنفسه في مثل هذا الأمر إلا أنه ليس يخلو من أحد وجهين إما أن يدفع في صدره ومعناه مفهوم والله تعالى يكفيه ما يحاذره ويقي نفسه ويكره إليه ما هو بصدد من الاجتهاد في غير موضعه ، وإما أن يكون له اليد وليس يكاد مع ذلك يحظى بطائل لأن سلطاننا خلد الله ملكه رجل علوى طويل اليد وطويل اللسان ولكونه ابن بنت رسول الله عليه السلام وولد على بن أبي طالب عليه السلام ولكونه حافظاً لمكة والمدينة حرسهما الله تعالى حرماً الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والأب والأم العلويين والعلويات الذين يجمعهم ذلك المقام الشريف الذين يتصرف إليهم وإلى نفقاتهم في كل سنة من خزائنه زيادة على مائتي ألف دينار والرجل الذي يمسك

(١) في د : واستاقه . — (ب) في د : متهم يلقان .

= يحاربهم حتى توفي فقام ابنه مسعود في مطاردتهم فسأله الأمان وسأله الطاعة ولكنهم سرعان ما عادوا إلى فسادهم فاضطر مسعود إلى تأديبهم وكان طغرل بك إذ ذاك في بلاد ما وراء النهر وكاتب مسعودا للحاق به فاستدعاه فوفد على خراسان بجيش كبير فصار للسلجوقيين قوة استطاعت أن تملك البلاد من مسعود بعد ما أعطوه من العهود والمواثيق وما زالوا يستولون على البلاد حتى تم لهم الغلبة ولم يبق العباسيون بمساعدة مسعود بن محمود وفاء لعهدده وعهد أبيه من قبل ، بل استقبل العباسيون طغرل بك وملكوه على بغداد نفسها . (راجع ابن الأثير — النجوم الزاهرة — ابن خلكان) . (١) سبق أن ذكرنا كيف قبض على الملك الرحيم بن أبي كاليجار البويهى وكيف انتهت بذلك دولة البويهيين ، فالمؤيد هنا يذكر أن العباسيين لم يستطيعوا أيضاً أن يحموا البويهيين . (٢) سورة مريم آية ٤٢ .

فريضة الحج الموجبة على الخلق من دثورها وبطلانها ، فلولا قيامه بماله وسيفه لكان طريق الحج منسداً (١) من جوانب البر كلها ، فهذه نصبة حاله ، وسوى هذا فانه الثامن من الملوك آبائه (١) ، الوارث عنهم من الأموال والأسلحة والخزائن ما لا يحصره حد ولا يحصيه عد وليس يكاد بعد استفتاحه في هذا الأمر وثقته من الله تعالى بالنصر يرده عن أن ينظم الطريق بالأموال والعساكر شيء إلى أن يبلغ الكتاب أجله ويقضى الله أمراً كان مفعولاً ؛ ويتعين على السيد عميد الملك أن يتأمل هذه القصة بعين البصيرة ، ويعلم وضوح الحق في ضمائرنا ، وأن يشير بقبض اليد عما لا يثمر شيئاً غير سخط الله وخراب البلاد وهلاك العباد وليقف الحال حيث بلغت . وإن كانت في بغداد فائدة فهي التي حوتها أيديكم مما كانت مودعة في دار العباسي فخفر الأمانة فيها ، وجعل إليكم سبيلها ، وما بقي غير الصداق والفساد في الأرض ؛ وقد كاتبت حضرة بهذه الحروف لما وثقت به من دينه وفضله وحبه للصالح والخير ليتوسط القصة على ما فيه مرضاة الله سبحانه ومصلحة عباده وكساد سوق الفتنة والامساك عن اتباع خطوات الشيطان ، وأنا أنتظر جوابها الذي يلوح منه نور الخير فيرجع باذن الله تعالى لبداة الأمر ونسج المودة بين الأصحاب حرس الله أيامهم والأخذ فيها إلى سبيل الرشاد والصواب بمنة الله وعونه إن شاء الله تعالى .

دسائس الكندري :

وصادف وصول هذه المكاتبة أن الوزير المعروف بالكندري كان يدس إلى القوم دسائس المكر ، وينصب لهم شرك الغرور ، بما يؤدي إلى تفريق الشمل وتعكيس الأمر ، ويضمن لواحد ولاية الموصل ، وآخر ولاية البصرة وواسط ، فأصاب سهم مكره المقتل وضرب سيفه منهم المفصل ولعب بعقول القوم فعصفت بهم عاصفات التفريق والتمزيق . وأرعب أبو الحارث من كون العمدة عليه وأنهم هموا به ليأخذوه ، فركض برجله منصرفاً عنهم

(١) في ك : مفسدا .

(١) نلاحظ هنا أن المؤيد ذكر أن المستنصر كان الثامن من الملوك آبائه أي أنه جعل أولهم عميد الله المهدي الذي ظهر بالمغرب ، ولم يشأ المؤيد أن يذكر عدد المستنصر في سلك الأئمة حتى لا يضطر إلى التحدث عن الأئمة المستورين الذين كانوا بعد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، وبناء على عقيدة طائفة البهرة يكون المستنصر الثامن عشر من الأئمة والثامن من الخلفاء الفاطميين .

ومفارقاً لهم ، فلما قطع حبله من حبالهم دفع في صدر ما كانوا عليه شورطوا وعوقدوا ، فلم يحصل إلا على غدر وسموا به جبينهم ، وإيمان تقضوها بعد توكيدها ، وقد جعلوا الله عليهم كفيلاً ، ففخسروا دنياهم ودينهم ، وخلع ما كانت أفيضت عليهم وعلى أولادهم وحریمهم من الحضرة العلوية على الفور تعوضوا عنها خلع ربة الوفاء من الأعناق ، فطوقوا طوق العار في إضاعة الحرمة عقيب ما طوقوه في تلك الأطواق ، ورجع أبو الحارث ومن معه إلى الرحبة (١) .

ووردت على كتب القوم المسخور من عقولهم باعتذار لكن لسانه مقطوعة بنانه منهدة أركانه ، فأجبت عنها بما هذه نسخته .

كتاب المؤيد الى ابن مزير في تزيين صلح مع طغرل بك :

نسخة جواب كتاب ابن مزير : وصل كتابه مشتملاً على ما سرفني من ذكر سلامته وعافيته ، وقرأته وارحت لمعرفه مضمونه ، وسألت الله تعالى أن يشفع سلامة جسمه بسلامة

(١) ورد في ابن الأثير في حوادث سنة ٤٤٨ هـ : أن طغرل بك سار عن بغداد عاشر ذي القعدة ، ومعه خزائن السلاح والمنجنيقات ، فلما بلغوا (أوانا) نهبا العسكر ونهبوا عكبرا وغيرهما ، ووصل إلى تكریت فحصرها وبها صاحبها نصر بن علي بن عيسى فنصب على القلعة علماً أسود وبذل مالا فقبله السلطان ورحل عنه إلى البوازيج ينتظر جمع العساكر ليسير إلى الموصل ، وأقام بالبوازيج إلى أن دخلت سنة ٤٤٩ هـ فأتاه أخوه في العساكر فسار بهم إلى الموصل ، وأقطع مدينة بلد هزاسب بن بنكير ، وتوجه السلطان إلى نصيبين ، فقال له هزاسب : قد تبادت الأيام وأرى أن أختار من العسكر ألفي فارس أسير بهم إلى البرية فلعل أنال من العرب غرضاً ، فأذن له في ذلك ، فسار إليهم فلما قاربهم كن لهم كمينين ، وتقدم إلى الحل فلما رأوه قاتلوه ، فصبر لهم ساعة ثم انزاح بين أيديهم كالمهزم فتبعوه فخرج عليه الكمينان فانهزمت العرب وكثر فيهم القتل والأسر ، وكان قد انضاف إليهم جماعة من بني نمير أصحاب حران والركة وتلك الأعمال وحمل الأسرى إلى السلطان ، فقتلهم إلا صبيّاً أمرد . ولما ظفر هزاسب بالعرب وعاد إلى السلطان طغرل بك ، أرسل إليه نور الدولة بن مزير وقريش بن بدران يسألونه أن يتوسط حالهما عند السلطان ويصلح أمرهما معه فسعى في ذلك واستعطف السلطان عليهما ، فقال : أما هما فقد عفوت عنهما ، وأما البساسيري فذنبه إلى الخليفة ، ونحن متبعون أمر الخليفة فيه ، فرحل البساسيري عند ذلك إلى الرحبة وتبعه الأتراك البغداديون ومقبل بن المقلد وجماعة من عقيل ، وطلب دبيس وقريش أن يرسل طغرل بك إليهما أبا الفتح بن ورام ، فأرسله فعاد من عندهما وأخبر بطاعتهما وأنهما يطلعان أن يمضى هزاسب إليهما ليحلفهما ، فأمره السلطان بالمضى إليهما فسار واجتمع بهما ، وأشار عليهما بالحضور عند السلطان ، فخافا وامتنعا فأنفذ قريش أبا السداد هبة الله بن جعفر وانفذ دبيس ابنه بهاء الدولة منصوراً فأنزلها السلطان وأكرمهما وكتب لهما بأعمالهما .

النفس والدين ، وأن يصون كريم عرضه من ضرب ألسن اللائمين ، ومضطرب طعن الطاعنين ، وهو فاعل ذلك (١) برحمته ، وأما اعتذاره عما ذكر أنه أحدثه الأيام والليالي اقتصاراً على التلويح واضراباً عن الصريح ، فقد عرفته ، ولم تنزل الأيام والليالي سريعة اليد لعمري في فعل الجنايات ، خفيفة (ب) في إتيان العضلات ، ولا كهذه التي توجهت نحوها الإشارة ، وذلك أن رجلاً هو من العرب اليوم شيخها وعينها الناظرة ويدها الباسطة وبيته منها أجل البيوت وغرسه فيها أزكى الغراس ، وله في ولاء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم (ج) قدم صدق وراثة ورثها أباً عن جد وكابراً عن كابر ، فصدور الجاهلين منهم لاشتهار ولائهم موغرة ، وقسى المعاندة نحوهم مواترة ، وهم مع ذلك لا يتوجهون غير وجهته ، ولا يصلون إلا إلى كعبته ، ويتمنون طول زمانهم راية علوية تقوم ليكونوا طلعة على رأسها ، وحرباً لها مع أعدائها تقع ليصبحوا جمة لمراسمها ، وبينما هم كذلك إذ انخرم عليهم سد (د) يأجوج ومأجوج فرأوهم من كل حذب ينسلون ، سباعاً في صور البشر لا يحرسون ما حرم الله ولا ما حله يخلون ، يسبون الحريم والرجال يقتلون ، يؤتمنون الأولاد والأمهات ينكحون ، حتى إذا دهمهم من هذا الأمر ما لا يطيقون ، واستووا على خيل الحرب يركضون ، لا يدرون أين يقومون ولا أين يقعون ، هتف بهم هاتف من البيت (١) الذي لم يزالوا لأهله يوالون ، فقال : امكثوا «إني آنست ناراً سأتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون» (٢) فسكن رجيفهم وأمن خوفهم وواساهم من فضل الله تعالى ما أفاء الله عليه ، وقال افتح باب الاطلاق والانفاق واجمع الأيدي معكم حتى أوردكم إلى معادكم ، وما أترقتم فيه من مساكنكم وبلادكم ، فإن أمكن الله تعالى من ذلك فمعاهدكم أولى ودياركم آنس بكم ، وإن قصرت يد القدرة دونه مهدت لكم من جنابي مكاناً ، وعوضتكم عن دار داراً ، وعن جيران جيراناً ، فلم تنزل سحاب كفه يهيم بالنيل ، ويجود بالانفاق والبذل ، حتى أتى الناس من كل طريق ، واجتمعت الجموع حيال العدو من كل فج عميق ، وكادت الريح تهوى به من مكان سحيق ، فحين رأى الشيخ المقدم ذكره أنه قد قام بهذا الجمع العظيم عموده ، وتوثقت عقود عوده ، وتندى بعد الجفاف عوده ، لم يرع (هـ) لمن أنشره من قبر الاضاعة حرمة ، ولم يرقب فيه إلا ولا ذمة ، ونكت أمانة

(١) في ك : لذلك . - (ب) في د : حقيقة . - (ج) في د : هم قدم .

(د) في د : فانخرم سد . - (هـ) في د : يدع .

(١) المؤيد هنا يقصد نفسه . - (٢) سورة النمل ٢٧/٧

عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان ، وجعل المنفق عليه من عظيم المال والمجموع من جموع الرجال مسلماً إلى مسالمة عدوه ، ومفاسدة المنعم عليه وليه ولي الله وابن نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقبحاً لزمان تنزع يده لباس الفضائل عن الأفاضل ، وتسم نواصيها (ا) بأقبح رذائل الأراذل ، والله لقد غمى في سيدنا أن تكون هذه الأفعال عن مثله تصدر ، وهذه الأخبار عنه تؤثر وتنتشر ، أيستحق من شملك بر افتقاده بالأسس القريب في نفسك وأولادك وحرملك وحواشييك يا شيخ العرب أن تجازيه هذا الجزاء ، ولو أنه من بنى يزيد بن معاوية الذين تبرأ منهم فضلاً عن بنى على عليه السلام الذين تتوالاهم ، فما عذرک عند (ب) رب العالمين ؟ وما احتججك عند المخلوقين ؟ لا سيما وأنا مفكر في أمر الثروة والألوية والمنحرفات القريبة العهد يحملها إليك أياكون زينة لك أم هجنة ؛ إنها إذا كان لها قياماً عندك كانت على سكوتها أبلغ خاطب في مذمة من يهدى له مثلها فيكون الغدر جزاؤه ، فان طويت في مطاوى الخفاء أنفة من هذا القول واحتقرت كان معلوماً أن الاحتقار لها يصح ممن يملك يوماً مثلها وهو عالم يملكه ملوككم فضلاً عنكم .

وأما رسالته بأن تقاعد العرب بهم وقلة انبعاثهم لمساعدته أخذت سيدنا إلى ما كرهه من هذا الأمر ، وأنه إذا نصبت نصبة جديدة تنافى هذه بانتداب أحد (ج) الأمراء أولاد أمير المؤمنين خلد الله ملكهم لها ، ونهوض وزيره حرس الله أيامه بفيض (د) الأموال والخزائن والرجال فيها ، كان هو أول مساعد على هذه الخدمة وقائم بأحكام الطاعة فقد عرفته ، ولقد كان الامساك عن هذه المعذرة معذرة ، والكف عن هذه المقالة فضيلة ، فليس (هـ) تقاعد العرب به لو تقاعدوا مما كان يحتم عليه أن يتقنع (و) بهذا العار ، ويتعصب بهذا الشنار ، ويصده عن أن ينكفى إلى باب سلطانه خلد الله ملكه كما انكفاً غيره . ومعلوم أن الذي يستكنف من الأمر لم يكن ابن ساعته ، وإنما كان رأياً مخمراً وشيئاً مقررراً ، وكلما برق للأجل المظفر منه بارق (ز) وكادت القصة معه تنفس وتنقشر ، مدوا عليه من الخديعة سترًا وقدموا بين يديه بالباطل عذراً ، فلم يزل الأمر على ذلك مستمراً حتى أخذ بحق النضاج ، وانتهى إلى كشف الحجاب عن وجه الرتاج . وأما النصبة الجديدة ، التي يكون أحد أولاد أمير المؤمنين خلد الله ملكهم متوليها ووزيره أدام الله أيامه الناهض فيها ، فهي نصبة إن بسط لها واحد في العمل بها لكانت قائمة بنفسها مغنية عن أن يكدح كادح إلى المساعدة عليها

(ا) في د : نواصيهم . - (ب) في د : عذر . - (ج) سقطت في د . - (د) في د : بقبض .

(هـ) سقطت في د . - (و) في د : يقع . - (ز) في ك : بارق كذاب .

فمعلوم أن الامام المعز لدين الله قدس الله روحه لما سار من القيروان إلى مصر كانت معه عدة جمال^(١) — استحى من ذكرها — مثقلة بأكياس المال التي فرغت ، وإن كانت لهم حركة فيه تكون على مثل هذا السبيل أو بعضها أو لا فلا حركة . وما خفى على من أول يوم أن هذا الأمر يقف وأنه على ما قال القائل « يد شلاء ويبعة لم تتم^(٢) » فاني رأيت في التمرث للأمر والتمريض ما علمت السبب فيه ، وخبرني أيضاً الخبر به ، ودارت بيني وبينه نوب في معناه ، وقلت إن السلطان يكون من يتدبر بغداد ويلى الأتراك والأجناد الذين هم سكان المدر دون الوبر ، ولو كان جرت عادة بملك أصحاب الوبر لأصحاب المدر لما غيرت ولا بدلت ، ومع هذا كله فليس على المنعم في حكم من الأحكام إذا أنعم على هذا بدرهم وعلى ذلك بعشرة أن يكون صاحب الدرهم كافراً لمن أنعم على غيره بأضعاف ما أنعم به عليه ، ولو جاز هذا لكان هذا يسقط عن جمهور الناس فريضة شكر نعم رب العالمين سبحانه إذ لم يجعلهم كلهم ملوكاً بل فضل بعضهم على بعض في الرزق تفضيلاً ، وما رحل القوم عن الرحبة إلا بنيات فاسدة ، ونفوس متباغضة متحاسدة ، ولبثت فيهم ما لبثت أرى كلا منهم يتخذ لنفسه سبيلاً ، وأتوقع قبيح ما هم عليه بكرة وأصيلاً ، وما ساروا لما ساروا إلا متعثرين في أذيال الفتور ، ومحدثين أنفسهم^(١) بالعدول إلى جانب الخابور ، ثم اعترضت لهم التركمانية فلزمت ملازمها وساق الله إليهم من النصر فضيلة كانوا عنها^(ب) مبكين ، وعن النفوذ^(ج) في صوابها مجننين وقتلوا المنة بها جيد من ألف شملهم بماله ليعودوا إلى أوطانهم فتقلدوها^(د) والمنة له عليهم واعتدوا بها حسنة والاحسان منه إليهم ؛ ثم انتهى الأمر إلى ما انتهى إليه بعد طول الخطب وامتداد الشوط والله تعالى يخير للدولة العلوية ويجريها على حسن عوائده ويضاعف حظها

(١) في د : ومحدثاً نفسه . — (ب) في د : عليها . — (ج) في : النفور . — (د) في د : فتقلدها .

(١) سير المعز إلى مصر مع جوهر الفا ومائتي صندوق من الأموال على الجمال ، وجندا يربو عدده على مائة ألف [ابن خلكان ج ١ ص ١١٩] . وفي اتعاظ الحنفا نقلاً عن ابن زولاق أن أبا جعفر العلوي سئل عن مقدار عسكر جوهر فقال : مثل جمع عرفات كثرة وعدة ويذكر المؤرخون أن المعز خرج إلى مصر ومعه الأموال والذخائر والكتب وجثث آبائه وأهل بيته وكان ذلك مجولاً على عدد كبير من الجمال والعشاريات .

(٢) في كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة ص ٥٢ (طبعة المكتبة المصرية سنة ١٣٢٥ هـ) أن علياً أقبل إلى المسجد وكان أول من صعد المنبر طلحة فبايعه بيده وكانت أصابعه شلاء فتطير منها على فقال « ما أخلقها أن تنكث ولكن مؤرخي الاسماعيليين رووا أن علياً قال : يد شلاء ويبعة لا تتم » .

من سنى نعمه وفوائده ، فوالله ما توخت (ا) إلا إجارة المستجيرين لمراجها ، ولا طالت بالبذل يد أنعامها ومكارمها إلا قصرأ (ب) ليد طالت إلى دماء المسلمين وحريمهم أن تفجعها ببراجها ، ولو كان ملك العراق قصدها لكان ورده موروداً ببعض هذه الأموال في زمان اختصاصى بخدمة الملك أبي كاليجار ، وكونى معه مستقيم الحال وبعد طول هذه النوبة من محاورة (ج) سيدنا فلا بد من كلمة أخرى أتكلم بها وأتفهم بها ما عنده فيها ، هذا الصلح المبارك المستقر بينه وبين التركانى ليس يخلو من أحد أسرين : إما أن يكون مقامهم ببغداد فيكونون رداءً له ، فليقر عيناً بطيب العيش في جوار خير حمى وخير عشيرة ، وليعلم أنه انتقد الرأى في احتائه بهم انتقاد بصير ، وإما أن يخلو الدار منهم فعلها من أبى الحارث والعسكر البغدادى رقيب صقر على فريسته يخلق ؛ ولأنبايه ومخالبه عما قليل يعلق ، بحول الله وقوته إن شاء الله تعالى .

كتاب آخر الى ابن مزير :

وكتبت إلى ابن مزير بعد الفراغ من كتب الكتاب ، أوقفنى صاحبه على كتاب حضرته إليه ، وفي آخره فصل يذكرنى فيه (د) ، وأما صدر الكتاب فقد دل على أن الضرورة دعته إلى ما فعله بحصوله بين ظهرانى عشيرة عنها الرأى عازب ، وعليها الخوف غالب ، إن تخفف تشاقلوا ، وإن تقدم تأخروا ، وأن شاهده بهذا القول جابر بن ناشب ، وهو حاضر فيسأل عنه إنه لا يأتى الشهادة وأنه كان المشير بفعل ما فعل أيضاً ، فكلامه في هذا الباب كلام يجيب عن نفسه ولا يحوج إلى معبر يعبر عنه ، فقد كان ذلك المقام كما قال الله تعالى ، «ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود» (١) ما غاب عنه البدوى والحضرى والملى والذى فى مائة ألف أو يزيدون كلهم على كلمة سواء أن خميرة القدر هى التى قادت العدو بمقادة الاسترسال إلى العبور والاناخة بفناء عظيم ذلك الجمهور ؛ وأنه لو ترك بعد ذلك حتى تعصف بهم رياحهم لأصبحوا شعاعاً بديداً ، ولما كانت تقوم لهم قائمة أبداً ، وخبر الاجماع لا يبطله خبر الآحاد ؛ فأما جابر بن ناشب فممتنع أن يكون أشار بشئ وعمل هو بضده ، وما معنى مفارقتهم لكم إن كان مصوباً لفعلكم ، وأما ما تقدم به إلى صاحبه أن يقول لى اسمع كلامى

(ا) فى د : توجب . - (ب) فى د : قصداً . - (ج) فى د : مجاورة . - (د) سقطت فى د .

(١) سورة هود آية ١٠٣ .

وأجب عنه جواب منصف ، وقوله بعد ذلك الله تعالى يعلم صدق ولايتي ومحبتى ومخالصتى واعتقادى باطنا وظاهراً قديماً وحديثاً فقد عرفته ، وأنا أجيب عنه جواب المنصف على ما مثله فأقول : إذا كان هذا فعله مع أوليائه فما الذى ادخره لأعدائه ؛ وأما قوله إنه قصد الرحبة مع هذا الاعتقاد يرجو نيل كل طلبته فلم يحظ بطائل ، وإن ابن عمه أقام بمصر المدة المعلومة فعاد بلا درهم (١) ، وأن اليمين التى حلف بها ما كانت معلقة بشروط القيام بنصرتة ومساعدة عشيرته ، فالجواب أنه بسلامته مائتى وجهه من تكريت (ب) (١) إلى الرحبة إلا وهو لا يعقل من الفرح إذ كان صاحب التركانى قد لزه إلى تسليم الرهينة بالتزام المال ، فلما ورد عليه كتابى وكتاب الأجل المظفر ما ظنه إلا صحيفة من السماء نزلت عليه فقام يركض على خيل الأسراب ، ولم يفارق الموضع إلا بموافقة علم الدين على أن يحفظ الأعز منهما الأذل والأقوى الأضعف ، وقام دليل ذلك بسنجر بعد الفتح ، فلما ورد الرحبة ووجد حظ غيره أرجح من حظه أخذته العزة وتداخلته الأنفة فجعل يعكسنى ويمجى على الشوك والشجر نحو أربعين يوماً ، ويردد القول فى معنى تشريفه ترديد بنى إسرائيل فى شأن البقرة ، حتى انتهى إلى مثل قول الله تعالى «فذبوها وما كادوا يفعلون» (٢) وأنا أعلم العلة فيه ، وأما اليمين فقد كنت أسامحه بها تبرعاً فأبى الله إلا (ج) أن يطوقه أطواقها ، ويسمه بسمه الحنث والنكث فيها ، وأما احتجاجه بكونها متعلقة بشروط النصرة والمساعدة فهبنى سلمت القول له ، هل يكون فى المساعدة أكثر من خمسين ألف دينار قد أخذها وكان الملك أبو كاليجار حمل مع ابن مرشد وأبى البقاء لاستبلاك بغداد مثل هذا المبلغ ، إلا أنه كان شاهية ، فإذا كان هو وحده أخذ خمسين ألف دينار مساعدة له ولعشيرته على الرجوع إلى بلادهم ، فما الذى يطلبون بعده ؟ وأما النصرة فهل يكون فيها أبلغ من جمع (د) الأيدى التركية والعربية والكردية والأجناس المختلفة الذين جمعهم قبض الأسوال حتى يردوه إلى بلاده فجعلهم سبيلاً إلى إصلاح أمره ولم تنه نواهى الغيرة على اسمه أن يقبح ذكره ؛ وأما ابن عمه فقد وصل إليه من فضل الدولة العلوية نصرها الله وأنعامها ما جحدته وكفره وقابل عنه بما اشتهر عنه ، وكل يعمل على شاكلته ، وأما قوله إن الذى فعله توخى به المنع عن بلاد الشام وإنه خدمة حاضرة فما عندى إلا أن أقول أحسن الله جزاءك والسلام .

(١) فى د : بلادهم . - (ب) فى د وك : - تكريب . (ج) سقطت فى ك . - (د) فى د : جميع .

(١) تكريت بين بغداد والموصل وهى إلى بغداد أقرب .

(٢) سورة البقرة آية ٧١ .

خطاب المؤيد إلى ابن ورام في تزيين موقفه^(١):

نسخة كتاب ابن ورام : وكنت كاتبته بذكر ما بلغني من تواصل مكاتبات أخيه إليه يدليه بغرور ، يعده ويمنيه كما يعد ويمنى الشيطان بالزور (أ) ، ويضمن الاحسان إليه من موضع لا يصح منه الاحسان ، وأن نفسه تكاد تصبو إلى قوله ، وتسكن إلى وعده وبذله ، وعوذته بالله السميع العليم أن يصير على شيخوخته وحلبة الدهر أشطره مخدوعاً ، وأن يصادف قول الباطل في نفسه وقوعاً ونجوعاً ، فأجاب عنه الجواب الذي كاد أن يليق به لو لم تكن خديعة ، وشفعه (ب) بالايان التي لا يعتمد الكذب فيها إلا من قطع رحم الايمان قطيعة ، فسكنت إلى قوله سكون من ينزعه عن شين التحريف ، وأن يستفز الشيطان مثله من ذوى الحصافة بكيدة الضعيف ، فبينما أنا جار على عادة حسن الثقة به ، والسكون إلى جهته إذ كشف التراب عنه دفين جيف الفعل بما غشى النفوس ، وأدار نذنه الرءوس ، وما (ج) اشتد على أنني كنت بصدد تمام أمر كنت أرجو تمامه فوقف ، وحبل كنت أوثقت إبراهيم فانتكث ، كما اشتد على أن أمراء سادة أجلاء لم يزالوا مرسوقين بعين الوفاء والانسانية والمروءة ، قد انقلبت منهم في هذا الأمر الأعيان ، ونقض الخبر عنهم العيان ، فوالله العظيم مالك يوم الدين أيها الأمير لو رجعت إليك بلدك وهي تنبت ذهباً لما وفيت ببعض ما ذهب من مائك وبهائك ، ولا جددت رسماً مما خلق في ديباجة وجهك ، إن اكتساب المرء باخافة السبيل وقتل النفس المحرمة (د) لأشبهه بأحكام الرحلة من اكتساب المرء بالغدر بمن وفى له والاساءة إلى من أحسن إليه ونقض الايمان بعد توكيدها ، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً لا سيما والمغدور به هو ابن فاطمة الزهراء الذي نعش صريعكم ، وأجار مستجيركم ، وقام في العصبية معكم فيما يحميكم ويحمي المسلمين ، وينجي الكافة من عوادي القوم الظالمين ؛ ولقد كان الأولى بكم والأزين لكم أن لا تضيعوا له المصروف إلى صلاحكم وصلاح المسلمين ؛ إضاعة ، ولا تجعلوه لتنفيق كسده سوق بضاعتكم لولاه بضاعة ، ولا تغلوا بغدركم بعد القتال فان أسفر عن النصر كان صلاحه لكم ، وتأخذون بعده ثواباً ، وإن وقف تيممون حمى كريماً له وجنابا ، وكنتم تتمهدون بها مهاد الأكرام ، وترتضعون درة الاحسان والانعام ؛

(١) سقطت في د . - (ب) في د : شفحته . - (ج) في د : وأما . - (د) سقطت في د .

(١) راجع هامش ١ ص ١٥٣ إذ يفهم من رواية ابن الأثير أن ابن ورام كان أسبق الأمراء إلى نقض عهده مع المؤيد والاستجابة إلى طغريك بما فت في عضد غيره من الأمراء .

فأما وقد فعلتم ضد ذلك مما أغضبتم به (أ) أحسن الخالقين ، واستطلقتم بذمه (ب) ألسن المخلوقين فما يؤمنكم أن الذي بعتم من أجله الانسانية والدين والمروة يحال بينه وبينكم من إحدى جهتين : إما من جهة من واصلتموه ، وإما من جهة من فاصلتموه ، فتكونون لا في حزب الشيطان (ج) ولا في حزب الرحمن ، ولو لم يكن الأمر (د) مترجماً بين هاتين المنزلتين لا ثالث لهما يعرف لكان حقيقاً لمن بغى عليه أن ينصره الله [وقبل وبعد] فقد كشف الزمان لسيدنا عن محبتي ومخالصتي ومناصحتي وشفقتي وأرى له من الرأي أن يأتي بما يغسل (هـ) به عنه (و) هذا العار ، ويعمل بقول الله تعالى : «ولا تركزوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار» (١) والسلام .

كتاب المؤيد إلى قريش بن بدرانه في أمر الهدنة :

نسخة كتاب إلى قريش : ووصل كتابه ناطقاً بذكر سلامته (ز) أدامها الله تعالى له ، ووفر أقسامها عنده ، وقرأته وأحطت علماً بمودعه ، وسألت الله جل اسمه أن يجعله ممنوحاً من فضله بحسن الزيادة ، مشمولاً في مساعيه ومناحيه بالسعادة ، وفهمته ، فأما ما ذكره من نفوذ كتابه مع الأمير شهاب الدولة إلى ، وقصور جوابه دونه ، فكتاب حضرته مقبول بكتا اليدين ، محمول على الرأس والعين ، ومعلوم أنه مأخذ (ح) مني ولا من صاحبي حرس الله أيامه ثانياً إلا (ط) وهو يحبه محبة الآباء للأولاد ، ويعتقد فيه ما لا يكون وراءه غاية من حسن الاعتقاد ، وما قعدت عن الاجابة عن كتابه إلا وأنا مترجح بين أن أكتب بصدق مر في مذاق سمع السامعين ، أو كذب لا يليق لي أن أهم في واديه ، وأدهن مع المدهنين ، وإلا فقدره الأرفع الأجل ، وإلى بيته الكريم ينتهي الفخر والفضل ، وأما اعتذاره عن الضرورة التي خرقت ستر اجتهاده ، وصدت عن بلوغ مراده ، وأدت إلى الحالة التي أخرجتها المقادير عن أكامها ، وقضت بنقض الرأي الأول في إبرامها ، وإشارته إلى قصد مصلحته هي وراء الحجاب تنهج الأيام سبلها ، وتضع ذات حمل بكشف مطاويها حملها ، فقد عرفته ، وأقول ما قال الله عز وجل : «بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى

(١) سقطت في د . - (ب) في ك : به . - (ج) في د : لا في حزب الرحمن ولا في حزب الشيطان .

(د) في د : إلا . - (هـ) في د : يتغسل . - (و) في ك : به عنه دون هذا .

(ز) في د : سلامه . - (ح) في د : أخذ . - (ط) في د : سقطت .

(١) سورة هود آية ١١٣ .

معاذيره»^(١) وكل ما يعلم سيدنا قيام عذره فيه عند ربه سبحانه الذي هو أحسن الخالقين ، فلا حاجة به إلى المَعذرة عنه إلى المخلوقين ، لاسيما إذا كان بشيراً بين يدي خير يتفتق نواره (أ) وتلمع عن كشب (ب) أنواره ، وهذه جملة الجواب [لوارد الكتاب (ج)] ، وأما شروعه في تقدير أمر الهدنة بين الدولتين ، نصر الله الحق منهما ، مجتمعاً فيه مع سلطان ملوك العرب لكون ذلك منوَضاً (د) إليهما ، ومعولاً فيه عليهما ، وكون استقرارها مؤذناً برحيل السلطان من بغداد إلى دياره ، ووقوفها مؤدياً (هـ) إلى ثبوته بمكانه واستقراره ، فقد عرفته ، ومن أولى منهما أن يشد (و) به مثل هذه الأمور العظام ويجزم ، ويبدأ بجميل سعيه الذكر الجميل ويختم ، وأنا أنتهى إلى محدوده في انهاء ذلك إلى الباب الطاهر خلد الله ملكه وأعلامه ، ما يرد من جوابه على أننى وجدت لفظة الهدنة التى أشار إليها خرساء عمياء لا تؤدى معنى من المعانى ، وكان وجب أن أشعر بذكر هذه الهدنة المباركة كيف يكون وقوعها ، وعلى أى نصبة موضوعها ، وأين الخلف فى ألف ألف دينار فاضت فى هذه المحجة ، وغاصت فى هذه اللجة ، وأين موقع العسكر البغدادى الذين استجاروا بالدولة العلوية فأجبروا من الجملة ، وأين موقع أقداسهم من هذه الحلبة (ز) ، ومكان ثبوتهم من أسطر هذه الصحيفة ، وإذا تفضل وفصل (ح) لى الكلام فى هذا المعنى كان الانهاء طالعاً من آفاق البيان ، وواقعاً مع سمع السامع بموقع ومكان ، فان رأى أراه الله المحاب والأنعام بالمبادرة بالجواب الذى يزيدنى علماً ، ويلتجح لى بفضل التعريف والتبيين فهماً ، وتصريفى على أمثلته المطاعة فعل ، إن شاء الله تعالى .

ولما أنفذت هذه الكتب لقيتهم فى بعض الطريق وهم راجعون ، وعلى خيل الهزيمة من التركمانية شادون ، والمحصول منهم على وجوه بالغدر مسودة ، وظنون فيما أسلوه من التركمانية منعكسة وحاجات فى النفوس منكسرة^(٢) ، ووقفوا على الكتب فأنابهم غماً بغم ، وجرعتهم

(١) فى د : أنواره . - (ب) فى د : كتب - (ج) سقطت فى د . - (د) فى د : منعضاً .
(هـ) فى د : مؤذناً . - (و) فى د : يسد . - (ز) فى د : الحيلة . - (ح) فى د : وفضل .

(١) سورة القيامة آية ١٤ و ١٥ .

(٢) جاء فى ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٤٨ أن هزاسب الذى أقطعه السلطان مدينة بلد أرسل إلى نور الدولة بن مزيد وإلى قریش بن بدران يعرفهما وصول إبراهيم نبال ويحذرهما منه ، فسارا من جبل سنجار إلى الرحبة فلم يلتفت البساسيرى إليهما فانحدر نور الدولة إلى بلده بالعراق ، وأقام قریش عند البساسيرى بالرحبة ومعه ابنه مسلم بن قریش .

قانعاً من سم ، وكتب إلينا بعض المنصحين يذكر أن قضية الحال تقتضى (١) أن يسحبوا على ما فعلوا ذيلًا ، ويحسنوا لهم قولًا ، ويكتبوهم بما يداوى ما وقع فيهم من جراح العدل ، ويوجه نحوهم من حسن القول ، فكتبته بما هذه نسخته .

كتاب المؤيد إلى فريش بن برهان :

وكانت رسالته وردت على لسان فلان بما جعلنى بالحيرة مغموراً ، وأخرجنى في صورة من كنى الله في كتابه «وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً» (١) لأننى كنت من تسع عشرة سنة أقيم عليه بالحضرة العلوية خلد الله ملكها سوق الشاء ، وأصفه صفة الأولياء الأوفياء ، حتى سقت الحال إلى أن فتحت إليه وإلى الجماعة هذه الخليجان ، وأخرجت من بحر كرم ذلك الجناب الطاهر اللؤلؤ والمرجان ، وبحسبه أنه لما ورد الخبر بما ورد على مشهد موسى بن جعفر عليهما السلام (٢) حملتنى حرقة القلب على نظم الأبيات ، على

(١) في د : سقطت .

(١) سورة الفرقان آية ٢٣ .

(٢) ورد في ابن الأثير [حوادث سنة ٤٤٣] في هذه السنة في صفر تجددت الفتنة ببغداد بين السنة والشيعة ، وكان سبب هذه الفتنة أن أهل الكرخ شرعوا في عمل باب السماكين ، وأهل القلائين في عمل ما بقى من باب مسعود ، ففرغ أهل الكرخ وعملوا أبراجاً كتبوا عليها بالذهب «محمد وعلى خير البشر» وأنكر السنة ذلك وادعوا أن المكتوب «محمد وعلى خير البشر» فمن رضى فقد شكر ومن أبى فقد كفر» وأنكر أهل الكرخ الزيادة وقالوا ما تجاوزنا ما جرت به عادتنا فيما نكتبه على مساجدنا ، فأرسل الخليفة القائم بأمر الله أبا تمام نقيب العباسيين وعدنان بن الرضى نقيب العلويين لكشف الحال وانهاؤه ، فكتبنا بتصديق قول الكرخيين ، فأمر حينئذ الخليفة ونواب الرحيم بكف القتال ، فلم يقبلوا ، وانتدب ابن المذهب القاضى والزهيرى وغيرهما من الحنابلة أصحاب عبد الصمد بحمل العامة على الاغراق في الفتنة ، فأمسك نواب الملك الرحيم عن كفهم غيظاً من رئيس الرؤساء — ابن المسلمة — لميله إلى الحنابلة ، ومنع أهل السنة من حمل الماء من دجلة إلى الكرخ ، وتشدد رئيس الرؤساء على الشيعة ، فمحو «خير البشر» وكتبوا «عليهما السلام» فقالت السنة لا نرضى إلا أن يقلع الآجر الذى عليه محمد وعلى وأن لا يؤذن «حى على خير العمل» وامتنع الشيعة من ذلك ، ودام القتال إلى ثالث ربيع الأول وقتل فيه رجل هاشمى من السنة فحمله أهله على نعش وطافوا به في الحربية وباب البصرة وسائر محال السنة واستنفروا الناس للاخذ بثأره ثم دفنوه عند أحمد بن حنبل وقد اجتمع معهم خلق كثير ، فلما رجعوا من دفنه قصدوا مشهد باب التبن فأغلق بابه فنقبوا في سورها وهددوا البواب فخافهم وفتح الباب ، فدخلوا ونهبوا ما فى المشهد من قناديل ومحاريب ذهب وفضة وستور =

أنى لست بشاعر ولا متشاعر ، وفى جملتها ذكر الافتخار لعشيرته (١) فكانت هذه الكلمة تنشد فى قصور الخلافة ، وما قصدى بهذا القول إلا الابانة عن محبتي له من حيث الولاء والتشيع ، لا عن جميل كان (ب) له عندى فى الأول ، ولا ظننت (ج) أن سيجمع (د) الزمان بينى وبينه فى الآخر ، ولما وردت مع شهاب الدولة الرسالة المقدم ذكرها ألهمت النار فى أثوابى ، وكتبت إليه كتاباً نفشت فيه نفثة مصدور ، وأوردت ما أن جفى قوله منى كان أجفى (هـ) فعله منه ، وكنت على إصدارى من فورى ، ثم حضرني صاحبه وخرج لى من الأمر تأويلاً أوقفنى على انتظاره ، وعلق قلبى بوقع إسفار نهاره ، وتوقفت عن إصدار الكتاب إلى هذه الغاية ، فلما طالت بعد ذلك المدة وبعدت دون وضوح ما انتظرتة الشقة ، قلت كما قال المتنبي : «فليسعد النطق إن لم تسعد الحال (٢)» وأصدرت الكتاب معذرة إلى نفسى وشفاء لصدرى ولم يكن من الحسبان أن كتابى يلقاه فى الطريق ، وهو ثان وجهه عن الوجهة التى كان مولياً ، ولو علمت لكنت أعتاض عنه بالأهل والمرحب ، وألقاه بوجه

(١) فى د : بعشيرته . — (ب) سقطت فى ك . — (ج) فى د : بأميل .
(د) فى ك : سيجمع به الزمان . — (هـ) فى د : ما أن أخفى قوله منى كان أخفى .

= وغير ذلك ، وأدركهم الليل فعادوا ، فلما كان الغد كثر الجمع فقصدوا المشهد وأحرقوا جميع التراب واحترق ضريح موسى الكاظم وضريح ابن ابنه محمد بن على الجواد والقبطان الساج اللتان عليهما ، واحترق ما يقابلهما ويجاورهما من قبور ملوك بنى بويه ، فلما كان الغد خامس الشهر عادوا وحفروا قبر موسى بن جعفر ومحمد بن على لينقلوهما إلى مقبرة أحمد بن حنبل فحال الهدم بينهم وبين معرفة القبر فجاء الحفر إلى جانبه ، ولما انتهى خبر إحراق المشهد إلى نور الدولة دبى بن مزيد عظم عليه واشتد وبلغ منه كل مبلغ لأنه وأهل بيته وسائر أعماله كلهم شيعة ، فقطعت فى أعماله خطبة القائم بأمر الله فكوتب فى ذلك وعوتب ، فاعتذر بأن أهل ولايته شيعة واتفقوا على ذلك فلم يمكنه أن يشق عليهم كما أن الخليفة لم يمكنه كف السفهاء الذين فعلوا بالمشهد ما فعلوا وأعاد الخطبة إلى حالها .
(١) راجع القصيدة الثالثة والعشرين من «ديوان المؤيد داعى الدعاة» التى قيلت سنة ٤٤٣ بمناسبة نبش قبر موسى الكاظم ، والتى جاء فيها :

أآل المسيب ما زلتم عشير الولاء فنعم العشير
ويا آل عوف غيوت الحول ليوثا إذا كع ليث هصور

(٢) من قول المتنبي فى الأمير أبى شجاع فأتك الرومى المعروف بالجنسون وهو أحد موالى الأخشيدي وأحد قواده ، وبعد استيلاء كافور على أمر البلاد انحاز فأتك إلى الفيوم ولما ورد المتنبي مصر استأذن المتنبي كافوراً فى أن يمدح أباً شجاع فأذن له فقال فيه لاميته المشهورة :

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

المتحجب المتقرب ، ولكنت أقول كما قال (أ) الله تعالى في (ب) نص الكتاب حكاية عن نسبتي إليه نسبة التراب إلى السحاب : «لاتتريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين» (١). وما سؤلى في الدنيا إلا ما بدل الله تعالى به السيئات الحسنات ، وما طبقت الأرض بذكره من القبيح خيرات وصالحات ، فلقد كنت والله أغار على ذكره أن تركبه هجنة ، وعلى قول طالما قلت في الشناء عليه أن تتخونه (ج) شبهة ؛ ولقد أتاني التبكيت من مجلس الوزارة فقليل ألت الذي كنت تشهد له دائماً (د) بكونه أوفى العرب ؛ وقد كاتبت (هـ) حضرته مزيلاً (و) عن قلبه الكريم ما اعترضه من الثقل بالكتاب الذي أحوجنى (ز) إليه حرج الصدر (ح) وضيق نطاق الصبر والفكر في سعى سنتين انقطع منه الوتين لا أقول شج (ط) منه الجبين ، صادفته تعصف به العاصفات عصفاً ، وبيوت أموال وجدتها تنسف في اليم نسفاً ، وحقيق بمن يكون هذا دأبه أن يتخرق وفي جلدته يتمزق والسلام .

كتاب آخر إلى فريسي :

ووصل جوابه فأجبت به بما هذه نسخته : ووصل كتابه جواباً عن كتابي مشتركاً فيه الاضراب عن التقصى في الجواب الذي عسى أن يورث نفوراً ، ومشفوعاً بما فسخ الشرط رجوعاً إلى ذكر أوائل المعرفة من حين نزولى بالرحبة (ى) وإلى هذا اليوم وتتبعاً للفصول أكثرها وإجابة عنها ، وقرأته وأحطت به علماً ؛ ومعلوم أننى لو أطلقت عنان القول لوجدت في أرضه مراغم كثيراً وسعة ، ولكننى متصون عما يشغل سره ويضيق صدره ، ولولا أن الأمر فاض على قلبي في الأول ، لما لدعته في الكلام الذى كان حقاً فهو يعلمه ، وإن كان باطلا فهو يعلمه ، ومن عجائب صنع الله تعالى في الانسان أن له باطناً وظاهراً وأنه لا يمكنه أن يكذب نفسه مادام الكلام في سر نفسه ، فاذا انتهى إلى العبارة عنه بلسانه كان عنانا الصديق والكذب بيده ، إن شاء كذب وإن شاء صدق ، كقول الرجل أكلت ور بما لم يأكل ، وعلى هذه النصبه فكل منا يعرف أنه محسن أو مسيء كما قال الله تعالى :

- (أ) في د : قول الله . - (ب) في د : في ظهر نص الكتاب . - (ج) في ك : يتخوفه .
 (د) سقطت في د . - (هـ) في ك : كانت . - (و) في د : متزيلاً . - (ز) في ك : أحوجنى .
 (ح) في ك : الصدور . - (ط) في د : رشح . - (ى) في د : بالجملة . وفي ك : بالحلة .

«بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره» (١) . فأما حالنا في هذه النبوة فهي أجل وأوضح من أن تحتاج إلى برهان عليها ، فأموالنا هي التالفة ، ومساعدتنا هي الضائعة ، والأمر في ذلك لا يعدو إحدى حالتين : إما أن يكون الذنب للمتبوعين أو التابعين ، فإذا كان المتبوعون يبرءون أنفسهم عن هذه الحالة (أ) ويعتذرون وأنا أحد (ب) من يقبل عذرهم ويصدق قولهم ، ثم أعدل باللائمة إلى التابعين ، وأقول إن تلك الأمة التي اختنقت بها البرارى ، وضائق عنها الصحارى ، ورأت (ج) أن شردمة قليلة يقلون عن عدد عيالهم وعبدان (د) حللهم لاطاقة لم بهم على قلتهم ، وكثرة أولئك فهم مطلون في نساءهم وحر يملهم ليأخذوهم ، فخاروا وضعفوا ووهنوا ، حتى اضطر أسراؤهم إلى إلقاء السلام إليهم ، والاذعان لهم ، لأمة لاتساوى (هـ) الماء الذى تشرب ، والطعام الذى تأكل ، وما هاهنا قسم ثالث ، فأنا على ما عهدته سيدنا من محبته وإيثار الخير له والحرص على جميل ذكره وعلو قدره ؛ وحقيق على كرمه أن يتصور ذلك منى ولا يرتاب به ، ويعلم أن خشن الكلام منى لو صدر والعياذ بالله لكان أسلم من لينه [وخشنة من غيرى] (و) ، فانى ما أرى للناس (ز) قاطبة إلا الخير والجميل فضلا عن مثله ممن قام في دياره عماد التشيع والولاء (ح) ، وأصبح غصة في حلق الخالفين والأعداء ، والسلام .

رحيل المؤيد من الرحبة :

وفى خلال نفوذ الكتب فى عود الأجوبة . حصل القوم المكاتبون بفناء الرحبة وقلوبهم متشوقة إلى ما يرد عليهم من جهتنا فى معنى الحفاوة بهم ، وإظهار الرغبة فى مجاورتهم وقر بهم ، فلم نر إلا أن نزرع عنهم بطالعة الميل إليهم ، والحرص عليهم ذات اليمين ، كما قرضونا بغروبهم عن حسن الوفاء وحفظ الذمام ذات الشمال ، فلما يؤسوا من إشارة بناننا إليهم بالتحية ، وإقبال وجوهنا عليهم بالبشر والأريحية ، مضوا على خيط الفرات منحدرين خائفين ، من كبسة إليهم حذرين ؛ وكان التركىنى بعد أن فل الجمع بحد مكره

(١) فى د : الرذيلة . - (ب) فى د : أجد . - (ج) فى ك : رأيت . - (د) فى ك : عدان .
(هـ) فى د : تتساوى . - (و) فى ك : من لينه من تحيرى .
(ز) فى د : فانى أرى الناس قاطبة إلى الخير . - (ح) فى د : الولى .

لا يجد سيفه أصعد إلى ديار بكر ليعصر ابن مروان عصرة يستخلص بها دهنه ، فاتصلت كتبه ورسله يقول «أدركوني من قبل التمزيق وخلصوني من هذا المضيق» فأصعدت إلى تلقاء الرقة ، فاستدعيت ابن وثاب ووافقتة على الاحتفال والاحتشاد ، وجمع العشيرة ليرحل أبو الحارث في أتراكه وأعرابه وأكراده ويعبروا الفرات وتجمع الجموع لميقات يوم معلوم ، في مكان معلوم ؛ وينفروا إلى التركاني خفافاً وثقالاً مستظهريين عليه بحول الله وقوته ومستكئين عليه اتكالا ، ولما تحرر هذا الأمر كاتبت ابن مروان بمشروح هذا التقرير ، وأبا الحارث في معنى الحث على تقديم المسير ، فورد الكتاب على ابن مروان وقد علقت النار ذيله ، ونال منه الدعك (أ) نيله ، ولم يكن له جنان يصابره على الخسف ، والتوقع لأن يغسل عنه العار بالسيف ، فجعل يمسك رسلنا على تواليهم عنده ، ويعقد للسلم مع التركاني عقده ، بأن يخرج كرائم ما يملكه أتاوة ، ولا يباشر من كريمة الحرب ما يجعل على بصره غشاوة ، وذلك دأب طلاب السلام وأصحاب الزاوية والعافية .

ثم أنى صعدت إلى حلب ولقيت دونها بثلاث رحلات عطية الذي ذكرت (ب) فعلته في تخطف المال ، وتخيف ريش الرجال ، في ساعة العسرة من يوم النزال ، مترامياً على ، ومتنصلاً من ذنبه إلى ، فأجنيته (ج) من كلامي شهداً ، وجعلت له موعدي باستصلاح شأنه مع السلطان أعز الله نصره مهداً ، ولما كان ثاني يوم التقائي به صادفت أخاه ثمال بن صالح وقد حشد من حشود عشيرته الكلابية من كان استمضهم (د) إلى حلة عطية ليحملها حملاً ، ويلهب النار فيها فتكاً وقتلاً ، فتناولته بلسان وعظ صادق موقعاً من قلبه منطقته ، ونهيته عما هم به نهياً أكثر من الصلاح موقعه ، ودفعت عن همى الفريقين دفعاً احتمت به حلب وأعمالها من الهلكات ، وأمنت من بغتات الأذى بمشيئة الله .

ولحق أبو الحارث على أثرى فنزل ببالس على رحلتين [من حلب إذ كان قد اتصل من الرحبة] (هـ) على نصبة إجارة ابن مروان لما استجاره ، فلما قصر باع صبره دون انتظار الحجير ، ونزل تحت حكم الجائر (و) لم يكن من أبي الحارث إلا أن ينكص على عقبه من الرحبة ، فأصعد إلى بالس ومعه قریش بن بدران ونخبة وجوه بني عقيل . فلما كان بعد أيام أتاني رسوله (ز) يظهر الرغبة في لقائي ومشاهدتي ويذكر أنه لا قبل له أن يطأ سوطاً هو لبعض البوادي من أبناء جنسه ، ويلتمس الكشف إليه ليجتمع بي ويفرشني سر

(أ) الدعك : الخضم . - (ب) سقطت في د . - (ج) في د : فأجبتة . - (د) في د : استمضهم .
(هـ) في ك : سقطت . - (و) في د : الجابر . - (ز) في ك : رسول .

نفسه ، فتوجهت لموضع يقال له دير حافر^(١) فاجتمعنا فيه على خلوة ، وطال بيننا النجوى فما أضحك طوراً وطوراً أبكى ، ما بين تحشم^(١) له على فعله تارة ، وتمهيد لعذره مع الأنابة تارة ، ورحلت عنه رحيل من بسط معه في التأنيس ذرعاً ، وزرع المحبة في قلبه زرعاً ، وأعلقه علاقة من صفاء عقده ووفاء عهده وثيقة ، ورد مجاز التطوع منه طاعة حقيقة .

المؤيد في حلب وعودتها إلى أملاك الفاطميين :

وعدت إلى حلب وصادفت فيه شمال بن صالح خمر خميرة أمر دونه برزخ من الخطار ، وأمام شريعة الصفو من شربه شرب الأقدار والأكدار ، وهو أن هذا الرجل لم يزل يتقلب في بردة الخوف من السلطان — خلد الله ملكه — لبادرة أبيه من قبل ، وفعله في المانعة عن داره لما هجم عليها من بعد ، ولم يزل السلطان أيد الله نصره أيضاً يلتمسه على سبيل الادهان ، ويعد طاعته طاعة صادرة عن صدر العصيان ، ولما نذبت للوجه الذي كان محجته ومدرجته كان أول الحذر منه أن يفترس المال الذي يصحبنى بمخالبه وأنيابه ، وأول الوصية لي أن لا أنزل إلا في كنف قوى^(ب) من العسكر بجنابه ، فركبت الأبلق في مخالفة الوصية ، والعمل بضدها من القضية ، وقد تقدم الشرح فيه ، فلما جمعي وإياه الزمان وقد سبقت السوابق له من فعلى بالسكون إليه والتعويل عليه ، وعلم أن إثاري أن أوضح للسلطان خلد الله ملكه من محض طاعته ملبساً ، وأن أضرب له فيما يؤمنه من سطوته طريقاً في البحر يبساً ، وتجرد في الخدمة معى التجريد الذي رض أفواه من غنى عنه بسوء ، وكفى^(ج) ورد ألسن المتوشقين عليه لكناً ، ولم تزل الأيام في مجاورتي له وتوفره على خدمة السلطان — خلد الله ملكه — في جهتي تبدله من خوفه أمناً ومن استيحاشه أنساً ، حتى انقلبت عينه واستأنس إلى مكان وحشته ، وأمن من خوفه وخشيته ، ولما اتفق عليه ما اتفق من خروج أخيه عليه وخيانتة له في المال الذي سلمه إليه ، وتقاعد عشيرته عنه لما أرادهم في ساعة العسرة ، وتبرمه بالعسكر العراقي الذين جاوروه لما لقيه منهم من سوء العشرة ، دعتة هذه

(١) في د : تحشم . — (ب) في ك : قومي . — (ج) في د : كنى .

(١) قرية بين حلب وبالس ذكرها أبو عبد الله محمد بن نصر في شعره :

ألا كم ترامت بالس بمسافر وكم حافر أدميت يا دير حافر

الدواعي كلها إلى أن يورث سلطانه خلد الله ملكه أرضه ودياره ، ويتفياً ظلاله ويسكن جواره ، فكاتبه يستدعى شحنة يشحن بها قطر حلب ، ويقضى بها من تسليمها وتسليم قلعتها كل أرب ، ثم أنه لم يتشكل له كيف يبنى الأمر في تسليمها (أ) وفي نفس المدينة قوم يسمون (الأحداث) هم لها أملاك من ممالكها وأكثر استيلاء عليها من واليها ، وبينهم وبين المغاربة من قديم الوقت إحن وطوائل لا تنام عينها ، ولا ينقضى دينها ، فجعل موضوع الأمر في التسليم أن يعبر العسكر الوارد باسم التجدة للعسكر العراقي لئلا يظن أن له عقلة بحلب ، ثم أنهم إذا قربوا نهض إليهم بحجة الاشتغال على خلعة السلطان — خلد الله ملكه — المحمولة في صحبتهم وأن يؤذن الأحداث بشد أسلحتهم عليهم والنفوذ في خدمته إلى ظاهر البلد ، فإذا هم فعلوا ذلك جعل (ب) مرتباً على الأبواب من يغلقها في وجوههم ، ويحول بينهم وبين الدخول إليها ، ولم يلبث إلا قليلاً حتى بطل هذا الوصول ، وانخرق ستره وانكشف سره ، وصارت العامة أعرف بما يراد فعله من الخاصة ، وكلما أراد القوم الواردون تقريباً زادت الفتنة تلهباً ، فحين رأى الأمير الذي هو ابن صالح أن الماء طغى اعتصم بقلعته ، وتمنع بمنعته ، وتركى وحيداً لا ملتفت (ج) لوجهي إلى وزير آوى إلى حصنه ، ولا يمسكني إلا من يمسك (د) السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه ، ودمى طافح في الدماء ما يحجز عنه إلا ما يحجز عن قطرة ماء والقوم يوعدونني بسفكه صباحاً ومساءً ، وكل من الأمير وغيره يشير على بالهرب والنجاة من شرك العطب ، وأنا راسخ كالصخر ، متمسك بالصبر ، مكفل نفسي من هو بحياتها وموتها كفيل ، قائل إذا اشتد الخوف حسبنا الله ونعم الوكيل ، وانتهى الحال إلى أن بثت فيهم رسلي يميناً وشمالاً حتى أحضرتهم عندي ، وقلت : يا قوم إن كنتم تعرفونني فقد عرفتموني ، وإلا فاسألوا عني ، إنني رجل منقطع العلائق من الدنيا وأحوالها إلا ما لا بد منه فيما يمسك الأجسام كما قال الله تعالى : «وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام» (١) . وما انتدبت في هذه الوجهة التي كنت متوليها إلا سعياً فيما ينفع المسلمين ويشد الاسلام ، وانني محقوق بشكركم خاصة ، وشكر المسلمين عامة ، ضد ما أنتم تفيضون فيه ، وتتهارجون وتمارجون من أجله ، فان كنتم خائفين من بادرة يدرت فاني أقول عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، وهذا أمان الله وأمان رسوله صلى الله عليه وسلم وأمان الدولة العلوية مبذول لكم على أنفسكم (هـ) وأموالكم وشعوركم وأبشاركم ونساءكم

(أ) في د : سليمها . — (ب) سقطت في د . — (ج) في ك : ملتفت . — (د) في ك : امسك .
(هـ) في د : نفوسكم .

(١) سورة الأنبياء آية ٨ .

وولدانكم ، وإن كان بدوى وطأ لكم كنفاً من عدله وإحسانه ، فإن الدولة العلوية أولى بهما وهى ولية العدل والاحسان ، والفضل والامتنان ، فتدبروا أسوركم واعقلوا (١) لنفوسكم ، واسلكوا مرشداً قصدكم .

وجرى فى هذا الباب ما طالت نوبته وكثرت شعبه وفروعه وانشتت عن طمأنينة القلوب أرضه ، وهطلت بسكون سماؤه ، ودخل العسكر (١) المنصور والأبواب لهم مفتحة ، والصدور منهم منشرحة ، ووجوه البشر والبر لهم ملاقية ، وألسن التحية والسلام لها مناجية ؛ ولما كان ليلة دخولهم المدينة ، واختلاط الفريقين بعضهما (ب) ببعض ، والنفوس بفرع أحدهما من الآخر موقى ، وهم كما قال الله فى محكم كتابه «تخسبهم جميعاً وقلوبهم شتى» (٢) اتفق من الاتفاق وقوع نار فى المرقد الذى كان ابن صالح فيه ، فما تنبه الناس إلا وقد غلب سلطانها وعلا لسانها ، وسطع فى عنان السماء دخانها ، فلم تبق له ذخراً من قديم الوقت وحديثه مذخوراً إلا وأنت عليه ، فجعلته هباء منثوراً ، فما عهد من نزع من ملكه ومملكه فى ليلة واحدة غيره ، وخفيت على الناس الذين غصت (ج) بهم المدينة القصة ووقعت فيهم الصيحة ، فكاد يقع السيف بالفتنة الصماء فى خلال تلك الليلة الليلية ، فيكون كما قيل :

الليل داج والكباش تنتطح فمن نجا برأسه فقد ربح

فكان من لطف الله تعالى أن عقل أرجل الأحداث الحلبية بعقل العقل ، وشكل بشكلهم عن موارد الجهل ، وانثالوا على فى نصف الليل يسألون (د) عما يفعلون ، ليضوا حيث يؤسرون ، فجزيتهم خيراً ، وأوصيتهم بضبط البلد وحفظ العسكرية ، فأووههم إلى نفوسهم وسكنوا روعة قلوبهم ، وقالوا نحن نقيكم بأموالنا وحرماننا ، وأصبح الصبح عن جناب الأمن مشمول ، وبالحير مأهول (هـ) ورعية مطمئنة قلوبهم مستقرة على مضاجع الهدوء والدعة جنوبهم .

(١) فى د : واعلقوا . — (ب) فى د : بعضها . — (ج) فى ك : عقت .

(د) فى ك : يسألون . — (هـ) فى د : مأمول .

(١) فى مرآة الزمان مجلد ٩٦ ص ٤٤ أن الجيوش المصرية بقيادة أبى علم بن ملهم الخويلدى دخلت حلب واستولت عليها من شمال بن صالح سنة ٤٤٩ هـ .
(٢) سورة الحشر آية ١٤ .

هذا أدام الله لى المسرة بطول بقائك وحراسة حوبائك [مشروح حالى لك] (١) إلى هذا اليوم ملقم لأشداق العضلات ، مشكل بشكل المشكلات ، مسخر بسخور منى إن أصبت لم أشكر وإن أخطأت لم أعذر ، وإن بلغت غرضاً لم أستفد من أجره جوهراً ولا عرضاً ، وإن نشبت بى فى أثناء هذه الهزاهز أنياب المنية ، كان فيه للعاريات الكسيات بلوغ الأمنية ، لاجحة لها فى ذلك إلا حسد الجهل للعلم والنقص للفضل ، وكل أمرى لما قدمه من خير أو شر يلقى ، ولا رغبة إلا فيما عند الله خير وأبقى ، والسلام والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وعلى آله وعترته الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل .
دعاء عن النبي صلى الله عليه وآله علمه أمير المؤمنين عليه السلام وهو :
«يا عماد من لا عماد له ، ويا سند من لا سند له ، ويا حرز من لا حرز له ، ويا ذخ من لا ذخ له ، ويا غياث من لا غياث له» (١).

عصيان ابراهيم بن بنال على أفع طفر بك :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مخرج العجائب فى مضمار الأقدار ، ومظهر مختلفات الأحوال من بين اختلاف الليل والنهار ، وجاعلها (ب) عبرة لأولى الأبصار ، وصلى الله على نبيه المصطفى المختار محمد المبعوث (ج) بالأعذار والانداز ، وعلى وصيه على الكرار ، قسيم الجنة والنار وعلى الأئمة من ذريته الأبرار الأطهار .

[أما بعد] فقد كنت علقت نبذاً من مجارى حالى ، منذ حططت بالباب الطاهر رحالى ، وإلى أن قفلت إلى ناحية العراق ، لمساطعة الشياطين التركمانية الفساق ، وسقت جملاً مما قاسيت من مصاعب تلك الأمور وأوعارها ، وتوليته من حارها وقارها ، وما جرى فى ضمها من المكاتبات والمشافهات ، والخاشنات والملاطفات ، حتى أتاح الله النصر على الظالمين ، وشفى صدور قوم مؤمنين ، فأنى بعد تمام سنة فما فوقها بالرحبة ، رجعت إلى حلب فوقعت فى خطة ، كادت النفس فيها تتلف ، وأننى ما زلت أتضرب فى

(١) فى د : مشروح لى حاله . - (ب) فى د : جاعلها . - (ج) فى د : المنعوت .

(١) ورد هذا الدعاء فى النسختين ، وأخشى أن يكون النسخ أضافوه هنا لأننا لا نجد فى كتب المؤيد التى بين أيدينا شيئاً من هذه الأدعية فى فصول كتبه ، كما أننا نجد على هامش مخطوطات البهرة أمثال هذه الأدعية مما يدل على أنها ليست فى متون الكتب بل من عمل النساخ .

مداواة دائها ، وملاقة النائرة بجيلة اطفائها ، حتى سهل الله تعالى من ذلك عسيراً ، وكفى خطباً عظيماً ، وأننى ملكت حلب مشفوعاً بامتلاك قلوب أهلها وانتظامهم فى سلك الولاء السليم من غش النفوس وغلها ، وفتحت أبواب حلب لابن ملهم رحمه الله وعسكره حتى دخلوها بالسلام آمنين ، وحصل الرجل على ذروة القلعة مالمالك فى المالكين ، وكان ثمال بن صالح - رحمه الله - يومئذ ساكن القلعة شاداً لرحاله للنزول والتوجه إلى الباب الطاهر ، فلما كان بعد قطعة من الليل قيل إنه كان بين يديه شمعة فاشتعلت فى قطن منزوع عن بعض الرجال ، فانتشرت النار واشتعلت وقويت وأحاطت بالرحال المشدودة المحزومة فأكلتها كلها ، ولم يبق عليها للاطفاء سبيلاً ، فجعلت تأكل ما حولها نحو ثلاثة أيام بلياليها ، حتى استوعبت رحالات ابن صالح كلها وكانت سلامته بنفسه الغنيمة الكبرى ، فنزل عن القلعة فقيراً بعد أن كان يملك ملكاً كبيراً بكثرة ماله وحسن حاله ، وسار عن حلب .

ولما كان بعد مسيره بمدة أرسل ابراهيم بن ينال التركمانى وهو أخو طغرل بك لأبيه رسولا من الموصل إلى مستقر أبى الحارث البساسيرى وقريش بن بدران - رحمهما الله - وهما يومئذ فى موضع يسمى بالس - على مرحلتين من حلب - يمدل لهما الجميل عن أخيه وعنه ، ويرغبهما فى الدخول فى الطاعة ليوليهما الولاية الجلييلة ، ويحسن إليهما الاحسان الكثير ، فكان هذا ظاهر رسالته ، وباطنها أن يخاطباني على التوثق له بأن أسوق إليه ما يلتمسه من الحضرة النبوية من الأموال الجزيلة والخلع والألقاب والألوية حتى يبطش بطغرل بك البطش الشديد الذى يهد قوته ويطفئ نائرتة ، فتصير جميع ممالكه فى قبضته وحوزته ويكون هو ملكها ، وعلى أن تكون الخطبة لنا بالخلافة والامامة مقدمة على خطبته .

✓ فلما جاء هذا الرسول إلى مستقر البساسيرى وقريش بن بدران وقص عليهما (١) القصة ظاهراً وباطناً ، سيراه إلى مستقرى بحلب لأبرم فى بابه ما يجب إبرامه ، فدخل إلى بى المتصوفة مشدود الرحل على عادتهم ، وهو رجل على طبع العامة ، فى كلامه خساسة وعامية كثيرة ، وسلم على تسليمه الأكفاء ، وكان وقت الظهر ، وقال مالى نشطة للخطاب معك إلا بعد أن أجدد الطهارة وأقضى الصلاة المفروضة فقلت : ذلك خير وأبرك . ثم انه بلغ جميع رسالته وأفرغ ما فى كنانته ، فوجد منى حسن بشر وتلطف وتقبل ، ودخلت معه فى

أسلوب الصوفية وأخرجت إليه من كلام المحققين منهم فصولاً فرح بها وطابت نفسه ، ثم عاقدته عن الحضرة الطاهرة بالاجابة إلى سؤاله في معنى المال والخلع والألقاب ، وأعطيته صفقتي بذلك ففرح بنجاح سعيه ، وكثر إلفه بي وسكونه إليّ ، ولما همّ بالرجوع بعد مقامه عندى يويمات عرضت عليه نفقة غير زرية (١) فأبى قبولها ، وكمل ذلك فعل بالبساسيرى وقريش عند رجوعه إليهما ، وصدر عنهما إلى مستقر ابراهيم صاحبه وهو بالموصل ، وكان هذا الحديث بذر الزرع ، نسوق ذكره عند انتهائنا إليه باذن الله تعالى .

المؤيد في طريقه الى مصر :

ثم أننى أقمت بحلب ما امتد لى شوط المقام وذلك لأننى كلما هممت بالمسير هم البساسيرى بأن يتبعنى بحشوده من العسكر البغدادى ، فقلت كيف أسوق هذا الشر كله إلى الباب الطاهر ، وأسوق حمل أثقالهم واحتمل سوء أخلاقهم وأفعالهم ، فجعلت أرابطهم وأقف سداً فى وجوههم ، حتى أتى الخبر بانفصال ابراهيم بن ينال عن الموصل ، وتركه بها شردمة قليلة من الغز يحفظونها فانتهزت الفرصة وقلت للبساسيرى : قد آن لك أن ترجع إلى الرحبة وتتدبرها ، وتستعين على وقتك بارتفاعها ، ونحن بعد ذلك نسوق إليك كل سنة مالا كثيراً يكون إضافة إلى ما تستجلبه (ب) إلى الرحبة فتتسع (ج) يدك ولا تتناقص حالك ، وأنت يا قريش فقد حان لك أن ترجع إلى بلدك الموصل فانه كلحم على وضم ، والشردمة التى بها فلا قبل لهم بالشبات فى وجهك ، لاسيما إذا شد منك البساسيرى . فلم أزل أروضهما بهذا الكلام حتى أفلعا وتوجها ، وتيسر لى أيضاً السبيل إلى العود نحو الباب الطاهر ، فسرت وسار معى رجل محتشم من الأتراك رسولا عن البساسيرى ، فلما حصلنا (د) بصور وجدنا كتيبة من الأتراك البغداديين سبقونا إليها مقاطعين للبساسيرى ومصممين على قصد مصر فى عدة تشتمل على مائة وثلاثين غلاماً (١) فرأيت من رأى أن أدخل كل مدخل فى ردهم إلى حلب ليرتبطوا هناك ولا يصيروا كلا على الحضرة ، فلم أزل أداريهم وأتلف لهم حتى رددتهم . وسرت من صور ، فلما حصلت فى موضع يسمى البواكير

(١) فى د : زرية . - (ب) فى د : تخلى . - (ج) فى د : فتشفع . - (د) فى د : حصنا .

(١) ولكن الذى فى مرآة الزمان ج ١٦ ص ٥٤ أن المؤيد قابلهم فى دمشق وأظن أن المؤيد أصدق فى روايته عن نفسه .

لقيني صاحب الترتيب هناك (١) بسجل عليه ثلاثة ختوم ، فلما ناولنيه قبلته ووضعتة على عيني ونزلت عن دابتي لأستقر في الأرض وأتأمل مضمونه تأملاً شافياً ، إذ كانت الختوم الكثيرة أرعبتني ، وصورت في نفسي (ب) أن في مضمون السجل سرّاً غامضاً ، فلما فضضت الختوم وجدته يشتمل على ذكر عزل البابلي وتولية ابن المغربي (ج) ^(١) والتأكييد على في النكوص على عقبى إلى حلب ، فملكني التحير والدهش من هذا الأمر ووجدت الرجوع إلى حلب متنعاً

(١) في د : بعكا . - (ب) في د : سقطت .

(ج) في نسخة د و ك : ابن المعري والتصحيح عن كتب التاريخ .

(١) هو أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي ولي الوزارة بعد اليازوري سنة ٤٥٠ هـ وصرف عنها في ربيع الأول وقرر مكانه أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين المغربي (ابن ميسر ص ١٠ - ابن منجب ص ٤٦) .

وبنو المغربي أصلهم من البصرة وصاروا إلى بغداد وكان أبو الحسين علي بن محمد تخلف على ديوان المغرب ببغداد فنسب به إلى المغرب وولد ابنه الحسين بن علي ببغداد وتقلد أعمالاً كثيرة وسار إلى الشام وهناك لقي الأخشيد ، ولما تم أمر مصر للأخشيد أرسل إلى بغداد يستدعي أبا الحسن علي بن الحسين المغربي فوفد ومن يليه علي مصر ثم خرج وأهله منها إلى حلب حيث خدموا سيف الدولة وسعد الدولة الحمدانيين ، ثم بدا له ما جعله يترك حلب إلى الرقة ، ثم كاتب العزيز بالله الفاطمي يستأذنه المسير إلى مصر فأذن له فقدم في جمادى الأولى سنة ٣٨١ هـ ومات بمصر ، ولما ولي الحاكم بأمر الله اصطفي أبا القاسم حسين بن علي المغربي وجعله من جلسائه ولكن ابن المغربي خشي على نفسه نزوات الحاكم ففر إلى الشام وألب العرب على الحاكم ولكن تديره فشل فاضطر إلى الهروب إلى بغداد وهناك اتهم بافساد الدولة العباسية فسار إلى الموصل فخشي منه وزيرها فأخرجه إلى ديار بكر فأقام عند أميرها أبي نصر أحمد بن مروان الكردي ووزر له ثم عاد إلى بغداد وتقلد الوزارة بها سنة ٤١٥ هـ فأقام شهوراً يغري رجال الدولة بعضهم ببعض فأدى ذلك إلى خروجه إلى الموصل فديار بكر ثم كوتب بالعودة إلى بغداد فوصل إليها ولكنه سم في الطريق سنة ٤١٨ هـ وكان بمصر من بني المغربي أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين المغربي وكان الحاكم قتل جده محمداً وأباه علي بن الحسين فلما نشأ أبو جعفر سار إلى العراق وخدم هناك ثم عاد إلى مصر واصطنعه الوزير اليازوري فولاه ديوان الجيش وكانت أم المستنصر تعني به فلما مات اليازوري وولي أبو الفرج البابلي قبض عليه في جملة أصحاب اليازوري واعتقله وتقررت له الوزارة وهو في الاعتقال في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة ٤٥٠ هـ ولقب بالوزير الأجل الكامل الأوحده صفي أمير المؤمنين وخاصته فأقام سنتين وشهوراً في الوزارة وصرف في تسع شهر رمضان سنة ٤٥٢ هـ وكان الوزراء إذا صرفوا لم يتصرفوا فاقترح أبو الفرج ابن المغربي لما صرف أن يتولى بعض الدواوين فولى ديوان الانشاء وتوفي سنة ٤٧٨ هـ .

(راجع خطط المقرئ ج ٣ ص ٢٥٥ وما بعدها) .

ولعل السبب الذي من أجله رفض ابن المغربي مؤازرة البساسيري هو أنه كان يريد الانتقام لأبيه وجده من الفاطميين ويريد الانتقام من البساسيري لأن ابن المغربي كان هرب منه إلى مصر .

جملة واحدة ، والوفادة على الباب بعد تحريمها خطة شديدة ، ورجحت بين الأمرين فرأيت أن الاتمام خير من الرجوع ، وأن الذي اقتضى إنشاء ذلك السجل هو تلفيق من بعض المفسدين ، أو ظن ظان أننى إذا دخلت تعرضت بوزارة أو زاحمت أحداً فى رتبته ، واستخرت الله تعالى وتوجهت على صوبى ، فلتقنى بسجل مثله بثلاثة ختوم فى المعنى الأول ، وصرت على صوبى حتى انتهيت إلى الفرقان فاقينى ثلاثة من النجابين بسجل فى المعنى بعينه ، فقلت : يا سبحان الله بم يستحق من هدف لسيوف التركانية وسهامها نفسه ، وأقام بازائهم سنة جرداء يعاين فيها كل ساعة حتفه ، حتى نصره الله النصر العزيز ، وفتح على يده الفتح المبين ثم من بعد رجوعه عبر بحلب فملكها تملكى ، وبلغ من تسخير أهلها مبلغى ، أن يكون جزاءه المنع عن العود إلى باب ولى نعمته ولكنه لا حيلة فى المقادير .

ولما كان الأمر على هذا فى تسلسل السكتب والرسل فى معنى الرجوع على أدراجى (أ) [رأيت أن أنكب] (ب) فنكبت عن الطريق الجادة إلى البرية والمجاهل ، فما شعروا بى حتى أطلعت رأسى بالجيب (١) على باب القاهرة ، فدخلتها دخول المهزوم لا الهازم ، والمكسور لا الكسر ، والمغلوب لا الغالب ؛ ولقيت ما كنت آمله من التقديم والاعلاء والرفع إلى [مناط الجوزاء] (ج) عكساً وضداً (د) والله المستعان .

دخول البساسيرى بمراد :

ثم أن قریشاً لما أيقن أن ابراهيم بن ينال نزع (هـ) عن الموصل (٢) ، وترك بها شزيمة قليلة

(١) فى د : دار أخى . — (ب) سقطت فى د . — (ج) فى د : منار الحوز . — (د) فى د : صدا .
(هـ) فى د : لا نزاع .

(١) الجب الذى قرب القاهرة هو جب عميره وكان يبرز إليه الحاج والعساكر (معجم البلدان ج ٧ ص ٤٦ ، طبعة القاهرة) .

(٢) جاء فى ابن الأثير : فى هذه السنة (أى سنة ٤٥٤ هـ) فارق ابراهيم ينال الموصل نحو بلاد الجبل فنسب السلطان طغرل بك رحيله إلى العصيان ، فأرسل إليه رسولا يستدعيه وصحبته الفرجية التى خلعها عليه الخليفة ، وكتب الخليفة إليه أيضاً كتاباً فى المعنى ، فرجع ابراهيم إلى السلطان وهو ببغداد ، فخرج الوزير الكندرى لاستقباله وأرسل الخليفة إليه الخلع ، ولما فارق ابراهيم الموصل قصدوا البساسيرى وقریش بن بدران وحاصرها فملكها البلد ليومه ؛ وبقيت القلعة وبها الخازن واردم وجماعة من العسكر ، فحاصرها أربعة أشهر حتى أكل من فيها دوابهم ، فخطب ابن موسك صاحب =

من أصحابه بحصن في البلد ، حركته النحيظة للرجوع إلى بلده وسأل البساسيري صلة جناحه والشد منه بعسكره العراقي ، فأجابه إلى ذلك وسار معه إلى الموصل واستولى عليها ، وأحاط بالقوم المتحصنين بحصنها ، فقتل فريقاً ومن^(١) على فريق باطلاقهم ، وكان في جملتهم رجل من مقدم الغز وكبرائهم اسمه تارختكين^(١) فهم البساسيري بضرب رقبتة وسأل الرجل أن يهود عليه بروحه حتى يستنقذ عيال البساسيري الذين كان الغز سبوهم من بغداد وقت دخولهم إليها وبذل له سوى (١) ذلك مالا جزيلا فأبى ذلك وقال : أما مالك فلا حاجة بي إليه وأما عيالي فاني أحسب أن دارهم ارتدمت عليهم فهلكوا ، وكان الصواب لو فعل لأن هذا الرجل كان سبب هلاك البساسيري لما هلك ، وبلغ كتاب عمره أجله ، غير أن أولاده أخذتهم (ب) الحنة على السبايا من إخوانهم فحالوا بينه وبين القتل .

ولما تمهد أمر قريش بالموصل رجع البساسيري إلى مركزه بالرحبة وأقام بها ، والتركني الذي هو طغرل بك مقيم ببغداد وفي صدره الغيظ والحزازات باستئصال شأفة عسكره بسنجر وما تعقبه من أخذ الموصل ما تغلى مراحله ، ولا تهدأ يلابله ، وقد نفذت كتبه إلى خراسان وبلاد الترك يستنفر الناس خفافاً وثقالاً ، حتى حشد من الحشود الجم الغفير والعدد الكثير وألقى بين عينيه عزمه ، وجعل قصده الشام ، ومصر همه ، عالماً بأن تلك الجموع التي اجتمعت على قمعه ودفعه بعيد أن تجتمع ، وأن البساسيري طار جهده فوقع ، ونهد بحشوده وجنوده إلى الموصل نهود من ليس في طريقه شوك يشوكه ولا شيء يشفق منه ويخافه ، ولقد كان الأمر على ما قدره في نفسه ، وقرر في فكره فان قريشاً أجفل منه هزيماً ، والبساسيري كان يشد على خيل الهزيمة وقطع البرية متوجهاً إلى دمشق ، فعند ذلك أخرجت الأرض أثقالها وكشف القناع عما كان استقر بيني وبين ابراهيم بن ينال كما أتاني رسوله الصوفي وأنا بحلب ، فلم يشعر طغرل بك بشيء حتى ضرب ابراهيم بن ينال على خزائنه وأمواله فحازها كلها ، وأخذ بها صوب الجبال

(١) سقطت في د . - (ب) في د : أخذ بهم .

= اربل قريشاً حتى آمنهم ، فخرجوا فهدم البساسيري القلعة وعفا أثرها ، وكان السلطان قد فرق عسكره في النوروز ، وبقي جريدة في ألفى فارس حين بلغه الخبر ، فسار إلى الموصل ، فلم يجد بها أحداً وكان قريش والبساسيري قد فارقاها ، فسار السلطان إلى نصيبين ليتبع آثارهم ويخرجهم من البلاد ففارقه أخوه ابراهيم ينال وسار نحو همذان فوصلها في السادس والعشرين من رمضان سنة خمسين ، وكان قد قيل ان المصريين كاتبوه والبساسيري قد استماله وأطعمه في السلطنة والبلاد ، فلما عاد إلى همذان سار السلطان في أثره .

(١) في ابن الأثير ج ٩ ص ٤٤٧ يسمى نهارتسين الطغرائي .

فاختبط طغرلبك وعسكره فتفرقوا [أيدي سبا] (١) وهام طغرلبك على وجهه مقتنياً لأثره حتى غاب حسه (ب) ولم يدر أى طريق سلك ، وفى أى واد هلك ، فلما رأى البساسيري أن الله سبحانه قد قطع به الأسباب ، وفل منه الأنبياء ، علم أن بغداد فريسة لمن طلب ، وقبضة لمن رغب ، فزحف إليها بالرايات المستنصرية ، وصادف منها أرضاً تعج إلى الله تعالى من ظلم التركمانية ، وقلوباً ملئت غيظاً من العباسي وابن المسلمة الذي كان سبب استدعائهم وتسلبهم على حرم الناس وأموالهم ودمائهم ، فكان قدوم البساسيري عليهم كنزول الرحمة من سمائمهم ، فشددوا حيازيمهم معه لاقامة الدعوة المستنصرية على المنابر ، وقصد دار العباسي برقبته ونقله عن عزة المجالس إلى ذل المحابس ، فأما ابن المسلمة لعنه الله الذي كان سبب هلاك المسلمين فقد جعل بعد صب العذاب الأليم عليه في جلد بقرة وركب على جنبه قرنان وصلب على صار طويل وصلب إلى جانبه ابن مأمون الذي كان رسوله إلى التركمانى (١) واشتعلت نار

(١) في ك : بين يدي ب . - (ب) في د : جثته .

(١) في ابن الأثير حوادث سنة ٤٥٤ : لما عاد ابراهيم ينال إلى همدان سار طغرلبك خلفه ، ورد وزيره الكندري وزوجته إلى بغداد وكان سيره من نصيبين في منتصف شهر رمضان ، ووصل إلى همدان وتحصن بالبلد ، وقاتل أهلها بين يديه ، وسار من كان ببغداد من الأتراك إلى السلطان بهمدان ، وسار عميد الملك الكندري إلى ديبس بن مزيد فاحترمه وعظمه ثم سار من عنده إلى هزازسب ، وأرسل الخليفة إلى نور الدولة ديبس يأمره بالوصول إلى بغداد فورد إليها في مائة فارس ، وقوى الأرجاف بوصول البساسيري فلما تحقق الخليفة وصوله إلى هيت أمر الناس بالعبور من الجانب الغربي إلى الجانب الشرقي فأرسل ديبس إلى الخليفة وإلى رئيس الرؤساء يقول : «الرأى عندي خروجكما من البلد معي ، فأننى أجمع أنا وهزازسب فانه بواسط على دفع عدوك» فأجيب ابن مزيد بأن يقيم حتى يقع الفسكر في ذلك ، فقال : العرب لا تطيعني على المقام وأنا أتقدم إلى ديبالى فاذا انحدرتم سرت في خدمتكم . وسار وأقام بديالى ينتظرهما ، فلم ير لذلك أثراً فسار إلى بلاده .

ثم أن البساسيري وصل إلى بغداد يوم الأحد ثامن ذى القعدة ومعه أربعائة غلام على غاية الضر والفقر وكان معه أبو الحسن بن عبد الرحيم الوزير ، فنزل البساسيري بمشركة الروايا ، ونزل قریش بن بدران وهو في مائتي فارس عند مشركة باب البصرة ، وركب عميد العراق ومعه العسكر والعوام وأقاموا بازاء عسكر البساسيري ، وعادوا . وخطب البساسيري بجامع المنصور للمستنصر بالله العلوى صاحب مصر وأمر فأذن بحجى على خير العمل ، وعقد الجسر ، وعبر عسكره إلى الزاهر وخيموا فيه ، وخطب في الجمعة من وصوله بجامع الرصافة للمصري ، وجرى بين الطائفتين حروب في أثناء الأسبوع ، وكان عميد العراق يشير على رئيس الرؤساء بالتوقف عن المناجزة ، ويرى المجازة ومطاوله الأيام انتظاراً لما يكون من السلطان ، وبسبب ميل العامة إلى البساسيري أما الشيعة فللمذهب وأما السنة فلما فعل بهم الأتراك ، وكان رئيس الرؤساء لقله معرفته بالحرب ولما عنده من البساسيري يرى المبادرة إلى الحرب ، فاتفق أن في بعض الأيام حضر القاضي الهمداني عند رئيس الرؤساء ، =

الذهب (١) والغارة في دار العباسي ، فلم يسلم له سبيل ولا لبد ، وسلم العباسي إلى أحد أمراء

(١) في د : الذهب والغارة .

= واستأذنه في الحرب وضمن له قتل البساسيري فأذن له ، فخرج ومعه الخدم والهاشميون والعجم والعوام إلى الحلبة وأبعدوا والبساسيري يستجرهم ، فلما أبعدوا حمل عليهم فعادوا منهزمين ، وقتل منهم جماعة ومات في الزهجة جماعة من الأعيان ، ونهب باب الأزج ، وكان رئيس الرؤساء واقفاً دون الباب ، فدخل الدار وهرب كل من في الحريم ، ورجع البساسيري إلى معسكره واستدعى الخليفة عميد العراق وامره بالقتال على سور الحريم فلم يرعهم إلا الزعقات ، وقد نهب الحريم وقد دخلوا بباب النوبى فركب الخليفة لابساً للسواد وعلى كتفه البردة ويده سيف وعلى رأسه اللواء وحوله زرة من العباسيين والخدم بالسيوف المسلولة ، فرأى النهب ، وقد وصل إلى باب الفردوس من داره فرجع إلى ورائه ومضى نحو عميد العراق فوجده قد استأمن إلى قريش وصعد المنطرة ، وصاح رئيس الرؤساء : يا علم الدين — يعنى قريشاً — أمير المؤمنين يستدنيك ، فدنا منه فقال له رئيس الرؤساء : قد أنالك الله منزلة لم ينلها أمثالك وأمير المؤمنين يستدنيك على نفسه وأهله وأصحابه بذمام الله تعالى وذمام رسوله صلى الله عليه وذمام العربية . فقال : قد أذم الله تعالى له . قال : ولى ولن معه . قال : نعم . وخلع قلنسوته فأعطاهما للخليفة وأعطى مخصرته رئيس الرؤساء ذماماً . فنزل إليه الخليفة ورئيس الرؤساء من الباب المقابل لباب الحلبة وصارا معه . فأرسل إليه البساسيري : أتخالف ما استقر بيننا ، وتنقض ما تعاهدنا عليه . فقال قريش : لا . وكنا قد تعاهدا على المشاركة في الذى يحصل لها وأن لا يستبد أحدهما دون الآخر بشئ . فاتفقا على أن يسلم قريش رئيس الرؤساء إلى البساسيري ، فلما رآه قال : مرحباً بمهلك الدول ومخرب البلاد . فقال : العفو عند المقدرة فقال البساسيري : فقد قدرت فما عفوت وأنت صاحب طيلسان وركبت الأفعال الشنيعة مع حرى وأطقالى ، فكيف أعفو أنا وأنا صاحب سيف . وأما الخليفة فانه حمله قريش راكباً إلى معسكره وعليه السواد والبردة ويده السيف وعلى رأسه اللواء وأنزله في خيمة ونهبت دار الخلافة وحرىمها أياماً ، وسلم قريش الخليفة إلى ابن عمه مهارش ابن الجبلى وهو رجل فيه دين وله مروءة ، فحمله في هودج ، وسار به إلى حديقة عانة فتركه بها وسار من كان مع الخليفة من خدمه وأصحابه إلى السلطان طغرل بك مستنفرين فلما وصل الخليفة إلى الأنبار شكوا البرد فأنفذ إلى مقدمها يطلب منه ما يلبسه فأرسل له جبة فيها قطن ولحافا ، وأما البساسيري فانه ركب يوم عيد النحر وعبر إلى المصلى بالجانب الشرقى وعلى رأسه الألوية المصرية فأحسن إلى الناس وأجرى الجرايات على المتفقهة ، ولم يتعصب لمذهب ، وأخرج محمود ابن الأخرم إلى الكوفة وسقى الفرات أميراً . وأما رئيس الرؤساء فأخرجه البساسيري آخر ذى الحجة من محبسه بالحريم مقيداً وعليه جبة صوف وطرطور من لبد أحمر وفي رقبته مخنقة جلود بغير وهو يقرأ : « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ... الآية » ، وبصق أهل السرخ في وجهه عند اجتيازه بهم لأنه كان يتعصب عليهم وشهر إلى حد النجمى وأعيد إلى معسكر البساسيري وقد نصبت له خشبة وأنزل عن الحمل وألبس جلد ثور وجعلت قرونيه على رأسه وجعل في فكيه كلابان من حديد وصلب فبقى يضطرب إلى آخر النهار ومات .

وانظر القصيدة الثامنة والثلاثين (في ديوان المؤيد داعي الدعاة) التى أشاد فيها المؤيد بذلك وتحدث فيها عن صلب ابن المسلمة رئيس الرؤساء .

البادية يسمى مهارش^(١) فأخذه إلى موضع يقال له الحديثة بقرب الرحبة ، وكان هذا من فعل البساسيري غيظاً وحنقاً على الحضرة ، كيف قطعت عنه مواد أموالها إذ عائدته (أ) جرت بذلك من الناظر (ب) في ذلك الزمان ، ولما زال ذلك الناظر وجاء آخر قطع (ج) المعائدة بكليتها ، فكاد البساسيري يتميز من الغيظ ، وجعل مكان ما يجب عليه من إخراج العباسي إلى الحضرة تسليمه إلى البدوي المقدم ذكره يستجر به المال ، واحتج بأنه لم يملك ناصية العباسي إلا بمساعدة قريش له ، وأنه لو كان الأمر بيدي لسقته إليكم وجهاً واحداً لكن شريكى الذى هو قريش سلمه (د) في يد بدوى وهو صاحبه فان وفيت له بالمراد أخذتم الرجل إليكم وإلا فما بقى لى عليكم حكم .

وأرسلوا في هذا المعنى رسلاً كثيرين ، منهم رسول البساسيري ومعه فيل أخذه من الغز ، ورسول قريش ورسول مهارش ورسول آخرين من وجوه بنى عقيل كلهم على كلمة سواء في الطاب والانتقام ، فأول ما فعل معهم أنه لم يضرب فى مثل هذه البشارة التى ما رأت عين الدنيا مثلها طبل ولا بوق ، ولا نقر فيها نقرة^(٢) حتى كاد الرسل يكفرون ويتزندقون ، وكمثل ذلك عقلاء الناس ، وكانوا يقولون إنه لو ملكت قرية من أدون القرى ، وأخذ متغلب من أدون المتغلبين لكان من حق ذلك أن ينقر فى الناقور ، فكيف تؤخذ بغداد والخليفة الذى هو السادس والعشرون من خلفاء بنى العباس الذين كانت لهم ملكة الشرق والغرب فلا ينقر نقرة فى طبل البشارة ، وجعلوا يكاتبون

(١) فى ك : عادته . — (ب) فى د : النظر . — (ج) فى د : وجاء آخر المادة .

(د) فى ك : سلم .

(١) هو الأمير محيى الدين أبو الحارث مهارش بن المجلى العقيلي صاحب الحديثة وعانة .
(٢) هكذا يقول المؤيد فى الدين ، ولكن الذى يفهم من كتب التاريخ أن مصر احتفلت بالاستيلاء على بغداد ، والخطبة على منابرها باسم المستنصر الفاطمي ، ويقال إن القينة نسب الطبالة غنت المستنصر بقولها :

يا بنى العباس صدوا ملك الأمر معبد
ملككم كان معارداً والعواري تسترد

فطرب المستنصر لذلك ، ووهبها أرضاً بمصر جائزة لانشادها هذا الشعر ، وتلك الأرض عرفت بأرض الطبالة [راجع النجوم ج ٥ ص ١٢ ، وخطط المقرئ ج ٢ ص ١٢٥ ، وتاريخ الاسلام للذهبي] فإذا صح ما رواه المؤرخون عن هذه المغنية ، فترجح أن مصر احتفلت بهذا الانتصار ، أما المؤيد فلعله أراد أن ابتهاج المصريين بهذا النصر لم يكن كما يجب أن يكون .

أصحابهم بذكره ، والاهوان بهم والاستصغار لأمرهم ، فكانوا يلتهبون بنار الغيظ كل التهاب
 لاسما البساسيري إذا اغتلظ لم يفكر لورمى نفسه من البحر في العباب . وأقام الرسل
 شهوراً عدة لا يقضى لهم حاجة ، ولا تنجح لهم طلبية ، ولا يشتري الخليفة العباسي من البدوى
 الذى كان عنده بفلسين فيكونوا متحكمين عليه بين أن ينزل في دار وفرش ممهدة ويجرون
 عليه جرية على قدر استحقاقه من التربة فتصفو الدنيا من الأضداد ويورث الله الأرض
 من اصطفاه من العباد أو يمنون عليه بالاطلاق ، ويردونه مكرماً إلى العراق ليكون صنيعه
 من صنائعهم وطليقا من طلقائهم ، ولما كانت الصورة هذه ولبت الرجل في الحبس سنة
 فما فوقها ويئس البدوى من خير ما عندنا ، تقرب به إلى طغربك فأطلقه من أسره وردّه
 إلى مقره ، والثالث علينا كل ما تعبنا فيه التياثا ، وكنا كما قال الله تعالى : «ولا تكونوا كالتي
 نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا» (١) فأما حال البساسيري فان الغز المسمى تاريختكنين المقدم
 ذكره لما رجع إلى صاحبه ووجده قد ظفر بابراهيم بن ينال عفى الله عنه الذى كان سبب
 خلاله (١) وزلزاله حقر في نفسه أمر البساسيري ، وذكر أنه لا رجال معه إلا قليل الذين
 لا يعبأ بهم ، وسأله في تجريد خمسة آلاف فارس من الغز معه في المقدمة ، وأن يسير
 طغربك في الساقة ليتسرعوا إليه ويخطفونه خطفاً ، فركضوا إلى بغداد ، ومدوا إلى ديار
 ابن مزيد فأصابوه هناك ، وانتشب القتال فيما بينهم ، واستمر القتل فيهم فأصيب البساسيري
 بسهم طائح ، فلاحق به من عرفه ، واجتهد أن يأخذه حيا ، ويحمله إلى طغربك فلم
 يستطع ذلك إذ كان السهم أصاب منه المقتل ، فحينئذ جز رأسه — رحمه الله — وحمله إلى
 بغداد (٢) . فهذه قصته فيما جرى عليه ولئن جرى ما جرى من فقدان بعد الوجدان

(١) في د : حاله .

(١) سورة النحل آية ٩٢ .

(٢) في ابن الأثير ج ٩ ص ٤٤٧ : انفذ السلطان طغربك بعد استقرار الخليفة في داره جيشاً عليهم
 خمارتكنين الطغرائي في ألفي فارس نحو الكوفة فأضاف إليهم سرايا بن منيع الخفاجي ، وكان قد قال
 للسلطان أرسل معي هذه العدة حتى أمضى إلى الكوفة وأمنع البساسيري من الاضداد إلى الشام ،
 وسار السلطان طغربك في أثرهم فلم يشعر ديبس بن مزيد والبساسيري إلا والسرية قد وصلت إليهم
 ثامن ذى الحجة من طريق الكوفة بعد أن نهبوا ، وأخذ نور الدولة ديبس رحله جميعه وأحدره إلى
 البطيحة ، وجعل أصحاب نور الدولة ديبس يرحلون بأهلهم فيتبعهم الأتراك ، فتقدم نور الدولة ليرد
 العرب إلى القتال فلم يرجعوا ، فمضى ، ووقف البساسيري في جماعته ، وهمل عليه الجيش ، فأسر من
 أصحابه أبو الفتح بن ورام ، وأسر منصور وبردان وهما بنو نور الدولة ديبس ، وضرب فرس =

وانقلاب الأعيان فقد ارتسخت بالدعوة المستنصرية بأرض العراقين فروق المنابر (أ) وبالنداء
بحي على خير العمل في ذروة المآذن والمناثر (ب) والله متم نوره ولو كره الكافرون ، ومنجز
وعده إذ يقول سبحانه : «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي
الصالحون» (١) إن شاء الله تعالى والسلام .
والحمد لله وصلواته على رسوله سيدنا (ج) ومولانا محمد وعلى آله أجمعين وتبارك وسلم .

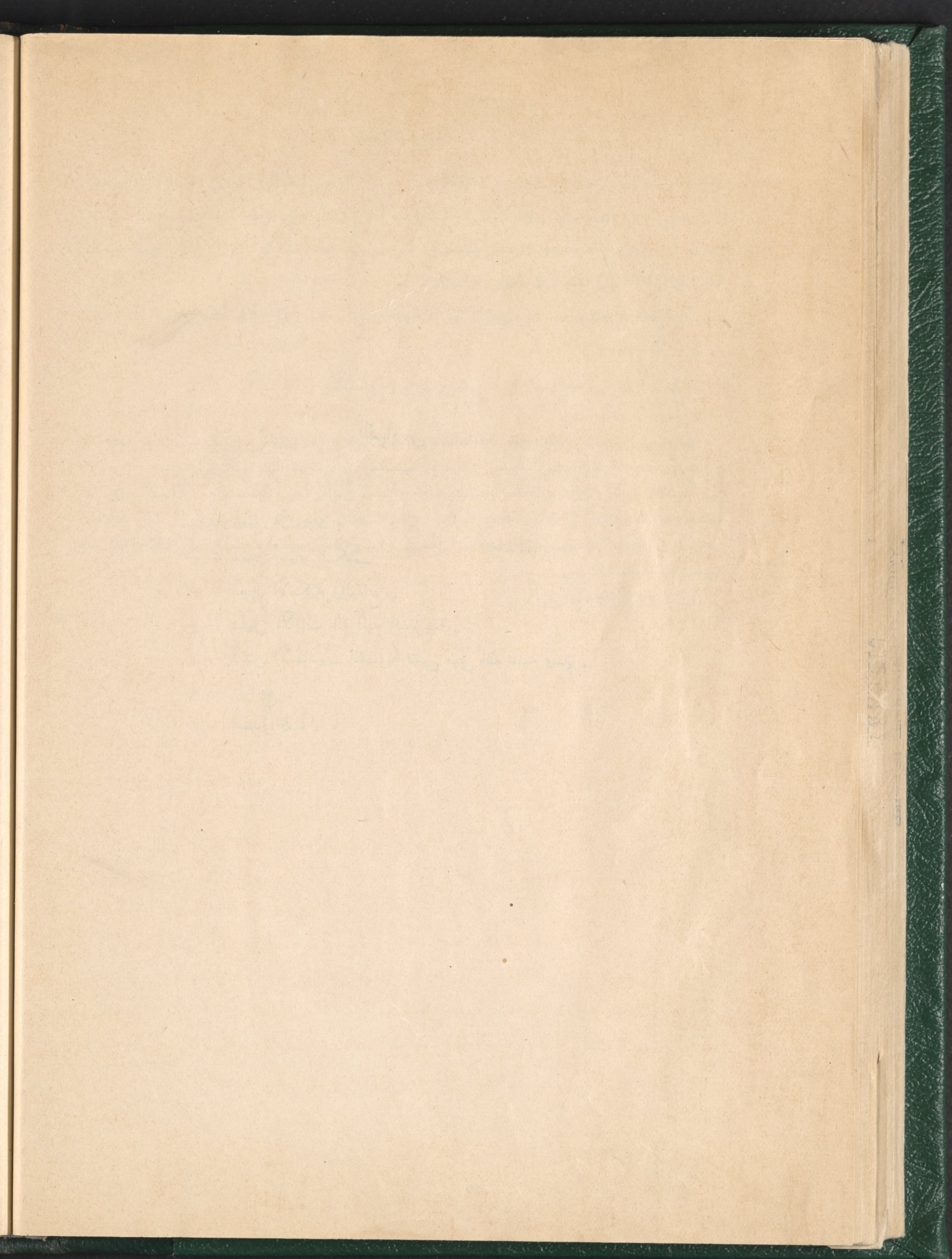
(١) في د : المناثر . - (ب) في د : المنابر . - (ج) سقطت في ك .

= البساسيري بنشابة ، وأراد قطع تحفاه لتسهيل عليه النجاة ، فلم ينقطع ، وسقط عن الفرس ووقع في
وجهه ضربة ودل عليه بعض الجرحى ، فأخذه كمشتكين دواتي عميد الملك الكندري وقتله وحمل رأسه
إلى السلطان ودخل الجند في الطعن فساقوه جميعه وأخذت أموال أهل بغداد وأموال البساسيري مع
نسائه وأولاده وهلك من الناس الخلق العظيم ، وأمر السلطان بحمل رأس البساسيري إلى دار الخلافة ،
فحمل إليها فوصل منتصف ذي الحجة سنة إحدى وخمسين فنظف وغسل وجعل على قناة وطيف به
وصلب قبالة باب النوبي .

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٥ .

الفهارس

- ١ - معجم الأعلام .
- ٢ - معجم أسماء الكتب .
- ٣ - معجم الأمكنة والبقاع .
- ٤ - دليل الآيات القرآنية الشريفة .
- ٥ - دليل الأحاديث المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم .
- ٦ - المراجع .
- ٧ - استدراكات .



معجم الأعلام

(١)

- آدم عليه السلام ٣٣ .
 ابراهيم بن محمد ٣٦ .
 ابراهيم بن ينال ١٦٥ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،
 ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٣ .
 ابن أبي سليكة ٣١ .
 ابن الأثير ٦ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٩ ،
 ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٨٦ ، ٩١ ، ٩٢ ،
 ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١٣١ ،
 ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ،
 ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٣ .
 ابن الاسكندر ٤٦ ، ٤٧ .
 ابن حمدان ، انظر : سيف الدولة الحمداني .
 ابن حيوس الشاعر ١٣١ .
 ابن خلدون ١١٧ .
 ابن خلكان ١٣ ، ١٥ ، ٨٦ ، ٩٥ ، ١٥٥ ،
 ١٦٠ .
 ابن زولاق ١٦٠ .
 ابن صالح ، انظر : ثمال بن صالح المرداسي .
 ابن عباس ١٨ ، ٢٤ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٣٨ .
 ابن عبدون ٨٢ .
 ابن عقيل ، انظر : أبو الحسن محمد بن
 عبد الله بن أبي عقيل .
- ابن عمر ٣١ ، ٣٢ .
 ابن فسانجس ١٣٦ .
 ابن قائد بن رحمة ١٣٦ .
 ابن قتيبة ١٦٠ .
 ابن ماجة ٣٤ .
 ابن مأمون ١٨٠ .
 ابن المذهب القاضي ١٦٦ .
 ابن مرشد ١٦٢ .
 ابن مروان ، انظر : أبو نصر أحمد بن مروان
 الكردي .
 ابن مزيد ، انظر : ديبس بن مزيد .
 ابن مسعود ٣٦ .
 ابن المسلمة ، انظر على بن الحسين بن أحمد .
 ابن المشتري ، انظر : أبو الحسن عبد الوهاب
 ابن منصور بن المشتري .
 ابن المغربي ، انظر : أبو القاسم حسين بن
 علي المغربي .
 ابن مكرم ٧٠ .
 ابن ملهم ، انظر : أبو علم بن ملهم الخويلدي .
 ابن منجب الصيرفي ٨٦ ، ٩١ ، ١٧٧ .
 ابن موسك صاحب إربل ١٧٨ .
 ابن ميسر ١٣ ، ١٧٧ .

- ابن النعمان ، انظر : أبو محمد القاسم بن عبد العزيز بن النعمان .
 ابن وثاب ، انظر : شبيب بن وثاب النخعي .
 ابن ورام ، انظر : أبو الفتح بن ورام .
 أبو أخفش الأحوص ٣٢ ، ٣٦ .
 أبو البركات ، انظر : الحسين بن محمد الجرجاني .
 أبو البركات بن البساسيري ١٣٤ .
 أبو بكر ٣١ ، ٣٨ ، ١١٥ .
 أبو بكر الشافعي ٣ .
 أبو بكر محمد بن غلينة ٣ .
 أبو بكر محمد بن أحمد بن علي ٣ .
 أبو البقاء ١٦٢ .
 أبو تمام نقيب العباسيين ١٦٦ .
 أبو جعفر العلوي ١٦ .
 أبو الحارث ارسلان البساسيري ٩٦ ، ٥٦ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ .
 أبو حامد بن أحمد بن أبي أحمد اليبودي ٣ .
 أبو الحسن بن بشر ٣٨ .
 أبو الحسن بن عبد الرحيم ١٣١ ، ١٨٠ .
 أبو الحسن عميد الوهاب بن منصور بن المشتري ٥٥ ، ٧٢ .
 أبو الحسن محمد بن عبد الله بن أبي عقيل ١٠٠ ، ١٠١ .
 أبو الحسن بن مزيد ١٢٤ .
 أبو الحسين علي بن محمد ١٧٧ .
 أبو حنيفة النعمان (الاسام) ١٨ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .
 أبو حنيفة النعمان بن أبي عبد الله (القاضي) ٢٥ .
 أبو داود ٣٤ .
 أبو الدرداء ٣٦ ، ٣٧ .
 أبو ذؤابة عطية بن صالح بن مرداس ١٥٣ .
 أبو السداد هبة الله بن جعفر ١٥٧ .
 أبو سعد التستري ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٢ ، ١١٧ .
 أبو سعد بن أبي كاليبجار ١١٧ .
 أبو سعيد المروزي ٣٢ .
 أبو سعيد منصور ١٠٨ .
 أبو شجاع فائق الرومي ١٦٧ .
 أبو صالح ٣١ .
 أبو طالب ١١٧ .
 أبو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام ٦٩ .
 أبو العالية ٣٢ .
 أبو العباس محمد بن الحسين بن جعفر بن جابر ٣٦ .
 أبو عبد الله محمد بن سلامه بن جعفر القضاعي ٨٦ ، ٩٥ ، ١٠٣ .
 أبو عبد الله محمد بن نصر ١٧١ .
 أبو علم بن ملهم الخويلدي ٩٥ ، ١٧٣ ، ١٧٥ .
 أبو علي بن أبي كاليبجار ١١٧ .

- أبو علي بن الملك أبي طاهر بن بويه ٨٧ ، ١١١ .
 أبو عمر ٣٢ .
 أبو غالب الواسطي الملقب بفخر الملك (الوزير) ١٥ .
 أبو الفتح بن ورام ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٨٣ ، ١٦٣ ، ١٤٦ .
 أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي ١٧٧ .
 أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن حسين المغربي ١٧٧ .
 أبو الفضل صاعد بن مسعود ٩١ .
 أبو الفوارس الحسن بن عبد الرحمن ١١٩ .
 أبو القاسم حسين بن علي المغربي ١٠٨ ، ١٧٧ .
 أبو القاسم علي بن أحمد الجرجاني ٨٦ .
 أبو كاليبجار ٣ ، ٤ ، ١٦ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ١١٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ .
 أبو محمد حاتم بن يعقوب ٣٦ .
 أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري ٨٦ .
 أبو محمد الحسين بن حسن الماسكي ١٠١ .
 أبو محمد القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن أبي حنيفة النعمان ٨٢ ، ٨٧ ، ٩١ ، ٩٣ .
 أبو منصور بهرام بن مافنة الملقب بالعاقل ٤٣ ، ٦ .
 أبو منصور بن جلال الدولة ١٠٩ .
 أبو نصر أحمد بن مروان الكردي ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١٣٧ ، ١٣٨ .
 ١٧٠ ، ١٧٧ .
- أبو نعيم الفضل بن دكين ٣٠ .
 أبو نعيم الفضل بن زكريا ٣١ .
 أبو هريرة ٣١ .
 أحمد بن الحسن ٩٦ .
 أحمد بن حنبل ١٦٦ ، ١٦٧ .
 أحمد الوفي بن عبد الله ٥٥ .
 الأخشيذ ١٦٧ ، ١٧٧ .
 الاسكندر ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٠ .
 اسماعيل بن أبي خالد ٣٦ .
 اسماعيل بن جعفر ٥٥ .
 الأعمش ٣٦ .
 أم المستنصر الفاطمي ٨١ ، ٨٤ ، ١٧٧ .
 الأمير المؤيد ١٠٢ .
 أنس بن مالك ٣١ .
 أنوشكين ١٠٠ .
- (ب)
- الباقر ٢٦ .
 بختنصر ٨٤ .
 بختيار ٧٠ .
 بدر بن علي الأسدي ١٣٥ .
 بدران بن ديبس ١٨٣ .
 بريل ٦ ، ٥٤ ، ٥٦ .
 البساسيري ، انظر : أبو الحارث أرسلان البساسيري .
 بهاء الدولة بن ديبس ١٣٤ ، ١٥٧ .
 سهرام بن بشكر سنان الديلمي ٧٨ .

(ت)

- تاج الأمراء ، انظر : شمال بن صالح .
تارختكين ١٧٩ ، ١٨٣ .
الترمذى ٣١ ، ٣٤ .

(ث)

- شمال بن صالح المرداس ١٠٠ ، ١٠١ ،
١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ،
١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ،
١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٥٣ ، ١٧٠ ، ١٧١ ،
١٧٢ ، ١٧٣ .
ثيودورا بنت كونستانتين الثانى ٩٥ .

(ج)

- جابر بن ناشب ١٣١ ، ١٦١ .
جاسوس الفلك (الشاعر) ٨٦ .
جالينوس ٥٢ .
جبرائيل ٦٠ .
الجرجرائى : انظر الحسين بن محمد الجرجرائى .
جعفر بن محمد الصادق ٢٤ ، ٤٢ ، ٥٥ .
جعفر بن منصور ٤٨ .
جلال الدولة بن بهاء الدولة ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ .
جندب ٣١ .
جوهر القائد ١٦٠ .

(ح)

- الحاكم بأمر الله ٥٦ ، ٧٤ ، ٨٦ ، ١٠٨ ،
١١٢ ، ١٧٧ .

- حبي بنت رجاء بن مالك ٣٦ .
الحسن ٢٦ ، ٣٧ ، ١١٨ .
الحسين (البصرى) ٣١ .
الحسن بن على ٥٥ ، ٥٨ .
الحسين ٢٦ ، ١١٨ .

- الحسين بن على ٥٥ ، ٥٨ ، ١٧٧ .
الحسين الزكى بن أحمد ٥٥ .
الحسين بن محمد الجرجرائى ٨١ ، ٨٦ ، ٩١ ،
١٠٣ .
حماد بن ديبس ١٨٣ .
حيدرة بن الأمير عضد الدولة ١٠١ .

(خ)

- الخازن واردم ١٧٨ .
الخراسانى ٣٠ .
نهارتكين الطغرائى ١٧٩ ، ١٨٣ .

(د)

- داعى الدعاة ٩٣ .
ديبس بن مزيد ٧٤ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ،
١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،
١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٥ ،
١٦٧ ، ١٨٠ ، ١٨٣ .
الذبرى ٨١ .

(ر)

- ربيعة الرأى التابعى ٣٦ .
ربيعة بن عثمان التميمى ٣٦ .

رجاء بن مالك ٣٦ .

رزين ٣١ .

رضى الدولة مقبل بن بدران ١٣٢ .

ركانة بن عبد يزيد المطلبي الصحابي ٣٤ .

(ز)

زعيم الدولة بركة بن المقلد ١٢٥ .

الزهيري ١٦٦ .

زوا بنت كونستانتين الثاني ٩٥ .

زين العابدين ٢٦ .

(س)

سرايا بن منيع الخفاجي ١٨٣ .

سعد الدولة الحمداني ١٧٧ .

سعيد ٣٦ .

سعيد بن حيدر ٣١ .

سليمان عليه السلام ١٢ .

سليمان بن أبي سليمان ٣٦ ، ٣٧ .

سهم الدولة أبو الفتح بن عمرو ١٣١ .

سيف الدولة الحمداني ٨٥ ، ١٧٧ .

(ش)

الشافعي ١٨ ، ٢٤ .

شبيب بن وثاب النخري ١٠٦ ، ١١٩ ،

١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٧٠ .

شرف الدولة مسلم بن قریش ١٥٣ .

شهاب الدولة (الأمير) ١٣٥ ، ١٦٤ ،

١٦٧ .

(ص)

صابر (وجيه الدولة) ٨٧ ، ٨٨ .

الصادق ٢٦ .

صالح بن مرداس ١٠٠ .

الصنهاجي ٥٦ .

(ط)

طغرليك السلجوقي ٦٤ ، ٨٦ ، ٩٤ ، ٩٥ ،

٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٥ ،

١١٧ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٥٥ ،

١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ،

١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٣ .

طلحة ١٦٠ .

(ظ)

الظاهر لاعزاز دين الله ٨١ ، ١١٢ .

ظهير الدين أبو القاسم ٧٠ .

(ع)

عباس ٥١ .

العباس بن عبد المطلب ١٥٤ .

عبد الصمد ١٦٦ .

عبد الله الرضى بن محمد بن اسماعيل ٥٥ .

عبد الله بن عباس ٣٢ .

عبد الله بن موسى ١٦ .

عبد الواحد بن أحمد بن أبي القاسم ٣٦ .

عبيد الله المهدي ٥٥ ، ١٥٦ .

الفلاحى (الوزير فخر الملك صدقة بن يوسف)

٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٩٠.

فولاذ الديلمى ١١٧.

(ق)

القائم ٢٥، ٥٥، ٩٥، ١١٩.

القائم بأمر الله ١٦٦، ١٦٧.

القادر العباس ١٣.

القاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان ٨٢،

٨٧، ٨٨، ٩١، ٩٣.

قاضى القضاة ٩٣.

القاضى الهمذانى ١٨٠.

قتادة ٣٦.

قتلمش ١٣١.

قرواش بن المقلد ٧٤، ١٠٨، ١١٩.

قريش بن بدران ١٢٤، ١٢٥، ١٣٠.

١٣١، ١٣٥، ١٤٥، ١٤٩، ١٥٧.

١٥٨، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨.

١٧٠، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ١٧٩.

١٨٠، ١٨١، ١٨٢.

قيس ابن أبى حازم ٣٦.

(ك)

كافور الأخشىدى ١٠٤، ١٦٧.

الكرمانى ٦.

كشتكين دواتى عميد الملك الكندرى ١٨٤.

الكندرى ٩٥، ١٥٤، ١٥٦، ١٧٨.

١٨٠.

عثمان ١١٥.

عدنان بن الرضى ١٦٦.

العزیز بالله الفاطمى ١٤، ١٧٧.

عضد الدولة البويهى ١٤.

عكرمة ٣٦.

عطاء بن دينار ٣٨.

علم الدين ١٦٢.

العلوى الزيدى ٥٧.

على بن أبى طالب ٣، ٢٥، ٢٦، ٣١، ٣٤،

٣٥، ٤٣، ٤٨، ٥٨، ٦٦، ٧٤، ٧٥،

١١١، ١١٦، ١١٨، ١٢٣، ١٢٧،

١٢٨، ١٣٥، ١٥٥، ١٦٠، ١٦٦.

على بن الحسين بن أحمد بن محمد (ابن المسلمة)

٥٦، ٥٧، ٦٥، ٦٦، ٩٥، ٩٦،

١٥٥، ١٦٦، ١٨٠، ١٨١.

على بن الحسين المغربى ١٧٧.

على بن الملك كاليجار ١١٥.

عمر ٣١، ١١٥.

عمر بن الخطاب ٣٨.

عميد الملك أبو نصر منصور بن محمد الكندرى

٩٥، ١٥٦، ١٨٠.

عيسى بن طهمان الجشمى ٣١.

(ف)

فاطمة ١١٨.

فاطمة الزهراء ١٦٣.

فخر الدولة بن جهير ١٠٨.

الفراء ٤٧.

الكندى ٨٨ .

كونستانتين العاشر ٩٥ .

(ل)

ليث ٣٦ .

(م)

مالك (الاسام) ٥٦ .

مالك بن سليمان أبو عبد الرحمن السعيدى ٣٦ .

المأمون ٤٧ .

المؤيد ٤ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢٢ ، ٣٧ ، ٣٨ ،

٤٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ٦٨ ، ٦٩ ،

٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٤ ،

٨٥ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، ١٠١ ،

١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٩ ، ١١١ ،

١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٤ ،

١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،

١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،

١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٤ ،

١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،

١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٨٢ ،

المتنبى ٨٥ ، ١٠٤ ، ١٦٧ .

مجاهد ٣٦ .

محمد بن اسحق ٣٦ .

محمد بن اسماعيل ٥٥ .

محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ١٥٦ .

محمد بن حماد ١٣١ .

محمد بن سليمان الحرث الواسطى ٣٠ .

محمد بن على بن الحسين المغربى ١٧٧ .

محمد بن على بن خلف أبو غالب الواسطى ١٥ .

محمود بن الأخرم ١٣٥ ، ١٨١ .

محمود بن سبكتكين ١٣ ، ١٥٤ .

محمود بن شبل الدولة ١٥٣ .

محيى الدين أبو الحارث مهارش بن المجلى

١٨١ ، ١٨٢ .

المستنصر بالله الخليفة الفاطمى ٤ ، ٥٥ ، ٦٤ ،

٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٥ ،

١٠٠ ، ١٠٣ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٢ ،

١٣١ ، ١٥٦ ، ١٨٠ ، ١٨٢ .

مسروق ٣١ ، ٣٢ .

مسعود بن محمود بن سبكتكين ١٥٤ ، ١٥٥ .

مسلم بن قريش ١٦٥ .

مشرف ٧٥ .

المعز بن باديس بن منصور بن بلكين الحميدى

الضنهاجى ٥٦ .

المعز لدين الله الفاطمى ٢٥ ، ٨٢ ، ١٦٠ .

مقبل بن بدران ١٣١ .

مقبل بن المقلد ١٥٧ .

المقتدر العباسى ٦٩ .

المقرب ٩٢ .

المقلد بن أبى الحسن ١٢٤ .

الملك الرحيم ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ،

١٥٥ .

ملك بن سليمان ٣٦ .

المنصور ٢٥ ، ٥٥ .

منصور بن حسين الأسدى ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ .

(هـ)

هزارسب بن بنكير ١٥٧، ١٦٥، ١٨٠.

(و)

وجيه الدولة، انظر: صابر.

(ى)

اليازورى (الوزير) ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩،

٩١، ١٠١، ١٠٢، ١٠٥، ١٧٧.

يزيد ٣٦.

يزيد بن مرثد ٣٧.

يزيد بن معاوية ١٥٩.

منصور بن ديبس ١٨٣.

منيع بن شبيب النيرى ١٠٦، ١١٩.

المهدى ٢٥، ٥٥.

مهذب الدولة أبو منصور هبة الله ٥٤.

موسى بن جعفر ٥٦، ١٦٦، ١٦٧.

موسى السكظم ١٦١.

(ن)

نسب الطبالة ١٨٢.

نصر بن على بن عيسى ١٥٧.

نصر الدولة أحمد بن سروان ١٠٨، ١٠٩،

١١٣، ١٣٧، ١٣٨، ١٧٠.

نصير بن عمر ١٣١.

النعمان بن محمد قاضى القضاة ٨٢.

معجم أسماء الكتب

خلاصة تذهيب تهذيب الكمال ٣٦ .

(د)

دعائم الاسلام ٢٥ .

دمية القصر ٩٥ .

ديوان المؤيد ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٧٥ ، ١٦٧ ،

١٨١ .

(ذ)

ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ١٠١ .

(ر)

الرسالة اللازمة لشهر الصوم للكرماني ٦ .

رفع الاصر عن قضاة مصر ٨٨ .

(ز)

الزيور ٤٨ .

(ش)

الشفاء للقاضي عياض ٣٤ .

(ص)

صلة تاريخ الطبري ٦٥ .

(١)

اتعاظ الحنفاء ١٦٠ .

أدب مصر الفاطمية ٨٢ ، ١٠٣ .

الاشارة إلى من نال الوزارة ١٣١ .

الامامة والسياسة ١٦٠ .

الانباء عن الأنبياء ١٠٣ .

الانجيل ٤٨ .

(ت)

تاريخ ابن خلدون ١٠٩ .

تاريخ الاسلام للذهبي ١٠٠ ، ١٨٢ .

تاريخ مختصر الدول ٧٤ .

تاريخ مصر لابن ميسر ١٣ .

تفسير القرطبي ٣١ .

تفسير مالك بن سليمان ٣٦ ، ٣٨ .

تفسير النقاش ٣١ .

تهذيب التهذيب ٣١ .

التوراة ٤٨ .

(خ)

خطط مصر للقضاة ١٠٣ .

خطط المقرئ ٨١ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٣ ،

١٧٧ ، ١٨٢ .

١١٥ ، ١١٧ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،

١٧٣ ، ١٧٦ .

مسند أبي داود ٣١ .

معجم البلدان ٦٩ ، ٧٤ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ،

١٧٨ .

مناقب الشافعي ١٠٣ .

المنتظم لابن الجوزي ١٧ .

(ن)

النجوم الزاهرة ٣ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٥٦ ،

٦٩ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٩٢ ،

٩٥ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٥٥ ، ١٨٣ ،

نزهة الالباء ٤٧ .

نهاية الارب ٨٤ .

(هـ)

الهمة في آداب اتباع الأئمة ٢٥ ، ٨٢ ،

(ع)

عيون المعارف ٦ .

(ف)

الفترات والقرانات ٤٨ .

(ق)

القرآن ٤٨ ، ٥٣ .

(ك)

كتاب القضاة للكندي ٨٢ .

(م)

المجالس المستنصرية ٦ .

مختصر الدول ٧٣ .

مرآة الزمان ٣ ، ٥٦ ، ١٠١ ، ١٠٦ ،

معجم الأمكنة والبقاع

(أ)

٩٦ ، ١٠٠ ، ١١١ ، ١١٥ ، ١١٧ ،
١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣١ ،
١٣٥ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ،
١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ،

اذر بيجان ٧٧ .
أصبهان ١١٧ .
اصطخر ١٧٧ .
الانبار ١٢٥ ، ١٨١ .

بلاد الترك ١٧٩ .

الأهواز ٣ ، ١١ ، ١٢ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٥٥ ،

بلاد الجبل ١٧٨ .

٥٦ ، ٥٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ،

بلد ١٥٧ ، ١٦٥ .

٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ١١٧ .

البوازيج ١٥٧ .

أوان ١٥٧ .

البواقير ١٧٦ .

(ب)

بيت المقدس ٩٥ .

بيروت ١٠١ .

بابل ٧٤ .

(ت)

باريس ٣ ، ٨٤ .

تكربت ١٥٧ ، ١٦٢ .

بالس ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٥ .

تنيس ١١٢ .

بحر فارس ٦٩ .

البحرين ٦٩ .

(ج)

البحيرة ٩٢ .

بدر ١٢٣ .

الجب ١٧٨ .

بسا ١٢ ، ٥٠ ، ١١٧ .

جب عميرة ١٧٨ .

البصرة ٣ ، ٣٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ،

الجزيرة الديبسية ٧٢ .

٧١ ، ١١٧ ، ١٥٦ ، ١٧٧ .

جناية ٦٩ .

البطيحة ١٨٣ .

الجيزة ٩٢ .

بغداد ٤٧ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٧٣ ، ٨٧ ، ٨٨ ،

(ح)

الحجاز ٩٦ .

الحديثة ١٨٢ .

حران ١٠٦ ، ١١٩ ، ١٥٧ .

الحظيرة ١٢٥ .

حلب ٨٩ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٦ .

١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٥٣ ، ١٧٠ ، ١٧١ .

١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ .

١٧٨ ، ١٧٩ .

حلة بنى مزيد ١٢٤ .

حلل بلال بن غريب ١٢٥ .

حلل قريش ١٣٤ .

حمص ١٠٧ .

الحيرة ٧٤ .

(خ)

الخابور ١٢٨ ، ١٣٠ .

خراسان ٧٧ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٧٩ .

خوزستان ٥٥ ، ٧٢ .

خيبر ١٢٣ .

(د)

دمشق ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

١٠٧ ، ١٥٣ ، ١٧٦ ، ١٧٩ .

دسياط ١١٢ .

ديار ابن وثاب ١٢٨ .

ديار بكر ١٠٨ ، ١٤٣ ، ١٧٧ .

ديالى ١٨٠ .

دير حافر ١٧١ .

(ر)

الرحبة ٦٩ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٥١ ، ١٥٧ .

١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٦ ، ١٧٩ .

١٨٢ .

الرقعة ٦٩ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١٥٣ ، ١٥٧ .

١٧٧ .

الرملة ٨٧ .

الري ٧٧ ، ٩٤ ، ٩٥ .

(س)

سابور ٧١ .

سنجار ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤١ .

١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٥٥ ، ١٦٢ .

١٦٥ ، ١٧٩ .

(ش)

شاطيء الفرات ١٠٠ .

الشام ٣٢ ، ٩١ ، ٩٥ ، ١٠٠ ، ١٠١ .

١٠٧ ، ١٦٢ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٣ .

شيراز ٩ ، ١٢ ، ٢٢ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٦ .

٦٨ ، ٧٦ ، ١١٧ .

(ص)

الصالحية ١٢٥ .

صور ١٠٠ ، ١٠١ .

(ع)

كرمان ٧٠ ، ٧٨ .

الكوفة ٣٢ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ١٢٤ ، ١٣٥ ،

١٨١ ، ١٨٣ .

(ل)

اللاذقية ٩٥ .

(م)

المدينة ١٥٥ .

مصر ٤ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٥١ ، ٦٥ ، ٦٦ ،

٦٧ ، ٧٤ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٩٥ ،

١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٥٤ ،

١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ،

١٧٩ ، ١٨٢ .

معرة النعمان ١٠٨ .

المغرب ١٥٦ ، ١٧٧ .

الموصل ٧٤ ، ٧٧ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٣١ ،

١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ،

١٤٧ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٧٦ ،

١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ .

مكة ٦٩ ، ٩٥ ، ١٥٥ .

سيافارقين ١٠٨ .

(ن)

نصيبين ١٥٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠ .

النعمانية ١٢٤ .

(غ)

غزنة ١٣ ، ١٥٤ .

(ف)

فارس ٣ ، ٥٥ ، ٦٣ ، ٧٨ ، ١١٧ ، ١٢٤ .

فامية ٩٥ .

(ق)

القاهرة ٨١ ، ٨٣ ، ٩٨ ، ١٠٥ ، ١١١ ،

١٣٨ ، ١٧٨ .

القسطنطينية ٩٥ ، ١٥٣ .

قصر المأمون ٧٠ .

قصر مجاشع ٧٨ .

القيارة ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٤ .

القيروان ١٦٠ .

(ك)

الكرخ ١٦٦ ، ١٨١ .

(و)

واسط ١٧٧ ، ١٢٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،

١٥٦ ، ١٨٠ .

وراء النهر ١٥٤ ، ١٥٥ .

(هـ)

همدان ٩٥ ، ١٧٩ ، ١٨٠ .

الهند ١٥٤ .

هيت ١٨٠ .

دليل الآيات القرآنية الشريفة

صفحة	نص الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الآية
٣	واستعينوا بالصبر والصلاة ، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين	٢	البقرة	٤٥
١٣٠	فذبوها وما كادوا يفعلون	٢	البقرة	٧١
١٦٢	والصابرين في البأساء والضراء	٢	البقرة	١٧٧
٣	والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة	٢	البقرة	٢٣٣
١٨	ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً	٢	البقرة	٢٦٩
٣٢	وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم	٣	آل عمران	٧
١٦	قد كان لكم آية في فتيتي النكتا ، فئة تقاتل في سبيل الله	٣	آل عمران	١٣
٢٠	وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين	٣	آل عمران	٢٦
٢٧	قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ... الآية	٣	آل عمران	١١٠
١٣١	كنتم خير أمة أخرجت للناس	٣	آل عمران	١١٨
١٨١	قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ..	٣	آل عمران	١٤٥
١٣٧	وسنجزى الشاكرين	٣	آل عمران	١٤٦
٨٧	والله يحب الصابرين	٣	آل عمران	١٦٩
٣	ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين	٣	آل عمران	١٧٠
٣٠	ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين	٤	النساء	١٤
٢٦	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم	٤	النساء	٥٩
٣٠	من يطع الرسول فقد أطاع الله	٤	النساء	٨٠
١٦	ولو رده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه	٤	النساء	٨٣
١٨	الذين يستنبطونه منهم	٤	النساء	٨٣

صفحة	نص الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الآية
١٥٤	لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس	٤	النساء	١١٤
١٣٨	ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين	٤	النساء	١٢١
٣٠	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة	٥	المائدة	٣٥
٦٢	إن كنت قلته فقد علمته	٥	المائدة	١١٦
١٥٤	وقال موسى لأخيه هرون اخلفني في قومي وأصلح	٧	الأعراف	١٤٢
٨١	وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة	٧	الأعراف	١٦١
١٠٥	ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء	٧	الأعراف	١٨٨
٢٨	يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم ..	٨	الأنفال	٢٤
١٣٩	لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة	٩	التوبة	١٠
٢٧	إنما المشركون نجس	٩	التوبة	٢٨
١٢٧	هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله	٩	التوبة	٣٣
١٢٠	يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً	٩	التوبة	٣٧
١٧	} بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمَّا يأتهم تأويله	١٠	يونس	٣٩
٢٠				
٢٧				
٩١	وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها	١١	هود	٤١
١٦١	ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود	١١	هود	١٠٣
١٦٤	ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار	١١	هود	١١٣
١٦	} ولنعلّمه من تأويل الأحاديث	١٢	يوسف	٢١
٢١				
٢٧				
١٦٨	قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين .	١٢	يوسف	٩٢
٣٣	ورفع أبويه إلى العرش وخروا له سجداً	١٢	يوسف	١٠٠
٣٥	} ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرها وظلالهم بالغدو والآصال	١٣	الرعد	١٥
٣٦				
٢٧				
٢٧	أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابيا	١٣	الرعد	١٧
٩٦	أينما يوجهه لا يأت بخير	١٦	النحل	٧٦
١٨٣	ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا	١٦	النحل	٩٢
٣٥	وإن من شيء إلا يسبح بحمده	١٧	الاسراء	٤٤

صفحة	نص الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الآية
٣٩	ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم	١٧	الاسراء	٧٠
١٧	من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً .. قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا	١٧	الاسراء	٨٨
٢٩	القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ..	١٩	مريم	١
١٥٥	كهيئعص .. إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى	١٩	مريم	٤٢
١٣٢	عنك شيئاً ..	٢٠	طه	٤٤
١٧٢	فقلوا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى ..	٢١	الأنبياء	٨
١١٥	وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام ..	٢١	الأنبياء	١٠٥
١٨٤	ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها	٢٢	الحج	٥
١١٩	عبادي الصالحون ..	٢٢	الحج	٥
١٦	وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت.			
٣٠	ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض			
٣٣	والشمس والقمر والنجوم والحبال والشجر والدواب			
٣٥	وكثير من الناس ، وكثير حق عليه العذاب	٢٢	الحج	١٨
٣٧				
٣٩				
١٠٨	فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور	٢٢	الحج	٣٠
٢٨	يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا			
٣٣	يعملون	٢٤	النور	٢٤
٩٢	والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء	٢٤	النور	٣٩
١١٥	حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً	٢٥	الفرقان	٢٣
١٦٦	وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً			
١٢٣	وتوكل على العزيز الرحيم . الذي يراك حين تقوم .	٢٦	الشعراء	٢١٧
	وتقلبك في الساجدين			٢١٨
١٥٨	إني آنست ناراً سأتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس	٢٧	النمل	٧
٨٢	لعلكم تصطلون	٢٧	النمل	٢٣
٧٥	إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم.	٢٨	القصص	٢٠
١٠٦	إن الملائكة ياتمون بك ليقتلوك			
	امكثوا إني آنست ناراً لعل آتيكم منها بخبر أو جذوة من	٢٨	القصص	٢٩
	النار لعلكم تصطلون			

صفحة	نص الآية	رقم السورة	اسم السورة	رقم الآية
٣٤	الهم . أحسب الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .	٢٩	العنكبوت	١
٤٠	ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا	٢٩	العنكبوت	٢
٤١	وليعلمن الكاذبين	٢٩	العنكبوت	٣
٢٩	وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم	٣٣	الأحزاب	٧
٣٤	وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً .	٣٨	ص	١٨
٢٣	إننا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق	٤١	فصلت	٥٣
٢٩	سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ..	٤٢	الشورى	٢٩١
١٢٢	حلم . عسق'	٤٢	الشورى	٢٣
١٨	قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ...	٤٦	الأحقاف	١٥
٢٥	وجعله وفصاله ثلاثون شهراً	٤٦	الأحقاف	٣٥
٣	فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل	٤٧	محمد (ص)	١٥
٢٠	فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه	٥١	الذاريات	٤٢
٢٧	وأنهار من نحر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ..	٥٣	النجم	٤٣ و ٣٩
١٠٩	ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرسيم	٥٥	الرحمن	٦
٣٠	ما ضل أصحابكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . إن	٥٩	الحشر	٢
٣٠	هو إلا وحى يوحى	٥٩	الحشر	٧
٣٥	والنجم والشجر يسجدان	٥٩	الحشر	١٤
١٩	فاعتبروا يا أولى الأبصار	٦٨	القلم	٤٢
٣٠	وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا	٧٥	القيامة	١٥ و ١٤
١٧٣	تحتسبهم جميعاً وقلوبهم شتى	٧٧	المرسلات	٣١ و ٣٠
٦١	يوم يكشف عن ساق	٧٨	النبأ	٣٢ و ٣١ و ٣٣
١٦٤	بل الإنسان على نفسه بصيرة . ولو ألقى معاذيره	٨٠	عبس	٣١
١٦٩	إلى ظل ذي ثلاث شعب . لا ظليل ولا يغنى من اللهب ..	٨٠	عبس	٣٧
١٥٣	إن للمتقين مفازاً . حدائق وأعناباً . وكواعب أتراباً ...	٨٢	الانفطار	١١ و ١٠ و ١٢
٣١	وفا كهة وأبا	٨٩	الفجر	٦
١١٤	لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه	٨٩	الفجر	٢٢
١٢٤	وإن عليكم لحافظين . كراماً كاتبين . يعلمون			
	ما تفعلون			
٣٤	ألم تر كيف فعل ربك بعاد			
٤١	وجاء ربك والملك صفافاً صفافاً			

دليل الأحاديث المنسوبة للنبي ﷺ

صفحة	نص الحديث
(١)	
٣١	اتقوا الحديث إلا ما علمتم ، فانه من كذب على متعمداً فليتبوا مقعده من النار ، ومن كذب في القرآن بغير علم فليتبوا مقعده من النار .
١٢٣	أقرب ما يكون العبد من الله إذا كان ساجداً .
٢٤	اللهم علمه الحكمة وتأويل القرآن (دعوته صلى الله عليه وسلم لابن عباس) .
١٩	إن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القبلة للصائم أنها تفطر أم لا ؟ فقال له : «أرأيت لو تمضمضت ماء فمضجته أكان ذلك يفطرك ؟» فقال الرجل : لا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «فلا إذن» .
٣٤	إن ركناً سأل النبي صلى الله عليه وسلم معجزة ، فقال «وما تريد ؟» فقال : أريد أن تشهد تلك الشجرة لك بالنبوة . فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيها ويستدعيها .
٣٢	إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف لكل منها ظهر ويطن ، ولكل حد مطلع .
٢٠٩١٧	أنا صاحب التنزيل وعلى صاحب التأويل .
٢٨	إنك صاحب التأويل (قالها في علي) .
٢٢٩١٧	إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وإنهما لم يفترقا حتى يردا على الحوض .
٢٧	إياكم وخضراء الدمن .

(ت)

١٧	تعلموا من عالم أهل بيتي أو ممن تعلم من عالم أهل بيتي تنجوا من النار .
----	---

(ض)

٢٧	ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً ، وعلى جانبي الصراط سور ، وعلى السور أبواب مفتحة عليها ستور مرخاة ، وعلى جانبي الصراط داع يدعو أن ادخلوا الجنة ولا تعرجوا .
----	--

(ع)

١٥٤	على منى بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي .
-----	---

(م)

- ٣٨ ما صيد من مصيدة ولا قطعت من وشيجة إلا بما يضيع من تسبيح الله فخلق سبيله .
- ٥٩ من سئل عن علم عنده فكتمه ألجمه الله تعالى بلجام من نار .
- ٣١ من فسر القرآن بالرأى فأصاب لم يؤجر ، وإن أخطأ دخل النار .
- ٣١ من فسر القرآن برأيه فأصاب كتبت عليه خطيئة لو قسمت بين العباد لوسعتهم ، فإن أخطأ فليتبوأ مقعده من النار .
- ٣١ من فسر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر ، وإن أخطأ مح الله النور عن قلبه .
- ٢٠ من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار .
- ٣١ و٣٠ من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .
- ٣١ من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ . (وزاد رزين) ومن قال برأيه فأخطأ فقد كفر .

(ن)

- ٦٠ نحن قوم أُميون لانعرف الحساب ؛ الصوم مرة هكذا (حتى استوفى العدة ثلاثين في ست مرات وأنه جمع الأصابع ثمانية فلما انتهى إلى الآخر نقص واحد من الأصابع ثم قال) ومرة هكذا .
- ٣٩ نزل القرآن على سبعة أحرف .

(و)

- ٢١ وجدتها بجراً (قالها لما ركب فرساً) .

(لا)

- ٣٨ لا تتخذوا ظهور الدواب كراسى لأحاديثكم ، قرب راكب مركوبه هو خير منه وأطوع وأكثر ذكراً .
- ٣٧ لا يصاد من الحيتان إلا بما يضيع من التسبيح .
- ٢٨ لا ينقص مال من صدقة بل يزيد .

(ي)

- ١٧٤ يا عماد من لا عماد له ، يا سند من لا سند له ، يا حرز من لا حرز له ، يا ذخ من لا ذخ له ، يا غياث من لا غياث له .

المراجع

- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسين على الشيباني)
الكامل في التاريخ طبع لندن سنة ١٨٦٣ م .
ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد)
بدائع الزهور طبع بولاق سنة ١٣١١ .
ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (طبع دار الكتب المصرية) .
ابن الجوزى (أبو المظفر بن قيزوغلى سبط بن الجوزى)
مرآة الزمان نسخة خطية بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ١٥٠٦ .
ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين على)
رفع الاصر عن قضاة مصر نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ١٠٥ تاريخ .
ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد)
كتاب العبر ، وديوان المتبد أو الخبر (طبع بولاق سنة ١٢٨٤ هـ) .
ابن خلكان (شمس الدين أبو العباسي أحمد بن محمد)
وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان (طبع القاهرة) .
ابن طاهر الأزدي (جمال الدين أبو الحسن على)
أخبار الدول المنقطعة نسخة فتوغرافية بدار الكتب المصرية برقم ٨٩٠ تاريخ .
ابن طباطبا (محمد بن على المعروف بابن الطقطقى)
الفخرى في الآداب السلطانية والدول الاسلامية (طبع بمطبعة الرحمانية بالقاهرة) .
ابن القلانسي (أبو يعلى حمزه)
ذيل تاريخ دمشق (طبع بيروت سنة ١٩٠٨) .

- ابن كثير (عماد الدين أبو القدا اسماعيل بن عمر)
 البداية والنهاية (طبع القاهرة سنة ١٣٥٨ هـ) .
- ابن منجب الصيرفي (أبو القاسم على)
 الاشارة إلى من نال الوزارة (طبع القاهرة سنة ١٩٢٤ هـ) .
- ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم)
 لسان العرب (طبع بولاق) .
- ابن ميسر (محمد بن علي بن يوسف بن حلب)
 تاريخ مصر (طبع القاهرة سنة ١٩١٩) .
- البغدادى (الخطيب)
 تاريخ بغداد (طبع القاهرة)
- البندارى
 تاريخ دولة آل سلجوق (القاهرة ١٩٠٠) .
- ثقة الامام علم الاسلام الداعى
 المجالس المستنصرية تحقيق محمد كامل حسين (طبع القاهرة) .
- الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد)
 تاريخ الاسلام (نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ٢٩٦ تاريخ) .
- السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر)
 تاريخ الخلفاء طبع القاهرة سنة ١٣٥١ هـ
- حسن المحاضرة طبع القاهرة سنة ١٣٢٧ هـ .
- الفيروزبادى (محمد الدين محمد بن يعقوب)
 القاسوس المحيط .
- القلقشندى (أبو العباس أحمد)
 صبح الأعشى .
- الكرمانى (أحمد حميد الدين بن عبد الله)
 رسائل الكرمانى (نسخة خطية بمكتبتى الخاصة) .
- ناصرى خسرو
 سفرنامه (ترجمة الدكتور يحيى الخشاب) .

- النعمان القاضي (أبو حنيفة النعمان بن محمد حيون المغربي)
دعائم الاسلام نسخة خطية بمكتبتى .
كتاب المهمة فى آداب أتباع الأئمة -- تحقيق محمد كامل حسين (طبع القاهرة) .
محمد كامل حسين
أدب مصر الفاطمية (طبع دار الفكر العربى) .
المقريزى (تقى الدين أحمد بن على)
اتعاظ الحنفيا طبع القدس سنة ١٩٠٩
المواعظ والاعتبار طبع مطبعة النيل .
المؤيد فى الدين داعى الدعاة (هبة الله بن موسى بن داود) .
ديوان المؤيد فى الدين داعى الداعى تحقيق محمد كامل حسين (طبع القاهرة) .
المجالس المؤيدية نسخة خطية بمكتبتى .
ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى)
معجم الأدباء (طبعة فريد رفاعى)
معجم البلدان (طبعة ليبزج سنة ٩٨٧ هـ) .

HAMADANY (H.F.).

The History of the Isma'ili Da'wat and its literature during the Phase of the Fatimid Empire, J.R.A.S., Part I, 1932.

HITH (Ph. K.).

The History of the Arabs.

IVANOW (W.).

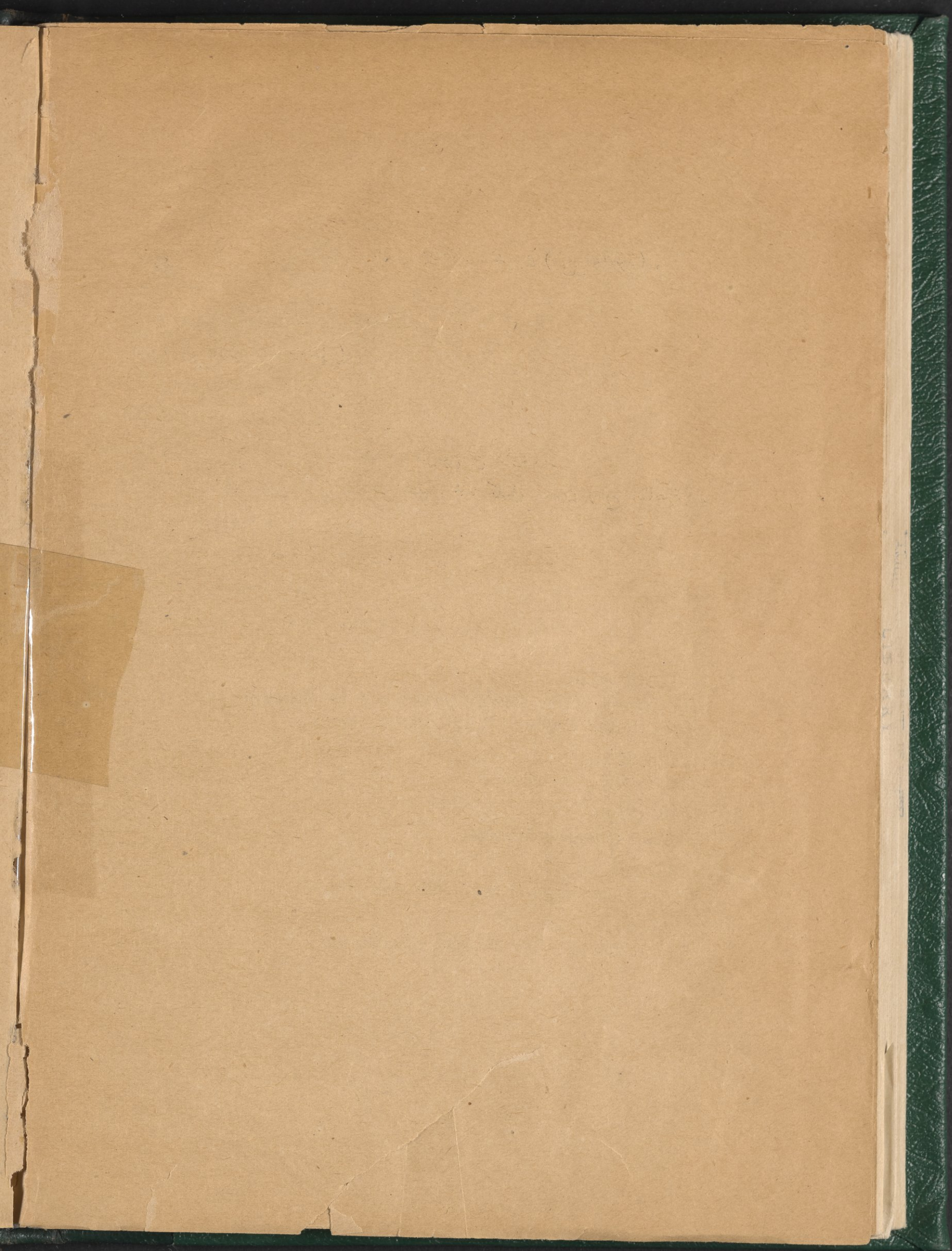
A Guide to Ismaili Literature.

LANE-POOLE.

History of the Egypt in the Middle Ages.

O'LEARY.

A Short History of the Fatimide Khalifate 1923.



استدراكات

وقعت أثناء الطبع عدة أخطاء نعتذر عنها أشد الاعتذار ، وها هي :

صفحة	سطر	الخطأ	التصويب	صفحة	سطر	الخطأ	التصويب
٣	١١	للدعوة	الدعوة	٥٢	١٩	يعلو	تعلو
٥	١٤	اعمالهم	أعمالكم	٥٣	١	الْقُرْآن	الْقُرْآن
٧	١٥	ترسمت	توسمت		١٥	ما أن	ما إن
٨	٢٦	أقيم	أقم	٦٠	٥	نَقَصَّ	نَقَصَّ
١٠	٥	الجمع	الجمعة	٦١	١٧	واذكى	واذكى
١٤	٦	القال	القال	٦٣	١٠	وأمتن	وأمتن
٢٦	٢٥	وودت	ووددت		١٩	الصدر	الصور
٢٨	١٤	ولكان	لكان		٢٠	ويحسن	يحسّ
	١٩	تنصرف	تنصرف	٦٧	٥	ومواضعه	ومواضعه
	٢١	باسوء	باسوأ		١٨	انسان ضررا	انسانا ضرر
٢٩	١٩	همعسق	حم . عسق	٦٩	٢	واستبعت	واستبعت
٣١	١٨	بو أنعيم	أبو نعيم	٧١	٢١	مقاساة	مقاساة
٣٥	٨	ألا	إلا	٧٣	٢٦	مختصر الدول	مختصر الدولة
٤١	٢١	أينما	أين ما	٧٤	١٦	وتقذ	وتقذ
٤٩	٣	الدعوه	الدعوى	٧٨	٢	يقربك	يقربك
	٧	علمما	علمما		٦	أحكام	إحكام
	١٤	ما أن	ما إن	٧٨	١٢	وتريغه	وتريغه
٥١	١	عقلك	عقل		١٩	وحاصر	وحاصر
	١٥	من الله	من إله	٨٠	١١	مقاساة	مقاساة
٥٨	٢	به	بعد		١٤	حداني في حاديا	حداني حاديا
	١٠	الأسرى	الأسرى	٨٦	١٠	فقررت	فقررت

صفحة سطر الخطأ	التصويب	صفحة سطر الخطأ	التصويب
١٥ ١١٩	ذكرنا أنه كان	٤ ٩٣	تقتضى
١٦ ١٢٤	صاحبة	١٠ ٩٨	فبها
١١ ١٣٨	يدعو	٢٤ ١٠١	مصطفى
٢٠ ١٤٣	يقوم	٢٤ ١٠٢	فخدمت
١٩ ١٤٩	يموؤه	١٠ ١٠٦	عن الخوف
١٧ ١٥٤	وإذ قال	١٠	وعن القلق
١٩ ١٥٧	كيمينين	٢٤	أو آتيكم بشهاب
١٥ ١٦٠	مبكين		قبس
١٩ ١٦٧	شيعه	٩ ١٠٨	واجتنبوا
٢٥ ١٧٠	موطأ	١٢ ١١٢	فهل لا
		١٠ ١١٣	أبنائها

ذكرنا أن ابنه
منيعا كان

أو جذوة من النار

صويب

كرنا أن ابنه

بعث كان

حب

عوه

م

له

ل

تئين

كبين

عة

طما

B 12322477

1 13646722



28 SEP 1990

BP

195
, 182

S5x
1949